# تاريخ الموارنة في مسيحيي الشرق عبر العصور

## الجزء الثالث

موارنة لبنان في عهد امراء بني عثمان

« من سنة ١٥١٥ إلى سنة ١٨٤٢ »

تأليف

عبد الله ابي عبد الله

دار ملفات

تاريخ الموارنة في مسيحيي الشرق



# تاريخ الموارنة ومسيحيّي الشرق عبر العصور

تاليف
عبد الله ابي عبد الله

# تاريخ الموارنة ومسيحيي الشرق
# عبر العصور

## الجزء الثالث

موارنة لبنان في عهد امراء بني عثمان
« من سنة ١٥١٥ إلى سنة ١٨٤٢ »

تاليف
عبد الله ابي عبد الله

الطبعة الأولى
١٩٩٧

# محتوى الجزء الثالث

# مقدمة

في الجزء الثالث من موسوعة "الموارنة ومسيحيّي الشرق" يدور البحث حول بروز الكيان اللبناني من خلال حكم الامراء المعنيين للجبل اللبناني، و لا سيما الامير فخر الدين الثاني الكبير الذي في عهده امتدّت حدود لبنان حتى شملت كامل المنطقة الواقعة بين حلب وجبال الجليل الفلسطينية من الشمال الى الجنوب، وبين السلسة الشرقية والبحر المتوسط غرباً.

في هذه المرحلة شهدت الساحة اللبنانية تألّق نجم الموارنة من جديد، إذ شغلوا منصب مدبّري حكام لبنان من الامراء المعنيين والشهابيين والمدبّر هو المستشار، وقائد العسكر، والموجّه للحاكم، أي أنه الأمير غير المتوّج. وقد بلغ النفوذ لدى بعض المدبّرين، كالمدبّر جرجس باز، والشيخ سعد الخوري، والشيخ أبو نادر الخازن، وغيرهم حداً أصبح فيه الشيخ المدبّر هو المرجعية النافذة الاولى في البلاد، بحيث لا يتمّ شيء إلا بمشورته وبرضاه. وهذا ما جعل الموارنة ينتشرون في كافة المناطق اللبنانية، وصولاً الى اطراف الشمال والجنوب والبقاع، بعدما كان سكنهم محصوراً في المنطقة الواقعة بين المتن جنوباً واطراف جبة بشرّي شمالاً.

وبعدما كان المماليك قد استطاعوا تهجير الموارنة من عقر ديارهم في كسروان، عادوا اليها، وعمّروا ما تهدّم من قراها، وجدّدوا ما تخرّب من املاكها، وتوسّعوا جنوباً في سكنهم حتى اصبحوا في النهاية القيّمين على أملاك امراء لبنان، وإقطاعييه من كافة المذاهب، ولا سيما من السنّة الشهابيين، والدروز المعنيين، والتنوخيين وخاصة من بني جنبلاط وارسلان وغيرهما.

وابتداءً من القرن الثامن عشر، بعد اشتراكهم في معركة عين داره سنة ١٧١٢ الى جانب الأمير حيدر شهاب، دخل الموارنة نادي الاقطاعيين، واصبح بعض اسرهم يحمل ألقاب المشيخة كبني الدحداح، والضاهر، والخازن، والخوري صالح، وغيرهم. وفي اواخر القرن المذكور في نحو العام ١٧٧٠، بفضل المدبّرين المارونيين سعد الخوري وسمعان البيطار، استطاع الأمير يوسف شهاب، وبمساعدة الموارنة، ان يطرد المشايخ الحماديين من إقطاعاتهم، بعدما تظلّموا الرعايا وامتنعوا عن دفع الضرائب، ويسلّمها الى فلاحي الموارنة. وهكذا ساهم الموارنة بقوة في إبراز الكيان اللبناني الكبير بحضورهم وحسن تدبير أمور حكامه.

**المؤلف**

# الفصل الأول

## موازنة القرن السابع عشر

# ١- بطاركة الموارنة بالغرب المسيحي

## العلاقات اللبنانية بالقوى المسيحية في الغرب

أخذت الروابط، بين لبنان ودول الغرب، عن طريق الموارنة، وبفضل علاقاتهم الحميمة مع فرنسا والكرسي الرسولي، تتوثّق يوماً بعد يوم، وخاصة مع الفاتيكان. وقد توخّى البطاركة منها منع التعديات على موارنة ومسيحيّي لبنان والشرق كلّه. وأخذ المقرّ البطريركي الماروني يتحوّل تدريجياً الى ما يشبه الفاتيكان بالنسبة للمسيحيين، والأمراء والمشايخ اللبنانيين. ولما كان على رأس السلطة المدنية في لبنان أمير طموح هو فخر الدين الثاني، فقد توسّعت آفاق العلاقات اللبنانية لتشمل بالاضافة الى دول الشرق والسلطنة العثمانية، بعض دول الغرب ولا سيما الامارات الايطالية مثل توسكانا، وصقلية، وروما، ونابولي، والمملكة الفرنسية.

وقد ساعد على نمو دور البطريركية المارونية أفول نجم القسطنطينية كعاصمة للمسيحيين في الشرق الذي انتهى كلياً في العام ١٤٥٣ بسقوط العاصمة البيزنطية بيد الاتراك وتحوّلها الى مركز للحكم العثماني يُعرف بالآستانة.

وأصبحت البراءات البابوية ودروع التثبيت التي يطلبها البطاركة من الكرسي الرسولي تقليداً ثابتاً لتأكيد الانتماء الماروني الى الكنيسة المقدّسة الرسولية الكاثوليكية. وقد أشرنا سابقاً الى بلوغ هذه البراءات ما يزيد على المئة براءة، وكلّها تؤكد على الروابط الوثيقة بين الكرسي الانطاكي الماروني، والكرسي الروماني الكاثوليكي. وهي لا تزال محفوظة في أرشيف بكركي. وقد أتى على

ذكرها كتّاب لبنانيون أبرزهم الأباتي العنيّسي، والأباتي فهد، وبيار روفايل، وغيرهم.

وكان لإنشاء المعهد الماروني في اواخر القرن السادس عشر، والدور الذي لعبه خرّيجوه، لانماء العلاقات بين الشرق والغرب، ما لفت أنظار حكام الغرب والمستشرقين الى هذه البلاد. كما كان للمؤلّفات التي وضعها هؤلاء المستشرقون ولا سيما الذين رافقوا الحملات الصليبية منهم، أثر فعّال في لفت الانظار الى معالم الشرق وكنوزه، وما تذخر به هذه الأرض من الخيرات، فزادت رغبة الغربيين بالتعرّف عن كثب عليها.

ومن بين دول الغرب خصّ لبنان فرنسا بعلاقات مميّزة، باعتبارها الدولة الأكثر عطفاً على موارنته وقضاياه العامة، وخاصة على مسيحييّ الشرق، لا سيما بعد مكوث الصليبيين فيه زهاء قرنين من الزمن وتحالفهم الوثيق مع الموارنة، بصورة خاصة، واللبنانيين بصورة عامة. ونظراً لرابط الدين الذي كان يجمع بين شعبي جبل لبنان وفرنسا، فقد توطّدت هذه العلاقات عبر الزمن. وهذا راجع لاقتناع فرنسا بأن الموارنة ببسالتهم، وشجاعتهم وصمودهم، والقول للرحّالة الفرنسي ثورو (Thoraud) ، هم حماة المسيحية في الشرق [١]. وأول طلب تقدّم به الغرب بواسطة البابا إينوشنسيوس الثالث من بطريرك الموارنة إرميا الدملصي سنة ١٢٨٣ لحماية الصليبيين على أثر سقوط طرابلس بيد المماليك. وقد ردّ على هذه اللفتة الكريمة أيضاً ملك فرنسا فرنسوا الأول سنة ١٥٣٦ فحصل من الاتراك على أول امتياز يُسمح فيه لفرنسا ببسط حمايتها على موارنة لبنان جاعلةً نفسها سفيرة تمثّلهم لدى الباب العالي في الآستانة. كما كان الملك لويس التاسع قد كتب الى بطريرك وأعيان وموارنة لبنان، يشكر معاملتهم للصليبيين الهاربين من الحرب، ويتعهّد بوضع لبنان تحت حمايته، وحماية ملوك فرنسا من بعده. وبعد سقوط فخر الدين الثاني الكبير أخذت فرنسا، بلسان ملوكها، عهداً على نفسها بحماية الموارنة، فأوعز الملك لويس الرابع عشر الى سفيره في القسطنطينية للمحافظة على كيان هذا الشعب. ومن راجع ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية، وكتاب الدكتور عادل اسماعيل "الوثائق"، وغيره من الكتب الباحثة في هذا الموضوع، يرَ الكثير من الرسائل التي يتعهّد فيها ملوك فرنسا بحماية اللبنانيين عامةً والموارنة خاصةً، مما

دفع بالموارنة لاطلاق تسمية "الام الحنون" على الأمّة الفرنسية. وكانت فرنسا أول من لبى نداء الاستغاثة الذي أطلقه الموارنة على اثر مجازر العام ١٨٦٠ بينهم وبين الدروز، فأرسلت فرنسا جنودها بقيادة الجنرال دوتبول الذين أوقفوا الاعتداءات وأمّنوا المصلحة المارونية التي تمثّلت باستقلال جبل لبنان وإدارته من قبل حاكم مسيحي. وهذا ما دفع السائح بوجولا الفرنسي للتعليق على تلك المجازر بالقول: "لكم أتألّم لاستشهادك يا لبنان، أيها البلد الكاثوليكي الفرنسي" (٢). وقد فتح القناصل والتجار الفرنسيون، إبّان تلك الاحداث منازلهم لاستضافة وحماية المسيحيين الهاربين في بيروت وصيدا. وقد بلغ الحماس الزغرتاوي الى حدّ اعتبار الفرنسيين - رداً على المتصرّف داود باشا الذي تعجّب من حماس الاهدنيين في استقبال القنصل الفرنسي وبرودتهم عند استقباله -: إننا نستقبل أميرنا، فنحن فرنسيون، ونتحدّر من الصليبيين. وهذا ما جعل الكثيرين يسمّون أولادهم بأسماء مشاهير قادة الفرنسيين. ويكفي شهادة على العلاقات المميّزة بين فرنسا والموارنة، القداس السنوي الذي يقيمه البطريرك الماروني في الصرح البطريركي على نية فرنسا بحضور السفير الفرنسي وأركان الدولة اللبنانية.

وقد انتقلت هذه العلاقة بين البطاركة والكرسي الرسولي وملوك الغرب الى المقدّمين والامراء اللبنانيين، إذ تبادل عدد كبير منهم الرسائل مع الكرسي الرسولي والبلاطات الملكية الغربية، حول كثير من الامور التي تهمّ الجانبين. ويأتي في طليعة حكام لبنان الذين وثّقوا علاقاتهم بالغرب الأمير فخر الدين الثاني الكبير، الذي لم يكتف بتعيين ابراهيم الحاقلاني، خرّيج المعهد الماروني سفيراً له لدى الفاتيكان والممالك الايطالية، ولا سيما توسكانا، بل قام هو شخصياً بزيارة للغرب استمرّت خمس سنوات (١٦١٣ - ١٦١٨) اطّلع خلالها على وجوه النهضة والعمران في تلك الممالك، وعقد المزيد من الاتفاقات السياسية والتجارية معها، وعاد بعدما زار صقلية وتوسكانا ونابولي، يواكبه عدد من المهندسين التليان ورجال الأعمال الغربيين ليباشر نهضة عمرانية وثقافية هامة في بلاده. ولم يهمل أيضاً العلاقات بالكرسي الرسولي. بل كلّف ممثّله الحاقلاني لينسّق مع ممثّل البطريرك الماروني في روما الخوري جرجس عميرة لتوثيق الصلات التاريخية بين الفاتيكان ولبنان،

واضعاً نفسه بتصرّف الكرسي الرسولي ودول الغرب من أجل خوض معركة التحرير من النير العثماني والاستقلال بهذه البلاد.

وتتابعت زيارات المعتمدين البابويين لدراسة شؤون الطائفة المارونية، وأحوال المسيحيين في لبنان والشرق، والاهتمام بتثقيفهم لمواكبة العصر. فكان لهذه الصلات ثمارها على صعيد تثقيف رجال الدين، وتعليم الطلاب الراغبين في جامعات الغرب، مما ساعد على قيام نهضة علمية كان لها تأثيرها على هذه المنطقة بكاملها، ولاسيما بعد دخول الارساليات الأجنبية إليها بتشجيع من البطاركة والحكام.

## الارساليات الأجنبية

بفضل القفزة العملاقة التي خطاها لبنان في بداية القرن السابع عشر، على أثر عودة دفعات من متخرّجي المعهد الماروني في روما الى البلاد، اصبحت هذه البلاد مقصداً لراغبي العلم، ولناشدي الحرية والسلام، في كافة أنحاء الشرق، وخاصةً بعد إنشاء مطبعة دير قزحيا وانتشار الكتب بين أيدي الشعب منذ العام ١٦١٠، عام دخول هذه المطبعة الى دير قزحيا، ولا سيما بفضل القيادة الحكيمة للأمير فخر الدين الثاني التي وفّرت الجوّ الأمني والعلمي الذي سمح لأبناء الشرق بالتوافد الى لبنان، ولسماحه للارساليات الأجنبية أن تنشئ المعاهد العالية وتوزّع نشاطها في كافة المناطق اللبنانية. وقد ساد التلاحم، بفضل هذه السياسة الحكيمة أيضاً، بين كافة الطوائف، ولو أن بعض ولاة العثمانيين، قاموا بالتعدّي على المقرّ البطريركي في قنّوبين، وعلى بعض الرعايا الآخرين، ورجال الدين، والاعيان، من مختلف الطوائف. ومع هذا لا يمكن إنكار فضل الحكم العثماني في النقلة النوعية، رغم كل هذه التجاوزات، من حال الضغط والقهر والتعديات المستمرّة على المقدّسات والحريات، الى جوّ مقبول، فيه الحدّ الأدنى المطلوب من التسامح الديني والعدل. ومهما كانت طائفة الحاكم الغريب، فلا يعدو كونه محتلاً ومستعمراً يهدف من احتلاله للأرض وحكمه للشعب التسلّط والابتزاز. ولذلك لم يطل شهر العسل كثيراً، بل أخذ الولاة العثمانيون يتدخّلون في كل شاردة وواردة، مستغلّين مناصبهم لابتزاز الطامعين بتولي الوظائف العامة، والتزام المقاطعات، وشغول

المناصب العالية، حتى ضجّ الشعب من كثرة الضرائب وتقلّب الحكام. فالحكم الغريب مهما كان راقياً، والحكم الصليبي شاهد على ذلك، لا يستسيغ الابقاء على مناخ الحرية والمساواة والامن والاستقرار، لأن هذا المناخ يساعد على لحمة الشعب والعمل لترحيله، واستعادة البلاد وحدتها وسيادتها.

وعلى أثر هذا الجوّ المؤاتي الذي عاشه لبنان في مطلع القرن السابع عشر، وبفضل حاكمه القويّ فخر الدين المذكور، أخذت تؤم لبنان إرساليات أجنبية ذات أهداف متعدّدة: منها العمل التبشيري الرسولي، ومنها فتح المدارس والتعليم، ومنها التوطئة لفتح علاقات ودية بين بلدانها والطوائف اللبنانية. وأصبح لبنان، بفضل هذه الارساليات، منارة للعلم، فأمّه الكثيرون من مختلف البلدان المجاورة والمذاهب للاستفادة من مناخ الحرية الذي كان سائداً فيه، ومن الجوّ العلمي الذي يوفّره لطالبي العلم، والجوّ الاقتصادي الذي بدأ ينتعش أيضاً موفّراً بعض فرص العمل التي أنعشت كافة مرافق البلاد. وقد استقطبت المدن الساحلية أكثر هذه الجاليات التي أمّت لبنان، فنتج عن ذلك بداية إزدهار جعلت هذه البلاد ملاذاً للهاربين من الظلم والجوع، ولكل طالب علم واستقرار، فانصرف أهلها الى تحصيل العلم، وإعمار البلاد، ونحت الصخور وتحويلها الى بساتين مثمرة وحدائق منتجة تعمر بشتى الثمار والمزروعات، ممّا دفع المستشرق بوشارد للقول: "لم أرَ في العالم كلّه ما رأيته في المنطقة المشرفة على طرابلس: فردوس زاهر بجنائن لا نهاية لها" (٣).

والدور الهام الذي قامت به الارساليات الأجنبية لجهة نشر الثقافة الغربية، والعلوم، والفنون، واللغات في لبنان، جعل هذه المنطقة مقصداً لأهل البلدان المجاورة، ومنهلاً للعلم والثقافة. وقد أمّت لبنان عدة إرساليات أجنبية، ارتدى افرادها الاسكيم الرهباني، تاركين منازلهم ومقرّات جمعياتهم في الغرب، قاصدين هذه البلاد لإنشاء الأديار، والكنائس، والمياتم، والمدارس، والجمعيات على اختلاف انواعها، الدينية والاجتماعية. وأول هذه الأرساليات كانت إرسالية الآباء الفرنسيسكان التي دخلت لبنان مع الصليبيين في القرن الثاني عشر، ثم تبعها الكبوشيون، فاليسوعيون، فاللعازاريون (٤). ولم تكن الحياة الرهبانية غريبة على

اللبنانيين، فمنذ قيام المسيحية في الشرق أمّت لبنان قوافل من الرهبان والحبساء الذين اعتصموا في جباله ومغاوره مشكّلين حركة نسكية هائلة. وبحلول القرن السابع عشر، وقبل تأسيس الرهبانيات اللبنانية الحديثة العهد، كان في لبنان سبعون ديراً (٥). ويعود الفضل الى هؤلاء الرهبان والنسّاك الاوائل، وجلّهم من الموارنة، في هداية الوثنيين وغير المسيحيين، وحتى الارثوذكسيين والأرمن والاقباط، والكلدان، والمسلمين، والدروز، وردّهم الى الكثلكة.

وعلى غرار حبساء قاديشا وجبّة المنيطرة دخل لبنان شبّان فرنسيون، ورهبان، راغبين في الانقطاع الى ربّهم أسوة بالنسّاك اللبنانيين الذين وصلت شهرتهم الى بلدان الغرب حتى دعي جبل لبنان نسبة إليهم "جبل النسّاك" او "جبل القدّيسين". كما دعاه العرب "جبل الاولياء والابدال". وقد دخل لبنان سنة ١٦٦٨ أربعة شبّان فرنسيين، فاختار بعضهم الإقامة في دير مار أسيا بقرية كفر صارون قرب الديمان، وفي مار أبونا الحدث، ومار انطونيوس قنوبين. وكانت معيشتهم على حساب البطريركية التي "أوصت بتكريمهم كما لو كانوا من اولاد الطائفة وأكثر"(٦). وكان قد استحبس في لبنان أيضاً، في دير حوقا سنة ١٦٣٢ الفرنسي غالوب دي شاستويل. ثم انتقل الى دير مار يعقوب المعروف بدير الاحباش في إهدن، ومنه الى دير مار سركيس الراس في عهد البطريرك جرجس عميرة، ثم استقرّ في دير مار اليشاع في قاديشا، حيث "عمل المعجزات وتنبأ عن المزمعات" حسب العلامة الدويهي في "تاريخ الأزمنة" صفحة ٣٤٣.

وقد اشتهر من المرسلين الأجانب الذين دخلوا لبنان في أواخر القرن السادس عشر الآباء الفرنسيسكان الذين انضمّ اليهم بعض اللبنانيين وأبرزهم الاب جبرائيل القلاعي المعروف بابن القلاعي المؤرخ والاسقف الماروني في قبرص، وكان مقرّهم المركزي في القدس. ثم جاء بعدهم الآباء الكبوشيون فدخلوا لبنان سنة ١٦٢٥، وانشأوا إرسالية في صيدا، حيث للغرب جاليات وتجّار وقنصليات. ومنها انتقلوا الى بيروت حيث ذكر وجودهم فيها الأب بياجيوس في كتابه "سوريا المقدّسة" الصادر سنة ١٦٦٠. ثم توزّعوا في الشمال والجنوب والجبل، وفتحوا المدارس وبنوا الأديار والكنائس. واهمّ مدارسهم الباقية حتى اليوم في السوديكو

(بيروت) وفي البترون.

وفي العام ١٦٤٣ دخل راهب كرملي هولندي الى بشرّي، وأقام في دير مار ليشاع، ثم تبعه كرمليّون آخرون، فأسسوا في طرابلس مدرسةً لا تزال زاهرةً حتى اليوم.

والى جانب هؤلاء الرهبان والمرسلين، قامت عدة جمعيات اخرى لها جذورها في الخارج، وفروعها في لبنان. ولم تلبث هذه الارساليات التي كانت أجنبيةً بمعظم افرادها، أن تلبننت بعدما انخرط في عدادها رهبان لبنانيون حتى اصبحوا أكثريةً، وتولّوا رئاستها وادارتها، فغدت مؤسسات وطنية، وجميع افرادها من اللبنانيين. وفي طليعة هذه الارساليات المتبقيّة في بلادنا حتى اليوم، والتي لعبت دوراً بارزاً على الصعيد التبشيري والتثقيفي والسياسي: الآباء اليسوعيون. وقد دخل إثنان منهم عن طريق البحر الى جونيه في العام ١٥٢٨، وادّعيا أنهما دخلا المياه والأرض اللبنانية خطأً، وكانا في طريقهما الى القدس. فاعتقلهما اللبنانيون واخذوهما الى المدبّر ابي نادر الخازن، مدبّر فخر الدين الثاني امير لبنان، وبعد استجوابهما وظهور نواياهما السليمة، وإبداء رغبتهما في البقاء في لبنان، منحهما الشيخ الخازني قطعة أرض حيث عمّرا ديراً في عينطورة (كسروان) سنة ١٦٥٦، ولم يلبث أن انضمّ اليهم بعض المرسلين الاخرين فحولّوا هذا الدير والكنيسة التابعة له الى مدرسة ثانوية زاهرة كان يؤمها الطلاب من كافة أنحاء البلاد، والدول المجاورة. ثم تنازلوا عنها للآباء اللعازاريين. وقد ذكر الكاتب الفرنسي الشهير بوجولا حول رحلته الى لبنان والشرق في العام ١٨٣٣ "الخطوات المتعثّرة التي رافقت الوجود اليسوعي في لبنان" (٧). وكذلك أشار القنصل الفرنسي في صيدا هنري غيز الى ان اليسوعيين "كانوا قد بدأوا بممارسة نشاطهم التبشيري والتربوي في حلب سنة ١٦٢٥، وقد دخلوا الى لبنان في العام ١٥٨١ حاملين الى مسيحييه مقررات مجمع ترانت (Trente)"(٨). ومن أبرز الاعمال التي قام بها اليسوعيون في لبنان إنشاؤهم الجامعة والمطبعة اليسوعيتين في اواخر القرن التاسع عشر، ومستشفى اوتيل ديو. وعدداً كبيراً من المدارس التي أشرف عليها رهبانهم وراهبات القلبين الاقدسين التابعات لجمعيتهم، وكان لهم الفضل الأول والأكبر في رفع مستوى التعليم

والثقافة في لبنان والمنطقة. ويتهم اليسوعيون بأنهم حملوا الى جانب رسالتهم الدينية والثقافية مهمّة سياسية، وهي الترويج للكثلكة والوقوف بوجه البروتستانتية واستعمال القوة إن تطلّب الأمر، بتحريض من الكرسي الرسولي. وهذا ما جعل وجودهم يتعثّر في أكثرية الدول الشرقية، والغربية حيث جوبهوا بشدّة أكثر مما جوبهوا في الشرق. وقد أثاروا الكثير من القلاقل والمشاكل، وأُتهموا بالجاسوسية والنفاق حتى اشتهر فيهم القول المأثور: "لا تأمننّ لراهب جزويتي متعمّمٍ بعمامة العفريت...". وقد توصّل هؤلاء المرسلون الى خلق تيّار يسوعي في البلاد أوصل الكثير من اللبنانيين الى سدة الحكم، والنيابة، والوزارة، والوظائف العالية في البلاد. وفتحوا الأبواب على مصراعيها لدخول اللبنانيين الى جمعيتهم، فبرز منهم الأب بطرس مبارك الذي كان له اليد الطولى في ازدهار معهد عينطورة وتوسيع أملاكه. وقد صدر قرار تسليم هذا المعهد الى الآباء اللعازاريين في ٢٠ ايار سنة ١٧٣٤ بحضور القاصد الرسولي، وموافقة البطريرك يوسف الخازن شرط القيام بالتعهدات التي قُطعت لمنشئ المدرسة وواهب قطعة الأرض، بتعليم أولاد الموارنة. وقد أُثبت هذا القرار في المجمع اللبناني باعتباره حكما لا يُنقض. ولما أُلغيت جمعية اليسوعيين استولى البطريرك يوسف اسطفان الغسطاوي على هذه المدرسة. وتحولّت جميع أديار اليسوعيين الى الآباء اللعازاريين بموجب براءة بابوية صادرة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٨٣، بموافقة الملك الفرنسي، وبأمر منه مؤرخ في ٢١ كانون الأول من السنة نفسها. وفي العام ١٧٩٢ أعلن رئيس عام الآباء اللعازاريين حقّه في ملكية مدرسة عينطورة، فسلمه البطريرك الغسطاوي إياها بالشروط السابقة التي لم يقبلها اللعازاريون، الذين رفعوا قضيّتهم الى الكرسي الرسولي، حتى تمّ صدور القرار المشار اليه سابقاً عن قداسة البابا فأعيدت إليهم مع كل الممتلكات اليسوعية في الشرق. وكان المطران جرجس يمين الاهدني قد اوقف مدرسةً في زغرتا للآباء اليسوعيين بشرط تعليمهم اولاد القرى المارونية العربية والسريانية مباشرةً، او بواسطة معلم يدفعون أجرته من مالهم الخاص، كما يتبيّن من رسالة الرئيس العام لهذه الرهبانية الأب فرنسيس ريتز في ١٠ كانون الاول سنة ١٧٣٥. وبعد إلغاء الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣ رُدّت هذه المدرسة الى واهبها

اسقف إهدن. وفي العام ١٨٣٤ أقام رئيس معهد عينطورة الأب فرنسيس دعوى لدى الكرسي الرسولي لاستردادها مع املاكها. وبعد درس القضية، وايفاد القصّاد للتحقيق في هذه الامور صدر الحكم الرسولي في ٢٠ ايار سنة ١٨٣٤ بوجوب تسليمها الى الآباء اللعازاريين. ولكن رئيس عام هذه الجمعية الأب انطون بوسيو أعاد الى اهدن، كنيسة مار جرجس واوقافها، بموجب صكّ مؤرخ في ٢٧ ايلول سنة ١٨٣٦ (٩).وجرى تسلّمها وتسليمها من قبل اسطفان الدويهي اسقف اهدن.

وبعد اليسوعيين دخل الاخوة المريميون (Frères Maristes) الى لبنان وأسسوا عدة مدارس في كافة المناطق اللبنانية، كما انخرط في عداد رهبانهم شبّان لبنانيون، ما لبثوا أن تكاثروا وتولّوا إدارة هذه الجمعية التي تعتبر أكبر مدارسها اليوم مدرسة ديك المحدي. والانجيليون الاميركيون الذين أسسوا في نهاية القرن التاسع عشر بعد العام ١٨٦٠ الجامعة الاميركية والحقوا بها مستشفى ومطبعة، فكان لهذه المؤسسات الدور الكبير في النهوض بالتعليم، وبالطبّ، والاختصاصات العالية الأخرى، بحيث تحولّت مؤسساتهم الى منافس شديد للمؤسسات الفرنسية، وخلقت هي الأخرى بخرّيجيها منذ عهد كلية بيروت السورية الانجيلية حتى اليوم، تيّاراً حمل الكثير من أتباعه الى مراكز السلطة ووظائف الدولة العليا في لبنان والبلدان المجاورة.

اما الآباء اللعازاريون فيعود تاريخ محاولتهم دخول البلاد الى مؤسسهم القديس منصور دي بول الذي لأسباب مجهولة لم يتمكن من تأسيس إرسالية في لبنان، وتأجّل هذا الأمر الى العام ١٧٧٣. وقد صدر قرار تسليم مدرسة عينطورة واملاكها، وكل املاك اليسوعيين واديارهم ومدارسهم في الشرق، عن الكرسي الرسولي، الى الآباء اللعازاريين. و"من عينطورة انطلقوا الى كافة انحاء لبنان بموجب براءة البابا بيوس السادس المؤرخة في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٨٣، وأمر من الملك الفرنسي لويس السادس عشر في ٢١ كانون الاول من السنة المذكورة"، كما أشرنا سابقاً. وهذا القرار عائد لتدخّل الآباء اليسوعيين في الامور السياسية الداخلية للبلدان التي حلّوا فيها، مما جعلهم عرضة للملاحقات المستمرّة، حتى تم إلغاء جمعيتهم من قبل الكرسي الرسولي.

اما الكبوشيون فقد أنشأوا ديراً لهم وكنيسة في غزير سنة ١٧١٥ في عهد البطريرك الماروني يعقوب عواد الحصروني. والفرنسيسكان انشأوا ديراً مماثلاً لهم، حسب المستشرق السائح سالفرت (Salverte) في صيدا سنة ١٨٢٧(١٠).

ومن أشهر خرّيجي مدارس وجامعات الارساليات الأجنبية في لبنان الذين اقتدوا بهذه الرهبانيات واسسوا مدارس خاصة بهم في لبنان المعلم بطرس البستاني الذي أسس المدرسة الوطنية في عاليه سنة ١٨٦٢. الى جانب أساتذة في هذه الجمعيات من خارج البلاد، كانوا من روّاد النهضة في بلادنا، وابرزهم الأب لويس شيخو، والاب مرتينوس، اليسوعيين وغيرهما. وكانت ذروة نجاح هذه الارساليات بعد العام ١٨٦٠ حيث تحوّل عملهم التبشيري وتدريسهم العلوم الابتدائية والتكميلية والثانوية الى تعليم جامعي كان له الفضل بقيادة النهضة في البلاد، وتخريج جيل من المثقّفين الذين اخذوا على عاتقهم نشرالوعي والثقافة والفنون والعلوم ليس في لبنان فحسب، بل في كافة أنحاء الشرق. وقد أشرنا الى الدور اللّبناني في هذا المجال في آخر الجزء السابق من مجموعتنا هذه. ونشير في نهاية هذا الموضوع الى الجمعيات الأخرى التي كانت في عداد الارساليات التي دخلت لبنان او تفرّعت منها؛ ونذكر على سبيل المثال: راهبات البيزنسون، والاخوة البيض، والاخوة الاصاغر، والجمعيات الانجيلية، والانكليزية، وغيرها من المؤسسات التي لعبت دوراً ثانوياً إذا قيس بدور الاميركيين والفرنسيين الكبير وبفضل هذه الارساليات ومؤسساتها أصبح لبنان منهلاً للعلم، وملاذاً للمضطهدين والهاربين من التعصّب والتعديات، وموطناً للاستقرار والطمأنينة والهدوء، ولا سيما بعدما استقلّ جبل لبنان عن الولايات العثمانية فقيل "هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان".

## عقد المجمع الماروني الرابع سنة ١٥٩٦ في دير سيدة قنّوبين

بعدما تأكد الكرسي الرسولي أن الموارنة هم الحصن الشرقي للكثلكة، صار اهتمام البابوات بلبنان وموارنته يتضاعف يوماً بعد يوم. وراح الكرادلة يعيّنون كردينالاً من بينهم لرعاية الامور الشرقية، ولا سيما الشأن الماروني، ويطلق عليه إسم "الحامي للمصالح المارونية". ولما كانت الطائفة المارونية قد مرّت بتجارب

قاسية، وتناولتها أقلام القصّاد الرسوليين، والباحثين، والمستشرقين، وكلٌ منهم يفسّر تعاليمها، وممارساتها على هواه، فقد رأى القاصد الرسولي المخلص للقضايا المارونية جيروم دنديني، أن الوقت قد حان لعقد مؤتمر، او مجمع مارونيّ، لدراسة إصلاح امور الطائفة، ووضع تنظيم جديد يرعى كل القضايا المختلف عليها، ابتداء من صلاحيات البطريرك وطريقة إنتخابه الى اصلاح المزامير، والطقوس، وغيرها من الامور الملحّة. وكان العمل يجري منذ عهد البطريرك مخايل الرزي لعقد مثل هذا المجمع. وقد أصبحت الحاجة الى عقده اليوم أكثر إلحاحاً، خاصة بعدما "ظنّ موفدو رومية، على حدّ تعبير القاصد الرسولي دنديني، أن الموارنة حادوا عن جادة الايمان القويم بناء على ما طالعوه في بعض كتب أفسدتها يد المبتدعين. ومكاتيب الأحبار الاعظمين من عهد البابا زخيا الثالث لم تحوِ أموراً شائنة بحق الموارنة، إلاّ بناءً على تبليغات رسلهم الكاذبة. فأنا تحققت بنفسي أن الامر جرى على هذه الصورة غير المطابقة للواقع، لأني طالعت كتبهم، وأنا أحسن فهم لغتهم السريانية، فوجدت أن هذه الكتب، وهي قديمة الاصل جداً، تطابق كل المطابقة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية" وتأكدت أن القصّاد السابقين لم يتبصّروا في الامور، ولم يجتهدوا في فحص الكتب بما ينبغي من الاجتهاد، فلا عجب إذا رجعوا الى رومية بأخبار تخالف الواقع. ومن شاء أن يعرف ما هي شهادتهم، فليلاحظ أنها منقولة كلّها عن أصل واحد بُنيت عليه براءة البابا زخيا الثالث، وعن هذه البراءة الموجّهة الى الروم الذين حلفوا مع الموارنة يمين الطاعة للبابا على يد الكردينال بطرس، نُسخت البراءات التالية، فنُسبت مثلها إلى الموارنة، وهو ما لا تصحّ نسبته إلاّ إلى الروم". وأضاف الأب دنديني في كتاب رحلته الى بلاد الموارنة سنة ١٥٩٦، في الفصل السابع والعشرين نفسه: "حدثت البطريرك (سركيس الرزي) بقضية عقد مجمع طائفي، فأبدى مزيد الأسف ثم قال: هذا ما رغبت فيه من زمن طويل، منذ عهد اخي البطريرك مخايل. ولا أتمالك من أن أظهر لك ما يحزّ في فؤادي من شديد الألم، من جرّاء ما أقدم عليه الأب باطيستا (Batiste)، من حمل أخي البطريرك والأساقفة على توقيع ورقة بيضاء ليكتب عند سنوح الفرصة ما ينبغي عرضه للحبر الاعظم، ليأمر باجراء ما به خير للطائفة، فختم البطريرك،

ونحن الاساقفة، "على بياض"، وراح هو فكتب ما كتب "على البياض"، ممّا سوّد صحيفة الطائفة في أعين البابا، واعضاء المجمع المقدّس...". وأضاف الأب دنديني: "لقد استغربت هذا الخبر. ولكن كيف لا نصدّقه والبطريرك الذي رواه كان من جملة الأساقفة الذين وقّعوا تلك الورقة البيضاء التي سوّدها القاصد، بمداد القدح والذمّ. غير أني عملت الفكرة لأجد له عذراً، فخيّل اليّ أنه قصد تصوير الموارنة تصويراً ضمّنه من القباحة (ويقصد القاصد باتيستا) ما يحمل الحبر الاعظم على الاسراع بتشييد مدرسة لهم في عاصمة الكثلكة تنجب رجال علم وفضيلة..." (١١).

وفي الثامن من ايلول سنة ١٥٩٦ عُقد المجمع الماروني الرابع، وهو الأول والأخير في عهد البطريرك سركيس الرزي بحضور القاصد الرسولي ايرونيموس اوجيروم دنديني، موفد البابا كليمانت الثامن، في المقرّ البطريركي في دير قنوبين. كما "حضره رؤساء الاساقفة الفائق احترامهم، ما خلا الذين حال دون اجتماعهم مانع شرعي: يوسف رئيس دير قزحيا، يوسف رئيس دير القديس انطونيوس، موسى من بشراي، وحضرة الشدياق يوسف خاطر من حصرون، والشدياق فرج من حدشيت، وكثير من الكهنة، بحضور الأب ايرونيموس دنديني قاصد سيدنا الأب الاقدس كليمنت الثامن" (١٢).

وقد دار البحث حسبما أشار الاب جرجس منش في هذا المجمع "حول أقنومية الفادي، وطبيعته، ومشيئته، والانبثاق، والتقديسات، والمطهر، والخطيئة الازلية، وسعادة النفوس، والميرون، والمسحة، والاسرار، وقضية الهجر والطلاق"...(١٣). وعن هذا المجمع الذي حصل التباس في موعد انعقاده إذ جعله الأباتي فهد في الثاني من أيلول، والصحيح هو الثامن حسب التصحيح الوارد في مجلة "المنارة" العددالاول سنة ١٩٨٣ صفحة ٥٢، صدر واحد وعشرون قانوناً منشورة في ذيل "المجمع الثاني" المطبوع في بيروت سنة ١٩٠٠ صفحة ٩ وما بعدها. وقد نقلها أيضاً الأباتي فهد في "مجموعة المجامع الطائفية المارونية" صفحة ٧٢ وما بعدها. وانتهت أعمال هذا المؤتمر في ٢٠ أيلول. ولم نتوسّع في الحديث عن مقررات هذا المجمع، على أهميته، لأننا سنفرد الجزء الرابع من هذه الموسوعة "للمؤسسات المارونية" وفيها فصل مخصّص للمجامع المارونية؛ هذا بالاضافة الى

كون المقررات والاصلاحات لم تنته إلا في مجمع اللويزة اللبناني سنة ١٧٣٦.

وبعد مرور عام على انتهاء هذا المؤتمر توفي البطريرك سركيس الرزي، ليخلفه على الكرسي البطريركي الماروني إبن أخيه البطريرك يوسف الرزي في ٤ تشرين الاول سنة ١٥٩٧ الذي عقد في عهده مجمعان هامان الأول في العام ١٥٩٦، بعد تسعة عشر يوماً من انتهاء المجمع السابق، والثاني في العام ١٥٩٨.

## ● ٥٠ ـ البطريرك الخمسون يوسف الرزّي البقوفاني (١٥٩٧ـ ١٦٠٨)

البطريك يوسف الرزي، هو إبن اخوي البطريركين مخايل وسركيس الرزي. ولعلّها من المصادفات الفريدة من نوعها ليس في تاريخ الموارنة فحسب، بل في تاريخ المسيحية بأسرها، أن يُختار، وبصورة متواصلة، ثلاثة بطاركة من أسرة واحدة، شقيقان وابن اخّ لهما. وهذا إن دلّ على شيء فانما يدلّ على أنّ بقوفا التي كانت مسرحاً للنشاط اليعقوبي، لم تفقد القدرة على إنجاب ثلاثة بطاركة من النسّاك والقديسين، المستقيمي الايمان والفائقي الطهر والاخلاص للكنيسة الكاثوليكية التي يرتبط بها الموارنة.

انتُخب البطريرك الرزي الثالث، يوسف، في الرابع من تشرين الاول سنة ١٥٩٧، ونال درع التثبيت في ١٧ حزيران سنة ١٥٩٩. ومن أبرز أعماله، قراره اتّباع التقويم الغريغوري خلافاً للطوائف الشرقية المسيحية كلّها التابعة للتقويم الاسكندري اليوناني. وهذا ما أثار ضدّه الحكام العثمانيين، واعتبروه موالياً للغرب المسيحي، فأصدر السلطان أمراً بالقبض عليه، وعلى أعيان الطائفة المارنية بتهمة التعامل مع الغربيين أعداء الدولة العثمانية. وقد تميّز عهده بكثرة الصراعات التي أدّت الى تخريب عدة قرى مارونية، أهمّها: بشرّي، تنورين، رام، تولا، صغار، شبطين، بسبينا، ومعظمها في بلاد البترون، وعدة قرى أخرى في بلاد جبيل، ولا سيما في وادي علمات والقرى التي فيها ممتلكات لبني حماده الشيعة، وفي الزاوية وغيرها؛ وهي القرى التي كانت تابعة للتزمي بني حماده الذين كثيراً ما كسروا الاموال الأميرية، ولم يدفعوها في أوقاتها، رغم كفالة الامراء الشهابيين لهم عند والي طرابلس، ولأن هذه القرى كانت أيضاً موالية للأمير فخر الدين الثاني

صاحب الميول الاستقلالية التي لم تَخْفَ على العثمانيين وولاتهم.

وقد ازدهرت في أيام البطريرك الرزّي الثالث، كما في أيام سلفائه من آل الرزي الحياة النسكية في لبنان، وخاصة في وادي قنوبين، كما راج طلب العلم في المعهد الماروني في روما، والنشاط الزراعي المدعوم من الأمير فخر الدين الذي جلب المهندسين من الغرب للاهتمام بزراعة التوت والزيتون والأشجار المثمرة والصنوبر. وبفضل علاقاته المتينة بأمراء لبنان، وحكمته، استطاع البطريرك الرزّي أن يوقف الاعتداء على الموارنة، وهي كانت مستمرة ومتواصلة في عهد أسلافه. كما وفّق بين علاقته بالامير فخر الدين الثاني، وعلاقته بعدوّه الألدّ الأمير يوسف سيفا والي طرابلس وحاكم الشمال. وهذا ما جعل جماعة من مسيحيّي الجنوب تدعى "البيّاضية" تُقدم على التظاهر بالمسيحية وممارسة طقوسها علانية (١٤).

وفي العام ١٦٠٠ أرسل يوسف باشا سيفا، قانصوه ويوسف حماده فقتلا مقدّمي جاج الاربعة لأنهم من حزب الامير فخر الدين الثاني، وتوليّا مقدّمية بلاد جبيل مكانهم. وسنة ١٦٠٢ هاجم موسى الحرفوش بشرّي ونهبها في غفلة من أهلها الذين كانوا قد انتقلوا للإشتاء في الساحل. وسنة ١٦١٣ انقرضت سلالة مقدّمي بني حليا في بشرّي، بموت رعد بن خاطر الحصروني مسموماً بتدبير من زوجته مع أخيها الذي قضى خطأ. وتمّت تولية شلهوب الحسيناتي مشيخة الجبّة، ولم يلبث أن قتل هو الآخر في العام ١٦١٣. وسنة ١٦١٨ ولّى الامير فخر الدين، حاكم جبل لبنان، مدبّره الشيخ أبا نادر الخازن على بلاد جبيل، والمقدّم يوسف الشاعر على بلاد البترون. ثم خلف الشيخ ابو صافي الخازن أخاه أبا نادر، فطرد أتباع يوسف سيفا من البلاد. وفي غياب الامير المعني في توسكانا (١٦١٣ ـ ١٦١٨) ولّي يوسف سيفا على الشمال فاقتصّ من أهل الجبّة، وقطع أشجارهم، ممّا حملهم على الهرب إلى حلب والشام. وسنة ١٦٢١ قتل المقدّم عاشينا بن شلهوب قسّيساً من حصرون، فاعتقله مدبّر الأمير فخر الدين ابو نادر الخازن، وحاكمه في قلعة صمار جبيل حيث كان يقيم مُعْتَمَداً من قبل الأمير، واعدمه، ورمى جثّته في وادي المدفون بأمر من الامير. ولما جاء والده محتجاً ألحقه به.

وقد باشر البطريرك الرزّي الثالث يوسف عهده، وقبل أن يجفّ التراب على

قبر عمّه البطريرك الرزي الثاني، عقد مجمعاً أثبت فيه مقرّرات المجمع السابق، وزاد عليها خمسة قوانين جديدة، من ضمن الاصلاحات الطقسية التي باشرها سلفه، ثم ذيّل القرارات بالتنويه التالي: "ليس الباعث على تجديد هذه القوانين كونها لم تكن مرعية الاجراء عندنا فيما سلف، وأقلّها بالنظر الى أكثرها، بل ما تولّد عند الكثيرين من التغاضي بالعمل بها، فأراد مجمعنا هذا ان يُخطرها على بال الجميع طلباً لمزيد رعايتها من كل منهم... كُتب في اليوم الثالث من شهر تشرين الأول سنة ١٥٩٦". وقد ورد هذا المحضر في ذيل "المجمع اللبناني" صفحة ١٧.

وكان البطريرك يوسف الرزّي قد أوفد الخوري جرجس يونان من ايليج، والشدياق يوسف اليان الحلبي، من تلاميذ مدرسة روما المارونية، لطلب درع التثبيت وتسليم قداسة البابا الكيمندوس الثامن رسالة الطاعة، فعادوا بالدرع المقدّس في ١٧ حزيران سنة ١٥٩٩، كما أشرنا في بداية سيرته، وبرسالتين من قداسته، واحدة تمنحه البركة الرسولية وصكّ الاعتراف بانتخابه، والثانية يلفت فيها قداسته نظره الى وجوه الزواج المحرّمة في القرابة الدموية، وقرابة العماد، والتثبيت. وسنة ١٦٠٣ اوفد البطريرك الاسقف يوحنا الحصروني لتقديم واجب الطاعة الى قداسته، ولكنه فور وصوله توفي الحبر الاعظم، وخلفه لاون الحادي عشر الذي تخلّى عن الكرسي بعد شهر، وانتخب مكانه البابا بولس الخامس (١٦٠٥ ـ ١٦٢١)، فقابله الحصروني وقدّم اليه رسالة البطريرك، فحمّله رسالة جوابية مؤرخة في ١٣ كانون الثاني سنة ١٦٠٦ يطلب فيها اتّباع الموارنة التقويم الغريغوري فنزل غبطته عند رغبته كما أشرنا سابقاً، وكان ما كان من الاحراج والتضييق بسبب هذا القرار. وأخذ الموارنة يؤرخون بالسنة الميلادية بعدما كانوا يتبعون التقويم اليوناني غير مبالين بالضجّة التي أثارها عليهم المسيحيون الشرقيون الآخرون.

وفي شهر اذار سنة ١٦٠٨، بعد سنة من إعلان ضريبة التقشف، والضيق الذي خيّم على الشعب بسبب حروب علي جانبولاد وابن سيفا، والخلاف على ولاية الشام بين احمد وحافظ باشا، واعتلال صحته، توفي البطريرك بعد احدى عشر

سنةٍ قضاها في الكفاح وإغاثة المنكوبين من جرّاء الحروب والمناوشات التي عمّت البلاد. وبسبب هذه الاحداث تأخّر انتخاب خليفته تسعة اشهر.

## ● ٥١ - البطريرك الواحد والخمسون يوحنا مخلوف الاهدني (١٦٠٩ - ١٦٣٣)

وبدل الأيام التسعة التي جرت العادة أن تمرّ على وفاة البطريرك الماروني قبل أن ينتخب خلفه، مرّت تسعة أشهر والكرسي البطريركي فارغ بسبب كثرة الاحداث التي جرت في البلاد، بين آب سنة ١٦٠٨ وحزيران سنة ١٦٠٩، ولا سيما "ضريبة التقشف والمظالم التي كانت تضير لبنان" حسب قول الدويهي (١٥). وحظّ هذا البطريرك كان كبيراً جداً بمعاصرته الأمير الكبير فخر الدين الثاني. ونال درع التثبيت من البابا بولس الخامس بعد انتخابه مباشرةً. وقد وصلته رسالة تعزية من قداسته بوفاة البطريرك السابق، بالاضافة الى براءة التثبيت ودرع الرئاسة. وقد "تلالأت به أنوار الفضائل، على حدّ قول المؤرخ بياجيوس، فتسامى بها حتى لُقّب بالقديس، وأغنى الكنيسة الشرقية بعلمه، وغذّاها بغيرته، وكان نعماً للموارنة لفضله واستيهاله..." (١٦). وفي عهده دخل مرسلو الكبوشيين والاخوة الصغار، و"عمّر النصارى عدة كنائس وركبوا الخيل بسروج، ولفّوا شاشات بكرور، وحملوا البنادق المجوهرة (خلافاً للشروط العمرية)" (١٧). واخذ الموارنة يتنفسون الصعداء بعد طول قهر وتقوقع وحرمان، إذ اعتمد الأمير فخر الدين الثاني عليهم لتسيير أمور الحكم، وعلاوة على اختياره ابا نادر الخازن الماروني مدبّراً له، فقد اعتمد على النصارى بشكل رئيسي حتى صار أكثر جنوده ومدبّريه وكبار الموظفين في ديوانه منهم.

وكان البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني قد أرسل الكهنة جرجس مارون، والياس بن الحاج يوحنا، من إهدن والشماس يوسف من كرم سدّه، والقس كسبار القبرصي، فور انتخابه لطلب درع التثبيت. وقد منحه البابا غريغوريوس الخامس عشر براءةً في اول تموز سنة ١٦٢٢ بعد ١٣ سنة من انتخابه. وقد غادر قنوبين سنة ١٦٠٩ لخلافه مع مقدّم بشري الشدياق خاطر. وفي الطريق أعلن حرمه بعد إلحاح من مرافقيه على هذا المقدّم، ثم التمس منه أحدهم رفعه إكراماً له، فأجاب البطريرك

مرافقه مازحاً: إذن سنلقي بالحرم على هذه الصخرة. ويروي المطران الدبس، ناقل هذه الطرفة، أنه سرعان ما انشقّت الصخرة، وما تزال حتى اليوم فوق الحدث، لكنه نمى هذه الرواية الى سذاجة مرافقي البطريرك (١٨). وعند وصول غبطته الى دير القمر حيث يقيم امير البلاد فخر الدين، استقبله الأمير بالترحاب، ونزل في ضيافته، ثم غادر الى قرية المجدل في الشوف التي كان قد اشتراها الأمير علي بن فخر الدين، وأسكن فيها بعض النصارى. وهناك بنى البطريرك كنيسة وداراً لإقامته. وفي الوقت الذي عرقل أعماله في قنوبين مقدّم الجبة الماروني، مكنّه من ممارسة طقوسه وصلاحياته في المجدل أمير الدروز.

ويظهر أن الموارنة كانوا قد عادوا الى ممارسة بعض الطقوس والعادات التي نبّههم اليها ونهاهم عنها الكرسي الرسولي، لذلك وجّه البابا بولس الخامس رسالة الى البطريرك مخلوف يحذّره فيها من ذلك. ويدعوه للتقيّد بقرارات المجامع التي عُقدت في أيام البطاركة الرزّيين. وأتبعها برسالة ثانية في العام ١٦١٢. وقد اورد المجمع اللبناني الغفران الذي منحه البابا بولس الخامس للبطريرك مخلوف، و"للشعب الماروني جميعاً... رجالاً ونساء، وأن تفيض بالنيابة عن الله ورسوليه القديسين بطرس وبولس وعنّا أيضاً، سجال البركة، وعلى جميع ما يختص بكم وبهم من الاملاك والحقول والبيوت والارزاق، مهما كانت، وذلك مرة واحدة فقط... بذاتك او بواسطة غيرك من الاساقفة، وتمنح الذين يشهدون هذه البركة وهم تائبون، ومعترفون حقيقة، ومعتقدون بالقربان المقدّس... غفراناً كاملاً، وتركاً لجميع خطاياهم. ونحن نطلب من الله ان يبسط يده مسبغاً عليكم بركته وعلى أرزاقكم، وعلى الأمّة المارونية الكاثوليكية بأسرها... كُتب في روميه لدى القديس بطرس في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٦١٢ للتجسّد الالهي، والثانية لحبريّتنا".

وفي العام ١٦٢١، لما ارتقى البابا غريغوريوس الخامس عشر، أرسل البطريرك موفداً لتهنئته وليلتمس منه البركة الرسولية، وطبع كتاب الشحيمة عملاً بوعد سلفه. فمات قداسته كما أشرنا في بداية مسيرة البطريرك مخلوف، قبل أن يتمكّن من استجابة طلبه. وقد أتمّ هذا العمل خليفته البابا اوربانوس الثامن الذي "اظهر نحو الموارنة عطفاً كبيراً... وعيّن معاشاً لمدرسة حوقا" (١٩). وكان البطريرك

مخلوف قد ارسل يخبر قداسته سنة ١٦٢٤ عن إنشاء مدرسة حوقا بواسطة الخوري يوحنا قرياقوس الذي صار اسقفاً فيما بعد، ولتهنئته بتسلّمه الكرسي الرسولي، وأرسل معه ١٢ طالباً لينضمّوا الى مدرسة رومية المارونية، وعاد بالهدايا وببراءة أثبت نصّها العنيّسي في مجموعته صفحة ١٣٧. كما أثبت الدويهي نصاً للبراءة التي أرسلها الى غبطته البابا اوربانوس في كتابه "الشرح المختصر" صفحة ٣١٣، وهي مؤرخة في شهر آب سنة ١٦٢٥. كما تلقّى البطريرك مخلوف رسالة من ملك فرنسا لويس الثالث عشر بتاريخ ٢٦ شباط سنة ١٥٢٦ يوصيه فيها بالاهتمام بالارسالية الكبوشية التي دخلت لبنان في عهده (٢٠).

وكانت قمة التعاون بين الامير فخر الدين والبطريرك مخلوف، هو تعيينهما ممثلاً مشتركاً لهما هو الاسقف جرجس عميرة سفيراً لدى الكرسي الرسولي في روما، وفي توسكانا، لينقل الى هذين المرجعين الغربيّين رغبة الأمير والبطريرك في تحرير البلاد من النير العثماني، واستعدادهما لإرسال جيوش لتخليص الاراضي المقدّسة. وقد تعاون الاسقف عميرة مع الممثّل البطريركي الثاني المطران جرجس مارون رئيس أساقفة قبرص، والعلاّمة السمعاني مندوب الأمير، لانجاح هذه المهمّة، إلاّ أن حرب الثلاثين سنة التي اشتعلت بين الكرسي الرسولي وملوك الغرب، ووباء الطاعون الذي تفشّى في ايطاليا، والمشاكل الداخلية في البلدين، حالت دون تحقيق هذه الرغبة. ووصلت أخبار هذه المساعي الى أذن الحكام الاتراك فأجهزوا على الأمير فخر الدين الثاني وفشلّوا طموحاته الاستقلالية ومساعيه، كما شاء القدر هو الآخر أن يطيح بالحليف الثاني البطريرك مخلوف في نفس العام، ليتّحدا معاً حتى في دخولهما عالم الخلود. ولكن هذه العلاقات مع الغرب لم تذهب سدى، فقد أثمرت ثقافياً وعمرانياً، مهندسين وطلاباً، عادوا الى البلاد بعد تخرّجهم ليكونوا مشاعل نور وهداية لأمّتهم. وفي عقد واحد من الزمن، أي بين العام ١٥٨٥ عام إنشاء المعهد الماروني في روما، والعام ١٥٩٤، وصل عدد المتخرجين من مدارس الغرب من الموارنة فقط الى حدود الاربعماية طالب، بينهم علماء وأدباء ومؤرخون وكبار رجال الدين الذين تركوا أثراً بالغ الأهمية في مجال الانماء والاعمار والثقافة والتحديث في شتى الحقول.

كما وردت الكرسي البطريركي عدة رسائل من الكرسي الرسولي تمتدح الامير وتقول: "لا نسمح إطلاقاً أن تتعرّض أية كنيسة، كاثوليكية للتخريب، في حين إنكم بصوت الرسول بطرس تدعون اوروبا لتحرير المشرق" التوقيع: البابا اوربانوس الثامن.. روما في ٢٥ كانون الاول سنة ١٦٢٨ (٢١). كما تلقّى البطريرك مخلوف رسائل أخرى من أمير توسكانا، وغيره من ملوك الغرب، ولكن الدعم المطلوب بقي حبراً على ورق. ومات البطريرك في ١٥ كانون الأول سنة ١٦٣٣ ليخلد الى الراحة في ثرى قنوبين بجوار سلفائه البطاركة، في حين مضى صديقه الأمير مكبّلاً بالسلاسل الى الآستانة ليلقى مصير كبار الابطال المجاهدين ويموت بعد سنتين مستشهداً في سبيل الدفاع عن حرية واستقلال بلاده.

# ٢ـ فخر الدين الثاني الكبير ومشروع الوطن

## الامير والمدبّر

استلم كبير أمراء لبنان فخر الدين الثاني حكم البلاد في اواخر القرن السادس عشر جاعلاً الماروني أبا نادر الخازن كبير مدبّريه، سنداً له، فرسما الخطّة معاً لتوحيد البلاد، تمهيداً لاعلان الوطن اللبناني الكبير، ورسم حدوده، بالتعاون مع قادة الغرب المسيحي. وكذا كُلّف العلاّمة ابراهيم الحاقلاني لتمثيل الأمير في الغرب بالتنسيق الكامل مع ممثّل البطريركية المارونية في روما الخوري جرجس عميرة.

وكان الهدف من وراء كل هذه المساعي، والاتصالات الواسعة، تحقيق الاستقلال للبنان الكبير الذي يضمّ كل الطوائف والمقاطعات اللبنانية. ومجرّد العمل لمثل هذا الهدف كان كافياً لاعتبار العثمانيين انه عدوّ لدود، لا بدّ من انتظار إعلانه الحرب على السلطنة العثمانية لضربه وإبعاده عن السلطة.

وقد نجح الأمير فخر الدين في مساعيه التوحيدية، إذ لم يمض سنوات قليلة على استلامه الحكم حتى أصبح سيّد لبنان الأول والمطلق.

## علاقات فخر الدين بالموارنة

وضع الأمير فخر الدين نصب عينه خطّة ثلاثية لتحقيق اهدافه الاستقلالية: فاستعان "بالموارنة، على حدّ ما ذكر الأب بولس قرألي، على التوسّع، والتوطّد، واستعانوا به على إنشاء وطن قوميّ لهم" (١).وقد توصل الدروز في عهده الى

"تقبيل يدي مطران صيدا، واعتباره مطران الدروز" (٢) وهذا مـا دفع البطريرك يوحنا مخلوف والبطريرك الدويهي من بعده، للسكن في المجدل، في قلب الشوف الدرزية، وتحت حمايته، بعدما اختلف البطاركة مع مقدّم بشري خاطر الماروني ومشايخ آل حماده الشيعة، وولاة طرابلس العثمانيين. وكان الامير فخر الدين، كما أشرنا سابقاً، قد وهب البطريرك والنصارى قطعة أرض كبيرة في مجدل معوش من املاكه، "وبنى فيها البطريرك (مخلوف) كنيسة وداراً، واستمرّ فيها حتى قصد زيارة القدس الشريف" (٣). ثم اختار الامير المعني كبار معاونيه ومدبّريه من خيرة رجال الموارنة، وكان مدبّره الأول، و"كبير قواده أبا نادر الخازن" (٤). اما مدبّره الثاني فكان الحاج كيوان نعمه الذي يرجّح كونه من أسرة نعمه المارونية في دير القمر، وقد اختلف المؤرخون في تحديد هويته. كما جعل أمين بيت المال الشيخ يونس حبيش الماروني. ويُروى أيضاً أن الامير فخر الدين نفسه تعمّد واصبح مسيحياً على يد طبيب وراهب من أعضاء الارسالية الكبوشية التي دخلت لبنان في عهده. وقد ذكر المطران بطرس ديب نقلاً عن لسان الطبيب الكبّوشي أدريان دي لابروس انه "عمّد فخر الدين وأسماه في العماد لويس فرنسوا سنة ١٦٣٣"، أي قُبيل اعتقاله وسوقه إلى الآستانة من قبل العثمانيين. وقد حدّثني شخصياً رئيس دير الكبوشيين في البترون الأب سليم رزق الله أن بحوزته وثيقة عماد الأمير فخر الدين، وهي محفوظة في ارشيف الكبوشيين ولم يتسنَّ لي التحقّق من ذلك.

ويضيف المطران ديب حول اعتماد الامير فخر الدين، أن الكاهن والطبيب الكبّوشي أقسم ألا يفشي هذا السرّ. ولما حاول الأمير إعطاء الأب أدريان بعض الاموال لتعليم أبنائه (ابناء الأمير)، وتنصيرهم على يد فرسان مالطه "عارض أبو نادر الخازن هذا الأمر، وحال دون تنفيذه، تجنيباً للأمير من ردّات الفعل السلبية من جانب العثمانيين والمسلمين" (٥). ويضيف المطران ديب أن هذه المعمودية ربما كانت وراء التعجيل في إعدامه لأنه صدر في حيثيات حكم الاعدام "جحد الاسلام، ومال الى المسيحيين". ولما سمع الأمير هذا الحكم "جثا على قدميه، والقول للمطران ديب، وراح يصلّي، فأمر السلطان بقطع رأسه فوراً. ولما جُرّد من ثيابه عُثر على صليب معلّق بسلسلة ذهبية على صدره" (٦).

اما الخطة الثانية التي اعتمدها الأمير لتحقيق أهدافه الاستقلالية، فكانت توثيقه علاقاته بملوك الغرب والكرسي الرسولي. وللوصول الى غايته سافر في العام ١٦١٣ الى إيطاليا ونزل بضيافة امير توسكانا فرديناند وابنه قوزما الثاني، محاولاً إقناعهما بالتعاون لتنفيذ مشروعه الاستقلالي، ومدّه بالمدافع والمعدّات الحديثة والمهندسين. وتعهّد بالمقابل حشد رجاله الأشدّاء وتخليص الأراضي المقدّسة وتسليمها لامراء توسكانا. لكن الممالك الاوروبية كانت منشغلة بحرب الثلاثين عاماً، فلم تثمر جهوده. وعاد في العام ١٦١٨ محاطاً بالمهندسين الغربيين الذين اصطحبهم من ايطاليا لاعجابه بالتقدّم الزراعي فيها، لخلق نهضة زراعية وعمرانية في بلاده.

## ضرب أعدائه وممالأة العثمانيين وتوسيع حدود بلاده

اما الخطّ الثالث الذي سلكه الامير المعني الكبير للوصول الى أهدافه الكبيرة، فكان ضربه أخصامه الذين يشكّلون عقبة في طريقه، واولهم الامير يوسف سيفا حاكم الشمال، فهاجم عكار، وهدم قصور السيفيين فيها الذين كانوا قد اعتدوا على قصور المعنيين أثناء غيابه عن دير القمر، وعاد بها فرمم قصور دير القمر. ثم بسط نفوذه على كامل المنطقة الممتدة من صفد ونابلس وعجلون الى حدود حلب واللاذقية. كما صاهر الشهابيين حكام وادي التيم والبقاع الغربي، وقضى على امراء البقاع من بني فريخ والحرفوش، وضم مناطقهما الى إمارته، وغدا السيد الوحيد على هذه الرقعة الواسعة من الأرض، فحاول العثمانيون كسبه الى جانبهم بإغداقهم عليه المقاطعات والألقاب وبينها "امير عربستان"، و"سلطان البر" وهذا اللقب كان يحمله أيضاً جدّه الامير فخر الدين المعني الاول، ولكنه رفض كل هذه الألقاب معلناً أنه "أمير لبنان والشطوط البحرية"، و "امير لبنان وصيدا والجليل"، ولم يبق إلاّ أن يعلن نفسه "سلطاناً"، على حدّ قول الدكتور فيليب حتّي في "تاريخ لبنان" (٧).

## أمير لبنان الكبير

ولم يمض العام ١٦٢٣ حتى اصبحت حدود إمارته تمتدّ من حلب شمالاً الى

البحر الاحمر جنوباً، وبادية الشام وحوران شرقاً، والبحر المتوسط من مصب العاصي، الى عكاء غرباً. وهي الرقعة الأوسع التي عرفها لبنان عبر تاريخه، وتكاد تكون نفس الحدود التي بلغها الوطن الماروني في عصره الذهبي (٦٨٥-١٣٠٠). وأبلغ الأمير فخر الدين قداسة البابا اوربانوس الثامن سنة ١٦٢٤ "انه استولى على كل البلاد المجاورة له حتى انطاكية بجيش مؤلف من النصارى" (٨). وأثبت لملوك الغرب أنه كان جاداً عندما عرض عليهم التعاون لتخليص هذه المنطقة من يد العثمانيين، وأن بامكانه أن يؤمّن العدد الكافي من الرجال لتحقيق هذا الهدف، إنما ينقصه السلاح الحديث لمواجهة السلطنة العثمانية بأساطيلها ومدافعها. وكان من المعروف أن الشيخ ابا نادر الخازن، مدبّر الأمير، كان يشارك الى جانبه في كل الحروب التي خاضها على رأس جيش مؤلّف من خمسة وعشرين ألف جنديٍّ ماروني. وبالاضافة الى هؤلاء الرجال، كان يضمّ جيش الأمير فرقاً من الدروز والنصارى والسكمان المرتزقة. وقد كتب الرحّالة دي منغو ماغري (Magri) يقول: "لقد تضاءل عدد الدروز لأن ابراهيم باشا والي القاهرة أقنعهم خدعة سنة ١٥٨٣ بتسليم سلاحهم، وارتدّ عليهم فجاة، فقتل ستين الفاً. فلا يسع الأمير اليوم أن يجنّد منهم أكثر من إثني عشر ألفاً. بيد أن عشرين ألفاً من الموارنة يحاربون تحت لوائه... وأغلب قوّاده منهم... وكان القائد العام لهذا الجيش أبا نادر الخازن الماروني" (٩).

اما المستشرق ماريتي (Maritti) فقد رأى أن الامير مع أنه كان بحاجة الى مرتزقة في جيشه، إلاّ أنه كان يخشى الاعتماد على العربان. و"في العام ١٦٣٤ (١٦٣٣ هي الاصح) فضّل ضياع ملكه على السماح لهؤلاء العرب أن يدوسوا أرض لبنان" (١٠). وربما لأن العرب المسلمين قد ينضمّون في أي لحظة الى أخصامه بدافع روابط الدين، هذا فضلاً عن تزاحم الامراء المسلمين والدروز على السلطة، بينما الموارنة لم يكونوا يطمعون بالحكم، وقد أثبتوا إخلاصهم في عملهم كمدبّرين في كافة العهود، ومع مختلف الامراء بقطع النظر عن انتمائهم المذهبي. وتكفي مراجعة صغيرة لما حلّ بآل حبيش على يد يوسف سيفا لأنهم رفضوا الانصياع له وخيانة امرائهم بني عساف، وسعد الخوري الذي قضى بجانب سيده الأمير يوسف

في عكا، وكذلك المدبّر الآخر سمعان البيطار الذي لازم الامير يوسف حتى آخر حياته، وآل باز الذين غدر بهم الأمير بشير رغم إخلاصهم له، والامراء الخازنيين الذين حملوا أولاد المير يوسف وأخلصوا لهم رغم كل المغريات والتهديدات، وسواهم من قادة الموارنة الذين أثبتوا وفاءهم وصدق تعاملهم مع رفقاء الصف والمصير.

## مشروع الوطن عند الامير فخر الدين الثاني الكبير

ورغم إنتقاص الدكتور كمال الصليبي من قيمة الدور الذي قام به الأمير فخر الدين لتحقيق "الفكرة اللبنانية" على حدّ تعبيره، او "مشروع الوطن"، يرى مع ذلك "أن هذا الأمير وضع حجر الأساس للكيان اللبناني الذي قام من بعده. وهذا الكيان هو أساس الفكرة اللبنانية التي تصوّرها الاسطورة التي نمت حول فخر الدين، خير تصوير" (١١).وهذا ما أشار اليه الاستاذ أحمد بيضون في كتابه "الصراع على تاريخ لبنان"، الذي يضيف: "إن تاريخ لبنان الحديث يبدأ بعهد فخر الدين، عندما دخلت البلاد للمرة الاولى تحت حكم محلّي واحد" (١٢).

وإن أخذ عليه (على الامير فخر الدين) بعض المؤرخين الاتكال على الغرباء، ولا سيّما الغرب، لتحقيق أهدافه، ونعته بعضهم "بالخائن" لمحيطه العربي والاسلامي، إلاّ أن هذه التهم لا تعطي صورة صادقة عن شخصية الأمير وأبعاد أهدافه الوطنية المخلصة. فالامير فخر الدين لم يكن يعمل لدعم احتلال بلاده من الغرباء على الاطلاق، بل لرفع النير العثماني عنها، والاستقلال بها تحت حكمه ومن بعده ذريّته المعنية. فالقصد من اتصاله بالغرباء كان توخّي الدعم المطلوب لتأمين استقلال الوطن، ومن خلاله تأمين سلامة المواطنين المسيحيين الذين كانوا يعانون من الاضطهادات على اختلاف أشكالها، وبطريركان كبيران لجأا اليه هرباً من مثل هذه التعدّيات. وطن الامير فخر الدين الذي عمل من أجله ليس وطناً مسيحياً، ولا وطناً إسلامياً، بل وطناً لبنانياً، يعيش فيه الجميع بكرامة وحرية واستقلال، وهذا منتهى الاخلاص والوطنية، وأبعد ما يكون عن الخيانة والعمالة، وهو شأن كل عامل في الحقل الوطني، مدرك لألعاب السياسة، ولا سيما في هذه المنطقة من العالم التي لم يرفع كبار قادة الامم العظمى أيديهم يوماً عنها، شئنا

ذلك أم أبينا. وأكبر شاهد على ما نقول هو الوعد الذي قطعه له أمير توسكانا بتأمين جزيرة في اليونان للمسيحيين اللبنانيين، وتنتهي "القضية الشرقية" التي كلّفت الغرب الكثير من الجهود والدماء والاموال، ولم تنته بعد. والردّ الذي جابه الأمير به حكام الغرب وافحمهم هو أيضاً خير شهادة لسلامة وطنية الأمير وإخلاصه للقضية، إذ قال: "لست هنا لأبحث عن وطن بديل أنقل شعبي إليه، بل لانقاذ وطني من نير غاصبيه... أنا هنا أطلب الدعم لتعزيز استقلال بلادي، وتثبيت شعبي في أرضهم، وليس لاقتلاعهم من جذورهم، وزرعهم في أرض غريبة".

ومهما قيل في الأمير، يبقَ عهده "العصر الذهبي" الذي عاشه لبنان "الوطن"، وفيه تكوّن في رحم الأرض اللبنانية ما سمّي لاحقاً "، بالكيان، والوطن، ولبنان".

يخطئ من يظنّ أن الفرنسيين، في فرساي، أو سان ريمو، أو في غيرهما، هم الذين خلقوا الوطن وأنجبوا لبنان. لبنان الوطن تكوّن على يد مهندس أكبر، وأقدم منهم بكثير، لبنان من هندسة الامير المعني الكبير، والآخرون، عثمانيين كانوا، ام عرباً، ام فرنسيين، ام انكليز، صغّروا الرقعة التي شاءها الأمير، وقضموا منها هدايا للآخرين، كي يسكتوا عن تقسيمهم جبنة الشرق فيما بينهم.

والفضل وحده للأمير فخر الدين المعني الكبير في توحيد الشعب، قبل توغّل المسيحي، والماروني على الأخص، في كافة القرى والمناطق الدرزية والشيعية والسنيّة، في حين لم يجاور أحد أبناء هذه الملل أبناء الملل الاسلامية الأخرى في أي قرية او مزرعة من المزارع. فقط سكن هؤلاء المدن الكبرى لغايات تجارية، وشكّلوا فيها أحياء مستقلة ومنغلقة، أشبه ما تكون بقرى مستقلّة ومعزولة تماماً عن الاحياء والقرى الأخرى. وحده الماروني جاور المسلم في لبنان وتقاسم وإياه الارض والرغيف.

وبسبب وجود الامير فخر الدين في قصره في ساحة البرج من بيروت شتاءً، أمّ هذه المدينة مسيحيّو لبنان، ومسلموه، لأنهم يدركون تماماً انه حيث يكون الأمير، يكون العدل والأمن والحرية والاستقرار. وبفضله أخذت هذه المدينة تنمو وتزدهر، قرناً بعد قرن، حتى اصبحت عاصمة الوطن الذي خطط لخلقه الأمير

المعنيّ الكبير.

وخير شاهد على ما نقول أن الأمير فخر الدين في العام ١٦٠٧ كلّف والي حلب علي جانبولاد او جنبلاط المسلم، وممثّل البطريرك الماروني يوسف الرزّي ميخائيل قريع لمقابلة أمير توسكانا فرناندو، والطلب إليه باسم جميع اللبنانيين تخليص القدس من أيدي العثمانيين وتحريرها، واستعداد اللبنانيين بكافة فئاتهم ومذاهبهم القيام بهذا العمل شرط امدادهم "بالذخائر والمؤن من قبل روما، وملك إسبانيا". و"تعهّد الأمير بإعفاء المسيحيين الحاجّين الى القدس من كل الرسوم، لا سيما رعايا البابا بولس الخامس... وبإطلاق حرية التجارة في الاساكل والمدن الخاضعة لسلطاننا، وإعطاء الافضلية للأمّة الفلورنتية على غيرها... ولسفيرها، او لقنصلها أن يحكم بحسب شرائعها، ولا يحقّ لأحد من مواطنينا التعرّض لشؤونهم..." (١٣). ودارت الدائرة على الوسيط الجنبلاطي والي حلب فخسر ولايته التي انتزعها منه مراد باشا سلطان العثمانيين، واضطر للهرب الى هنغاريا حيث صدر امر بقتله فقُطع رأسه وأُرسل الى السلطان، واضطُرّ رباح بن جانبولاد او جنبلاط للنزوح الى لبنان سنة ١٦٣٠ ليعيش فيه الجنبلاطيون بحمى الأمير (١٤).

ورغم المعاهدات التي نُظّمت بين الأمير فخر الدين وأمير توسكانا بواسطة ممثّله، وممثّل البطريرك مخلوف جرجس عميرة لدى روما والغرب، والتي تتضمّن التعهّد بتسليح الأمير فخر الدين، ومساندته في حربه ضدّ العثمانيين، ومدّه بالمدافع؛ لم يحصل الأمير على وجه من وجوه الدعم، باستثناء بعض البنادق الهدية التي سبقت المعاهدات. وطُوّق الأمير في عقر داره، واستمرّت حربه طويلاً مع العثمانيين، فلم يتحرّك ملوك الغرب، ولا دوق توسكانا لنجدته، ولا حتى لامداده بالمدافع والذخائر عملاً بموجب الاتفاق المعقود بينهما. وكل ما حصل عليه من الغرب، بعض المهندسين الذين ساعدوه في بناء الجسور، وإقامة بعض الحدائق والبساتين الزراعية، وبناء قصر وبرج مجاور له في مدينة بيروت. وضيّع الأمير حلمه الذهبي، وأضاع الغرب فرصةً ثمينةً لم يُتَحْ له سواها، لكي يرسّخ أقدام المسيحيين، لا بل اللبنانيين من كل الطوائف، في هذه البلاد، وصيانة مقدّساتها لتظلّ ملكاً لأبنائها، وموئلاً أميناً للحاجّين إليها من كل بقاع الأرض. ولو فعل

الغرب يومها ما طلب منه الأمير، لكان اليوم على رأس البلاد المشرقية كلّها حاكم من سلالة الأمير، او أي أسرة أميرية لبنانية أخرى، يحكم باسم كل اللبنانيين، بعيداً عن التعصّب والطائفية، مطبّقاً النهج المعني الذي كان يرسمه لها وكم كان ارتاح الشرق، ولم يعد فيه قضية يهتمّ لها ويحتجّ بها الغرب، والعالم بأسره، للتدخّل في شؤون هذه البلاد ومصير شعبها كلّما عنّ لهم ذلك.

وعبثاً حاول الأمير إقناع الغرب والكرسي الرسولي بنواياه واهدافه، رغم وفرة الرسائل والممثلين الذين انتدبهم للقيام بهذه المهمة. وبعد الحاقلاني وعميرة، تمّ تكليف الاسقف جرجس مارون، اسقف نيقوسيا القبرصية الماروني، وهو أيضاً من أسرة عميرة، "ليكون سفيره لدى امير توسكانا، بغية عقد معاهدة لانتزاع الأرض المقدّسة من يد العثمانيين" (١٥). وعلى مدى أربع سنوات من العام ١٦٢٥ إلى العام ١٦٢٨ كرّر الأمير بواسطة ممثليه طلبه هذا، ورغم الحاحه لم يحصل على نتيجة. وقد ورده كتاب من قداسة البابا اوربانوس الثامن يشيد فيه بمناقبية الأمير، ويعتذر له قائلاً: "إن أحوال اوروبا لا تسمح حاليا بالسعي وراء مشروعكم النبيل"(١٦). كما كتب قداسته كتاباً مماثلاً الى البطريرك الماروني يوحنا مخلوف "مبدياً أسفه لعدم إمكانه إنتهاز هذه الفرصة الثانية التي قدّمها الأمير عن كرم نفس ونبالة لتخليص الامة المارونية والأراضي المقدّسة. لكنه يأمل أن يتمكّن الأمير يوماً من القيام بهذا المشروع الخطير" (١٧).

وفي العام ١٦٣١ عيّن الأمير فخر الدين العلاّمة الحاقلاني سفيراً لدى أمير توسكانا علّ ما عجز عنه الأساقفة ينجزه المفكّر العلاّمة استاذ اللغات في المعهد الملكي الفرنسي، والواسع النفوذ في بلاط الكرسي الرسولي. وعبثاً حاول السفير الجديد تحقيق ما فشل في تحقيقه السفراء السابقون، وهو إقناع الغرب بمساندة الأمير فخر الدين في مشروعه الوطني والاستقلالي. وكل ما استطاع عمله، هو الافصاح أمام البابا بولس الخامس ليتبادل مع الأمير عدة رسائل. ويبدي الأمير في إحداها اعجابه بقداسة البابا المذكور باعتباره "الشخص العظيم الذي يطيعه الامراء والملوك والأباطرة، وينطرحون على قدميه خاضعين لأدنى إشارة تصدر منه، ذلك الاله الأرضي صاحب السلطة العليا الفريدة على الأرض...". ورغم كل هذا

الإطراء، والتعبير عن قدرة الحبر الاعظم على لعب دور كبير في الشرق، لم يصدر عن قداسته إلاّ ردّ على الكلام بمثله، وبما لا يخرج عن العواطف والمجاملة، معنوناً رسالته بالقول: "قائد الدروز النبيل، وأمير لبنان وفلسطين وفينيقيه"، ومتمنّياً على البطريرك الماروني يوحنا مخلوف "أن يرعى صداقة فخر الدين، ويقف مع الموارنة بجانبه ليتمتّع بحمايته، ويساعده على تخليص أمّته من ظلم الاتراك، ويجتذبه الى يسوع المسيح" (١٨).

وفي الوقت الذي كانت فيه الحاجة ماسة الى السلاح، لم تخرج الرسائل المتبادلة عن المجاملة والكلام. ولكن الأمير لم ييأس بل كتب الى الغرب واعداً "بتتويج امير توسكانا ملكاً على اورشليم، وتادي بربريني إبن اخي البابا أميراً على قبرص، وبإشهار نصرانيته، وتعميد اسرته وذويه، وحمل أمّته على الاقتداء به... وعليهم (ملوك الغرب) أن يبعثوا إليه بحاجته من الذخائر والاعتدة الحربية، وعلى الاخصّ المدفعية، واسطولاً مؤلفاً من زهاء خمسين غليوناً (مركبا) يحتلّ جزيرة قبرص، ويدافع عن سواحل لبنان، وهو الكفيل أن يقف وحده في البرّ بوجه كل القوات العثمانية..." (١٩).

وكانت هذه رسالته الأخيرة الى امراء الغرب، وبعدها اعتُقل الامير المعني الكبير في خريف العام ١٦٣٣، بعدما داهمته جيوش العثمانيين من البرّ والبحر، أمام أنظار الغرب الذي غسل يديه من دمّ هذا الصديّق، ومثله فعل حلفاء الامير اللبنانيون أنفسهم.

والمؤسف في علاقات الدول ببعضها، أنها دائماً تخضع لميزان المصالح الشخصية، ولا قيمة إطلاقاً للمبادئ والمشاعر والقيم. كل الشعارات، والموازين، والمواثيق تسقط، إلا ميزان واحد، هو مقدار الربح المادي المحسوس والمباشر من أي موقف يجري الاقدام عليه، على طريقة "عصفور في اليد ولا عشرة في الشجرة"، ولا فرق سواء كان غرّيداً، ام جارحاً.

وفي كتابهما المشترك "السياسة الدولية في الشرق العربي" يشير وزير لبنان المفوّض في روما الاستاذ أميل خوري، والسفير عادل اسماعيل، الى أن أمير

توسكانا فرديناندو كان قد "اتصل بواسطة احد عملائه، كاتشياماريا، بفخر الدين المعني امير لبنان فعقد معه في صيدا سنة ١٦٠٨ إتّفاقاً سرياً على الامور التالية":

١- تزويد فخر الدين بخبير لصب المدافع، ووضع القنابل.

٢ - السعي لدى البابا لتسليح فخر الدين ببراءة يأمر فيها جميع مسيحيي الشرق بالانضمام اليه ومساعدته.

٣ - اصدار امر الى كل المراكب التوسكانية القاصدة الى الشرق للرسوّ في مرفأ صيدا.

٤ - تزويد الأمير بجواز سفر الى ايطاليا...

و"لكن هذا الاتفاق السرّي، يضيف الدبلوماسيان، لم يَخْفَ أمره طويلاً على السلطان، فوقف على تفاصيله من التجار البريطانيين المقيمين في صيدا..." (٢٠).

## سقوط الأمير

وأخيراً سقط الامير الكبير امام انظار الغرب حيث كان يعتقد أن له فيها حلفاء، وامام رفاقه امراء لبنان الذين تخلّوا عنه، وكان يرى بينهم أصدقاء، بعدما بلغ الوطن في عهده أوج مجده، واوسع حدوده، وأمنع قوّته. و لا يزال هذا الوطن حتى اليوم بانتظار فخر دينٍ آخر، من هؤلاء القادة العظام الذين لا تعطاهم الامم والشعوب، ولا يجود بهم الدهر، إلاّ في مراحل متباعدة من الزمن. مات القائد الكبير، واستمر القهر والظلم والحرمان، والتقسيم، في كل بلاد الشام، من إنطاكية وحلب شمالاً، الى غزّة وصفد وعجلون جنوباً، الى بادية الشام شرقاً، والمتوسط غرباً... "مات البطل الذي في عهده، والقول للمؤرّخ احمد الخالدي عُمّرت البلاد ورجع من كان نزح منها من العباد... واكتست رونق الحسن والجمال، وتسربلت بسربال البهاء والجلال، وهجم على اصحابها السرور والفرح، وزال عنهم أنواع الغمّ والهمّ والترح، فعاشوا بظلّه بعيشٍ رغيد..."(٢١) . ويبقى قبل أن ننهي كلامنا عن الأمير فخر الدين، هذا السؤال:

## هل توحّد لبنان في عهد فخر الدين الثاني؟

هذا السؤال عنون به المؤرخ جورج هارون مقاله في الكرّاس رقم ١٩ من محاضرات الكسليك للعام ١٩٧٩، ورأى انه "في المناطق غير الدرزية، ولا المارونية، لم تكن تعدو سيطرة الامير النطاق العسكري والأمني"، وإن سكان معظم منطقة البقاع الشيعة وقفوا من "إمارة" فخر الدين موقف الشيخ بشير جنبلاط والدروز من الأمير بشير الثاني الكبير، وبالأخص في اواخر عهد هذا الأخير، او موقف المحمّديّين من "لبنان الكبير" قبيل عهد الاستقلال، فلم يُعرف عنهم سوى التنكّر للكيان والسلبية والمعارضة" (٢٢). ويتابع الأستاذ هارون مشبّهاً موقف فخر الدين من توحيد لبنان، بموقف المحمديين من "لبنان الكبير" قبيل عهد الاستقلال. ثم يقول: إن الجيش الذي جهّزه الأمير كان "يؤلّف الموارنة والدروز أكثريته الساحقة، فلم يكن فيه للشيعة سوى فرقتين، وللسنيين سوى نفر من الضباط... وكان لهذا التحيّز الطائفي نتائج بديهية، بينها التفسّخ العسكري في المعارك التي خاضها الامير"(٢٣) . ولذلك عندما حاق بالامير، والقول للمؤرخ جورج هارون "خطر السقوط لم يتخلّ عنه... السنّة والشيعة فحسب، بل الدروز أنفسهم، ولم يصمد معه سوى الموارنة حتى آخر مقاتل منهم"(٢٤) . وفي رأيه "أن الموارنة والدروز لم يتّجهوا نحو تشكيل "أمّة"، حتى في أيام فخر الدين، وبقيت كل من الطائفتين وليدة تاريخ منفصل. كان الامير وحده نقطة لقاء شبه هندسية، إن جازت العبارة، (اي إنها تكاد تكون بدون مساحة)، ما بين الطائفتين. إذ كان "الكلّ في خدمته، من أجل خدمة كل فريق لذاته..."، لا خدمة وطن يعترفون بالانتماء إليه جميعهم".

وهذه النظرة الى الوطن، التي تحدّث عنها جورج هارون، وفي نظره لم تساهم في توحيد لبنان في عهد الأمير فخر الدين الثاني، ليس مردّها لعدم الولاء للوطن أو للأمير، بقدر ما هي نابعة من الروح الفردية التي كانت تسيطر على المجتمعات في القرون الوسطى. حتى اوروبا نفسها لم تشهد بلداناً موحّدة خاضعة لحاكم واحد، بل ممالك على رأس كل منها حاكمها الخاص، في إيطاليا، كما في اليونان، وفي معظم الدول الاوروبية. وحده الشرق تحت تأثير الاحتلال العثماني، وبالقوة، توحّدت بلدانه تحت ظل حكم عثمانيّ واحد، وسرعان ما تفتت هذه السلطنة عندما

ضرب اوصالها الضعف فتحلحلت الى اوطان متفرّقة، ومستقلّ بعضها عن بعض.

ويشير المؤرخ بولس نجيم الى أنه فهم مشايخ لبنان الرئيسون "أن المحافظة على استقلال الجبل تقتضي الاتحاد مع الدروز". وهذه الضرورة جعلتهم يختارون "زعيماً مشتركاً للبنانيين". ولم يقع الاختيار على أمير معنيّ إلاّ "لتسكين حساسيات الدروز"، وليكون في عنصر هذا الأمير مزيد من النصرانية، يُبرز المؤرخ أن الموارنة ربّوه في كسروان، ويُبرز دور مربّيه المسيحيي حضور أبي نادر الخازن، وابي ضاهر حبيش (المارونيان) الى جانبه منذ أوائل حكمه. و"برغم أنه كان درزياً، بدا منذ البدء زعيماً طبيعياً لجميع اللبنانيين دونما تمييز"(٢٥). ويتابع الاستاذ نجيم تحليله لحكم فخر الدين معتبراً أنه "شأن كل الكبار من مؤسسي الدول، شأن فيليبس (مؤسس اليونان) واوغطس (موحّد الرومان) وبسمارك (موحّد المانيا)، وكافور (موحّد الفرس)، أن يعثر أولاً على حلفاء، وأن يفتّ في عضد أعدائه قبل أن يهاجمهم مباشرة" (٢٦) . وبذلك يرى المؤرخ المذكور أنه ايقظ الوحدة الوطنية، و"الشعور (الوطني) عند أهل الجبل جميعاً".. فكان لبنان يشهد في هذا "الطاغية المستنير" او "المستبدّ العادل" روعة "عصر النهضة"... وعاد الامير من رحلته الى ايطاليا "بتصورٌ للملك بالحقّ الالهي، مصمّماً على تحقيقه لمصلحته... فلم يعد يتحمّل تبعيته لاسطنبول... وباشر منذ سنة ١٦٢٠ إعداد حرب الاستقلال.. واصبحت إمارته "أشبه بأقطار اوروبا الغربية المتمدّنة، منها بولاية من ولايات الباب العالي"... وعمل ما هو أكثر من تأسيس "الدولة" اللبنانية بصفتها "كياناً مستقلاً"، وكان يريد أن يرى هذا الكيان مختلفاً عن الوسط المذكور..." (٢٧) .

وعلى هذا الأساس يرى الأب بولس قرألي أن الدولة العثمانية اعترفت به "سلطان عربستان" (١٦٢١ ـ ١٦٢٩)، فحقّق "الوحدة الوطنية" بضمّه السنجقيات (عجلون ـ صفد ـ بانياس)، وعقد المعاهدات مع توسكانا لحماية "حدود لبنان الجنوبية (بقوات توسكانا) وبأسطولها وشواطئه وموانئه". ثم وجّه السفراء الى الغرب "ومنهم المطران جرجس بن مارون، ويوحنا الحصروني (وابراهيم الحاقلاني)"، وكان "احتلال الاراضي المقدّسة هدفه السياسي الاعلى" (٢٨) . وفتحت هذه السياسة الرشيدة أمام فخر الدين "باب التوسّع في فلسطين وسوريا، على

مصراعيه، فأنشأ مملكة عظيمة طالما حلم بها الوطنيون، تضمّ سوريا ولبنان وفلسطين، بيد أن لبنان كان سيّدها، وأميره سلطانها" (٢٩) . وفي رأي قرالي أن رعاية الأمير للنصارى، حدّث عنها ولا حرج، إذ "لما نادى فخر الدين في رعاياه بالحرية الدينية والمساواة المدنية والاخاء، صالح المسيحيين مع الوطن، وصالح الوطن معهم.. فإن ميل فخر الدين الى المسيحيين واحترامه إيّاهم، وإعجابه برقيّهم واستقامتهم، وعدالة امرائهم، ونظام ممالكهم، والفائدة الأدبية والسياسية التي كان يرجو الوطن من صداقتهم ومحالفتهم حملته على وضع ثقته وأماله بدول اوروبا المسيحية القوية ،الفنية، عدوّة آل عثمان الطبيعية..." (٣٠) .

اما المؤرخ عادل اسماعيل، فيرى أن فخر الدين "فهم ... على نحو يثير الاعجاب، أن التسامح الديني كان ولا يزال اول واجبات الحكم في سبيل قيام وطن، ونجاحه في لبنان... (٣١) . والمؤرخ ميشال شبلي في السياق نفسه يشير الى أن هذه الحرية (الدينية) التي أرسى فخر الدين دعائمها منذ القرن السابع عشر ليست أقلّ من مؤهلات لبنان للاستقلال" (في الصفحة ١٧٧ من كتابه الفرنسي "فخر الدين المعني الكبير أمير لبنان" الصادر في بيروت سنة ١٩٤٦).

وهكذا نرى أن معظم مؤرخينا قد أجمعوا على أن سياسة الأمير فخر الدين الاستقلالية، كانت ترمي إلى خلق كيان لبناني مستقلّ يتّسم بالتسامح الديني. ولكنه رغم كل المحاولات الحثيثة والالحاح المستميت على دول الغرب لمساعدته، عجز عن تحقيق هذا الحلم، مع أنه بتوحيده البلاد، ولو بالقوة، قد أرسى دعائم اسس الوطن الواحد الجامع للعائلات والمذاهب اللبنانية تحت سقف حكم واحد. فالاستاذ كمال جنبلاط يقول في كتابه "حقيقة الثورة الدرزية" الصادر في بيروت سنة ١٩٧٨ صفحة ١١٥ ـ ١١٦: "الأمير فخر الدين بن قرقماس بن معن الدرزي، الأمير المشهور، من طائفة كلّها امراء...". كما أكّد درزية الأمير أيضاً كل من المحبّي، والدويهي، والصليبي، وقرالي، وغيرهم، حسبما يشير عبّاس ابو صالح في كتابه :"تاريخ الموحّدين الدروز" في "المشرق العربيّ" الصادر سنة ١٩٨٠ صفحة ١٢٩ . وربما كان الأب بطرس ضو أكثر المؤرخين جزماً "بمسيحيّة" الامير فخر الدين، وعطفه وتسامحه مع كل الطوائف، والتأكيد على رواية تنصّره، في كتابه

"تاريخ الموارنة"، الجزء الرابع صفحة ٢٠٨ ـ ٢٠٩. ونحن بدورنا قد أكّدنا هذا الخبر في موسوعتنا "لبنان عبر الأجيال" الصادرة عام ١٩٩١ ـ مجلّد خامس ـ صفحة ٩١.

وسواء أكان الأمير فخر الدين مسيحياً او محمدياً درزياً، فهو اول أمير في تاريخ لبنان حاول جمع كل الامراء، والمناطق، والمذاهب، في وطن واحد، لا لون طائفياً له. وعلى حدّ تعبير الدكتور كمال الصليبي الذي أتهم الأمير بالتقصير في مجال تحقيق "الفكرة اللبنانية"، والوحدة الوطنية، هو "واضع حجر الأساس للكيان اللبناني الذي قام من بعده، وهذا الكيان هو أساس الفكرة اللبنانية التي تصوّرها الاسطورة التي نمت حول فخر الدين، خير تصوير" (٣٢). كما إنه يعترف أيضاً كما أشرنا سابقاً انه للمرة الاولى، في عهد فخر الدين، دخلت البلاد تحت حكم محليّ واحد.

### تقسيم لبنان بعد مقتل فخر الدين الثاني

أعدم العثمانيون فخر الدين الثاني واولاده سنة ١٦٣٥، كي يقطعوا ذريّة هذا الأمير العامل لاستقلال بلاده عن حكمهم، وأبقوا على الأمير حسين لصغر عمره، ولما بلغ سنّ الرشد عيّنوه سفيراً لبلاده في الهند حيث اختفى أثره. ويقال أنه لم يرزق صبياناً. وفي العام ١٦٦٢ جُعلت صيدا ولاية لمراقبة امراء لبنان خوف أن يظهر فيهم فخر الدين آخر يحاول الاستقلال بالبلاد. ثم قُسّمت إمارة فخر الدين الواسعة، فأُلحقت كسروان المارونية بإمارة الشوف الدرزية، وولاية الشام، وأُعطيت لآل علم الدين، زعماء الحزب اليمني وأعداء المعنيين والشهابيين القيسيّين. كما أُلحقت بلاد جبيل والبترون بولاية طرابلس، وأُقيم على موارنتها ملتزمون شيعة من آل حماده لجباية الضرائب من قبل الوالي، هذا الى جانب امراء يسيّسون امورها، من بني الشاعر الذين جعلوا مقرّهم في تولا البترون، وبني الأيوبي الذين جعلوا راسنحاش مقراً لهم في القويطع التي كانوا يتولّون حكمها، وكلاهما من الاكراد الذين دخلو لبنان إبّان الفتح العثماني، وساهموا في انتصارهم على المماليك، فكوفئوا بتوليهم المقاطعات، والتحكّم بالأرض والشعب. ولكنّ هذه الأسر التي أُدخلت الى لبنان، وسلّمت الاحكام فيه، لم تلبث بعدما مضى على إقامتها فيه ردحاً من الزمن، أن غدت أكثر الأسر تمسكاً بانتمائها الى هذا الوطن. وبدل ضرب

أبنائه، كما كان الهدف من إدخالها، لوقف طموح الطامحين منهم الى الاستقلال، اصبحت تقف مع اللبنانيين الأصيلين بوجه الاتراك طلباً للسيادة والحرية والاستقلال.

## الغلاءوالضرائب

من عادة الدول والشعوب، على أثر فقدها أبطالها الوطنيين، أن تعيش مرحلة قاسية تسودها القلاقل والفساد، وهذا ما أصاب البلاد بعد رحيل الأمير فخر الدين، إذ عمّ الغلاء كل الحاجيات بسبب ابتزاز الولاة والمتسلّمين، واصبح من المتعذّر على السكان شراء حاجياتهم اليومية الضرورية، ومع هذا لم يخفّف الحكم العثماني ضرائبه الفادحة. لا بل تنوّعت هذه الضرائب وتضاعفت، وصار الولاة يتفنّنون في اختراع الضرائب... ومثال على ذلك "ضريبة الشاشية" التي اوجبت على الشعب شراء "شاشات (كفّيات لتغطية الرؤوس) بأربعين قرشاً للواحدة منها، وبوابيج بعشرين قرشاً البابوج"، حسب الدويهي، مع العلم "أن القرش كان كافياً لشراء شنبل قمح، أي خمسين رطلاً"(٣٣) . وكان الوالي يُستبدَل أكثر من مرة واحدة في السنة، كي يتمكّن الوزراء والصدر الاعظم قبض ثمن هذا المنصب تكراراً، مما يدفع بالوالي الجديد الى مضاعفة الضرائب للتعويض عن الثمن الذي دفعه لشرائه منصبه. ويروى أن الناس قامت تحتجّ على فرض احد الولاة الضرائب الباهظة فور تسلّمه الاحكام، فاستدعى الوالي أصحاب الشأن والأعيان وأدخلهم الى ديوانه وفتح امامهم صندوق خزنته قائلا: "إذا واصلتم مسعاكم لاستبدالي واقتنع الصدر الاعظم بذلك، وجرى تكليف غيري بهذا المنصب، سيضطرّ الوالي الجديد أن يبدأ من جديد بملء صندوقه فيرهقكم من جديد. لذلك خير لكم أن أبقى شخصياً في الحكم لأن هذا الصندوق كما تشاهدون اوشك على الامتلاء. فأعُجب هؤلاء بسداد رأيه، وصرفوا النظر عن المطالبة بعزله".

## التعدّي على انصار فخر الدين ومحازبيه وحلفائه

وإمعاناً بالضغط على المواطنين، عمد خلفاء فخر الدين اليمنيين ووالي الشام أحمد الكبري إلى ملاحقة أنصار ومؤيدي فخر الدين، وقاموا بمهاجمة بني

شهاب سنة ١٦٦٠ في وادي التيم حيث يقيمون، وبني حماده في الشمال، والمعنيين والخازنيين في الشوف والجبل مما اضطرّ قادة هذه الاسر العريقة للاختباء في كسروان. فما كان من الوالي المذكور إلاّ أن أوعز الى قبلان باشا والي طرابلس البحث عنهم واعتقالهم، فهاجم البلاد من وادي التيم، الى الشوف، فالمتن، وكسروان، وصولاً الى بلاد جبيل والبترون، فلم يعثر عليهم، ولكنه حيث وجد املاكاً ودوراً تخصّ هؤلاء امعن في تخريبها وهدمها. ثم أوعز الى والي صيدا ليتدبّر أمرهم، فتظاهر هذا بالعفو عنهم، وطلب الاجتماع بالاميرين المعنيين أحمد وقرقماز، ولما وصلا الى دارته، انقضّ عليهما رجاله فقُتل قرقماز، ونجا الأمير احمد بفضل مساعدة الشيخ نوفل الخازن الذي انقضّ على رجال الوالي وأبعدهم عنه بعدما أصابوه بجرح بليغ في عنقه، ولكنه نجا من الموت، ولم يتمكّن من استلام إمارة آبائه إلاّ في العام ١٦٦٤، واستمرّ فيها حتى العام ١٦٩٧ حيث مات بدون عقب ذكر، فانتقلت الامارة الى إبن شقيقته بشير الشهابي الأول ليكون وصيّاً على إبن ابنته الأمير حيدر شهاب الصغير السنّ.

وفي العام ١٦٣٤ كان أهالي بقسميا، كما أشرنا سابقاً، قد وشوا برئيس دير مار يوحنا مارون في كفرحي القريبة من بقسميا يوحنا الإجبعي بأنه من أنصار الأمير، فداهمه رجال يوسف سيفا حاكم الشمال، وخرّبوا الدير، وهجّروا رئيسه، لخلافه من حيث العقيدة الدينية مع أهالي بقسميا اليعاقبة، مما أدّى الى تخريب بقسميا وكفرحي معاً.

## خلفاء الأمير فخر الدين الثاني والصراع القيسي اليمني

بعد موت الأمير أحمد، آخر الامراء المعنيين سنة ١٦٩٧، واستلام الامير بشير الأول للحكم خلفاً له، كما اشرنا آنفاً، دشّن الأمير الشهابي عهده بضرب أعدائه الحزب اليمني. وكان اللبنانيون قد انقسموا الى حزبين قيسي ويمني، يتزعّم الأول المعنيون والشهابيون، والثاني آل علم الدين والأرسلانيون المتحدّرون من التنوخيين امراء الغرب. وقد دخلت هذه الحزبية الى البلاد بدخول القبائل السنية في بداية الفتح العربي، ولا سيما في عهد الخلافة الاموية، إذ دخلت البلاد قبائل وعشائر من عرب الشمال حاملة معها الحزبية القيسية، وقبائل اخرى من عرب

الجنوب حاملة معها الحزبية اليمنية. ولم تلبث الأسر اللبنانية أن انضمّت الى هذه الحزبية التي شملت البلاد بأسرها، فوقف الخازنيون ومعظم الموارنة الى جانب الحزب القيسي، بالاضافة الى بني اللمع، والامراء العسافيين، وبني شهاب وحماده، وامراء بني فريخ وحرفوش، والمقدّم هاشم العجمي، وبالمقابل كان الامير قرقماز والد الأمير فخر الدين، حاكم الشوف، وحاكم ناحية الدامور الأمير شرف الدين، والمقدّم مالك اليمني وآل علم الدين، وغيرهم من الحزب اليمني.

وقد روى المطران بطرس ديب نقلاً عن موسوعة المؤرخ الالماني هامر "الامبراطورية العثمانية منذ نشأتها حتى اليوم" قوله: "في تلك الفترة من الدهر (سنة ١٥٨٤) كان خمسة زعماء يحكمون البلاد اللبنانية: أقواهم إبن معن (قرقماز والد الامير فخر الدين الثاني)، وكان مستولياً على بلاد الشوف وصيدا وصور وعكا، والأمير شرف الدين مستولياً على مقاطع صغيرة شمالي صيدا (الدامور وجوارها)، وكلاهما كانا تابعين للحزب اليمني الذي يلقّب بالحزب الأبيض. وأما الزعماء الآخرون الثلاثة، فكانوا من الحزب القيسي الملقّب بالأحمر، وأصله من اواسط الجزيرة العربية، وهم إبن منصور سيد المنطقة الواقعة بين بيروت وطرابلس (من امراء بني عسّاف). وابن فريخ سيّد المنطقة الكائنة في سهول البقاع. وإبن كرفوس (Kerfus)، (او ربما المقصود حرفوش) سيد وادي البقاع الجميل. فهؤلاء الزعماء المختلفو الاحزاب والآراء والغايات والعقلية جلبوا معهم من سوريه الى لبنان كل اختلافاتهم العشائرية، وعقلياتهم المختلفة، وكانت قلوبهم مشحونة بالحقد والكراهية والانتقام..." [٣٤] .

وبعد معركة عين داره وقضاء الأمير حيدر شهاب وحلفاؤه سنة ١٧١١ على الحزب اليمني، تفرّد الحزب القيسي بالحكم، وانقسم على ذاته الى حزبين يزبكي وجنبلاطي. وسنأتي على ذكرهما في حينه.

## ٣ ـ بطاركة القرن السابع عشر
## والتحديات العثمانية

### ● ٥٢ ـ البطريرك الثاني والخمسون جرجس عميرة الاهدني (١٦٣٣ ـ ١٦٤٤)

بينما كان اللبنانيون عامة، والموارنة خاصة، يذرفون دموع الأسف، ويلفّهم حزن عميق على اعتقال العثمانيين لكبير امرائهم فخر الدين الثاني سنة ١٦٣٣، وعلى وفاة بطريركهم الكبير يوحنا مخلوف الاهدني، انتُخب إهدني آخر لعب دوراً كبيراً في عهد كلٍّ من البطريرك المتوفي، والأمير المعتقل، الاسقف جرجس عميرة، سفير الموارنة وامارة لبنان في الكرسي الرسولي والامارات الايطالية، بطريركاً في ٢٧ كانون الاول سنة ١٦٣٣. وقد نال درع التثبيت من يد البابا اوربانوس الثامن في ٣ اذارسنة ١٦٣٥ على يد مبعوثه الى الفاتيكان الخوري سعاده الحصروني. وكان من سوء طالعه أن فقد الموارنة بإعدام الأمير عام ١٦٣٥ الدعم الكبير. ويُعتبر البطريرك عميرة مرجعاً كبيراً في اللاهوت والفلسفة، وعالماً في امور الفلك والرياضيات، والعلوم الطبيعية. له عدّة مؤلفات في هذه الحقول، وأهمّها: "غراماطيق سرياني لاتيني"، و"هندسة الابنية والابراج"(١)،وغيرها من المؤلفات. وقد واصل علاقات البطريركية بالامراء المعنيين، فساعد الأمير ملحم بن يونس، إبن شقيق فخر الدين لاستلام الحكم من أمراء آل علم الدين اليمنيين، وذلك برفع إلتماس الى الحبر الاعظم لإقناع ملك فرنسا بالطلب الى السلطان العثماني تعيين الأمير المذكور حاكماً على لبنان.

وبسبب خدماته السابقة في الكرسي الرسولي للقضايا المارونية واللبنانية، تعيّن للبطريرك عميرة معاش سنوي حتى آخر حياته (٢). وكان البابا اوربانوس الثامن يسمّيه "نور الكنيسة الشرقية"، كما جاء في براءته المؤرخة في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٦٢٨ (٣).

لبّى البطريرك عميرة دعوة الامير ملحم لزيارة دير القمر يرافقه اعيان الطائفة في موكب كبير. وعند مروره في مختلف البلدات والقرى، كان يستقبل بحفاوة بالغة من المواطنين على اختلاف مذاهبهم واحزابهم. وقبل وصوله الى دير القمر كان في استقباله خيّالة المير وكبار معاونيه. وعند مدخل دار الأمير في الدير خفّ سموّه لاستقباله على أنغام الموسيقى والزغاريد، وأعدّ له مذبحاً في القصر لإقامة الذبائح الالهية، فاستهل زيارته بإقامة ذبيحة الشكر. وفي أثناء هذه الزيارة طلب اليه الأمير التوسّط لدى الكرسي الرسولي، وفرنسا، للاعتراف به من قبل العثمانيين الذين أبدوا امتعاضهم من استلامه الحكم مكان عمّه الامير فخر الدين الثاني. وقد ذكر المستشرق دي لاروك (De La Roque) في كتابه "رحلة الى سوريا وجبل لبنان" أن الغربيين كانوا يسمّون المطران عميرة "اللاهوتي الكبير والعالم القدير" (٤).

وفي أيام البطريرك عميرة أنشئت مدرسة مارونية في رافنا بايطاليا سنة ١٦٣٩ بفضل تركة الخوري نصر الله شلق العاقوري من اموال. وكان كردينال رافنا، حامي المصالح المارونية، قد اوصى هو الآخر بامواله لتكون مساعدة للمعهد الماروني في روما. وفي عهده أيضاً رُمّم دير مار يوحنا مارون من قبل الاسقف يوسف اسطفان بعد تخريبه من قبل الوالي يوسف سيفا نتيجة وشاية اهل بقسميا اليعاقبة، كما أشرنا سابقاً.

وفي العام ١٦٣٤ هاجم الأمير عساف سيفا بلاد جبيل والبترون لطرد الامير علي علم الدين واتباعه الذين تولّوا المنطقة بعد اعتقال فخر الدين الثاني، يعاونه بنو حماده، فخرّب القرى، وأحرق كثيراً من بلدات جبّة المنيطرة التابعة للحزب اليمني. وقد تمّ طرده من هذه البلاد على يد الامير علي سيفا وبني حماده، وتسلّم الامير علي مقاطعتي جبيل والبترون، بموافقة والي طرابلس مصطفى باشا. وكان قد تولّى جبّة بشري بأمر من الوالي المذكور ابو كرم يعقوب الحدثي والشيخ ابو جبرايل

الهدناني، المارونيان، لكن الشيخ أبا كرم دفع ثمن كبريائه، وعدم إقباله لتهنئة والي طرابلس الجديد بمنصبه، رفعاً على الخازوق، بعد الطواف به راكباً بالمقلوب على جمل في شوارع المدينة، لأنه رفض اعتناق الدين الاسلامي كشرط للعفو عنه.

وقد جاء في رسالةٍ وجهها الاسقف عميرة الى البابا اقليموس الثامن في ٢٥ كانون الاول سنة ١٥٩٦. "إن البعيدين عن حضن الكنيسة الكاثوليكية يعيّرونه بأنه "أسقف روماني"، لتعلّقه بالكرسي الرسولي" (٥). وأضاف في رسالته هذه مناشداً الكرسي الرسولي المساعدة لتحرير الأرض المقدّسة "من النير التركي الغاشم، واستعبادهم الذي لا يطاق". وقد جاء في كتاب العالم اللاتيني روجيه اوجين (Eugène) أن الفاتيكان سمح له دون سائر أساقفة الشرق أن يقدّس باللاتينية (٦). وقد جمع البطريرك عميرة بين تقدير السلطان العثماني مراد خان الذي "أنعم على الموارنة وبطريركهم ببراءة، تثني على شدّة تعلّقهم بالسلطنة، وولائهم لها" (٧)، واعتبار وتقدير قداسة بابا روما بولس الخامس الذي امتدح "غيرة أسقف إهدن عميرة وعظمته" (٨).

## بطريرك وأساقفة متزوّجون

الاسقف بطرس صليبا العاقوري تزوّج قبل سيامته أسقفاً، وماتت زوجته التي كان له ولد منها يدعى يوسف والذي تزوّج وارتقى الى درجة الكهنوت، ثم سامه البطريرك يوحنا مخلوف أسقفاً على صيدا سنة ١٦٢٦، وعُرف باسم يوسف العاقوري. و"كان له إبنة تزوّجت بدمشق من رجل يدعى قرقماس ضلّ في ايمانه، وناصبه موارنة دمشق العداء، فاضطرّهم للهجرة والتشتّت". كما أخبر عنه المؤرخ لكويان في "المشرق المسيحي"، والسمعاني في "المكتبة الشرقية" - مجلّد اول صفحة ٥٥٣. وفي العام ١٦٤٤ انتُخب اسقف صيدا المذكور يوسف العاقوري بطريركاً.

والحبيس فرنسيس دي شاستويل الذي كان يقيم في قنوبين"، كما يشير المستشرق دي لاروك، صنع المعجزات أثناء حياته، وبعد مماته، مما دفع بعض الموارنة للطلب اليه أن يصير بطريركاً عليهم فرفض." (٩).

## بداية النهضة وطلائع الخريجين من مدارس الغرب

درج البطاركة الموارنة منذ العام ١٥٤٣ على طلب رهبان من الفرنج، من الكرسي الرسولي ليفتحوا المدارس في جبل لبنان، بعدما انقطعت زيارة هؤلاء للاراضي اللبنانية منذ ولاية البابا لاون العاشر (١٥١٣ ـ ١٥٢١) بسبب صعوبة السفر بحراً. فمنذ أن خضع لبنان للحكم الاسلامي، خاف حكامه من الصلات التي يقيمها والزيارات التي يتبادلها أبناؤه مع الرعايا الغربيين، كهنة كانوا ام علمانيين. وفي زيارة له الى لبنان سنة ١٥٧٩ ذكر الرحّالة الفرنسي كارليه دي بينون (Carlier De Pinon) مشاهداته في هذه البلاد، وهي التي أتى على ذكرها ونقلها المطران بطرس ديب في "تاريخه الكنسي" بالفرنسية، كما ذكر رحلات اخرى قام بها آخرون، مما عزّز الحضور الأجنبي الى لبنان، والكتابة عن هذا الشعب الماروني العائش في جبل لبنان وحاجته الى المدارس لتثقيف أبنائه، فتشجعت الإرساليات الأجنبية بالمجيء الى لبنان، وحظيت فيه بالمساعدة من الحكام والاعيان، كما أشرنا في حديثنا عن الكبوشيين والارساليات الأخرى التي بدأت طلائعها في اواخر القرن السادس عشر، وانتعشت حركتها مع بداية وخلال القرن السابع عشر. كما أن خرّيجي المعهد الماروني في روما، والمعاهد الغربية الأخرى، كانت قد بدأت بتخريج مجموعات مثقّفة جدا، عادت الى البلاد لتباشر بفتح المدارس والتعليم، مما أدّى الى قيام نهضة علمية مرموقة. وبحلول العام ١٦٣٢ "قَدِمَ من بلاد الفرنج الاخوة الصغار، والكبوشيون، ورهبان الكرمل الى جبيل" ومنها انتقل الاخوة الصغار الى دير مار يعقوب للأحباش في إهدن. كما انتقل الكبوشيون الى دير مار قبريانوس إهدن، ومار توما حصرون، ومار ليشع بشرّي.

ويعزى الى البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني بناء أول مدرسة اكليريكية في لبنان، في حوقا، قرب بشري سنة ١٦٣٤. وقد تخرّج منها عدة كهنة وأساقفة عظام في طليعتهم المطران الشدراوي الحدثي. وقد اثمر التعاون بين البطريرك مخلوف والأمير فخر الدين عن توزّع وانتشار الموارنة في كافة المناطق اللبنانية، حيث اهتموا بفتح المدارس وبناء الاديار والكنائس، وتولّوا تدبير امور المشايخ وتعليم اولادهم. وقد أشرنا آنفاً الى فتح مدرسة جديدة، بعد المعهد الماروني الذي فتح

ابوابه للطلاب عام ١٥٨٥، في رافنا بإيطاليا من إرث الخوري نصر الله شلق سنة ١٦٣٩. وكان كردينال رافنا كما ذكرنا قد اوصى بأمواله للمعهد الماروني في روما.

وفي ٢٩ تموز من العام ١٦٤٤ توفي البطريرك جرجس عميرة، والبابا اوربانوس الثامن، والعلاّمة يوسف سمعان السمعاني، في نفس اليوم، فعمّ الموارنة حزن عميق لفقدهم. وبعد سنوات فتحت مقبرة البطريرك عميرة في قنوبين فوُجد جسمه سالماً "لا ينقصه سوى الروح والنطق، دليلاً على طهارة سيرته، ونسك حياته" (١٠).

**● ٥٣ - البطريرك الثالث والخمسون يوسف العاقوري (١٦٤٤-١٦٤٨)**

في ١٥ آب سنة ١٦٤٤ انتُخب الاسقف يوسف العاقوري إبن المطران بطرس العاقوري المعروف بابن حليب المتزوّج قبل صيرورته اسقفاً على أثر وفاة زوجته، بطريركاً، ونال درع التثبيت من البابا اينوشنسيوس العاشر سنة ١٦٤٦. وقد نُسب اليه طبع الشحيمة المعروفة باليوسفية، وهي كتاب يتضمّن فروض الصلوات اليومية عند الموارنة. وكان شاعراً ونحوياً. تزوّج على غرار والده قبل أن يصير اسقفاً بعد وفاة زوجته، التي له منها بنت تزوّجت في دمشق كما اشرنا سابقاً، وعانى موارنتها الأمرين بسبب ضلال زوجها الذي سبّب تشتتهم (١١).

من مشاريعه العامة إنشاء دير لسكن العذارى سنة ١٦٤١، وهو الدير المعروف بدير حراش الذي عقد فيه مجمعاً طائفياً مارونياً، وجعله مقراً له اثر انتخابه. كما ساهم في تأسيس طائفة السريان الكاثوليك باستمالته أول بطاركتها اندراوس.

وكان البطريرك العاقوري الثاني قد اوفد الخوري يوسف بن الياس، والراهب الانطوني مرقس لإلمامه باللغة التاليانية، لمقابلة محامي الطائفة المارونية الكردينال برباريني ليطلبا له درع التثبيت وتجديد المساعدة التي كان يقدّمها البابا اكليمندوس (Clément) الثامن لدير حراش، وبدلات للقداس وغيرها، في رسالتين ذكرهما العنيّسي في كتابه "البراءات المارونية" صفحة ١١٣ - ١١٦. ويشير المطران

الدبس الى ارساله اثر انتخابه المطران اسحق الشدراوي، مطران طرابلس، الى روما ليلتمس له درع التثبيت، لكن الاسقف المذكور مرض ولم يتمكّن من تأدية هذه المهمّة مما دفع بالبطريرك لتكليف خوري عين إبل الياس من الحدث والراهب مرقس بذلك، فعادا بالدرع والبراءة بعدما شاركا هناك بتصحيح الشحيمة المعروفة باليوسفية نسبة الى البطريرك يوسف العاقوري بالتعاون مع المطران الشدراوي الذي التحق بهما.

ومن مؤلفات البطريرك العاقوري الثاني "غراماطيق سرياني" طُبع في "مجمع نشر الايمان المقدّس" في روما سنة ١٦٤٥ (١٢). وله أيضا أشعار زجلية تدور حول أمور تاريخية كمعركة اميون بين الموارنة والروم، وفي المعتقد الملكي واغلاطه، كما له عدة مؤلفات ومدائح في العربية والسريانية، وكتابات"الكنز الثمين" و"علم النحو".

وتبقى أبرز أعماله على الاطلاق عقده مجمعاً في مطلع عهده سنة ١٦٤٤ في الخامس من كانون الأول في دير مار يوحنا المعمدان حراش كسروان. وقد تم فيه إقرار عدة قوانين تتعلّق بالتثبيت، والزواج، والعماد، والمشحة، والارث، والاعياد، والقطاعات والاصوام، وما اليها من امور كنسية. وقد نشره ابراهيم حرفوش في مجلّة المشرق ناقصاً، والمطران ديب في المنارة ١٩٣٢، والأب فهد في موسوعته "بطاركة وأساقفة الموارنة" كاملاً (١٣).

وقد ذكر المطران يوسف الدبس في سيرة حياة البطريرك يوسف العاقوري أنه "كان شجاعاً، ورعاً، محبّاً للعلماء، غيوراً في أمور الدين، راغباً في إنشاء الكنائس، وقاسى مشقّات كبرى من جرّاء أعمال صهره زوج إبنته المدعو قرقماس، لأنه جحد الايمان في دمشق فناصبه الموارنة هناك العداء، فتحمّلوا بسببه خسائر جمّة وأضطرّوا الى المهاجرة والتشتت". وكنّا قد أشرنا الى ذلك في مطلع سيرته نقلاً عن الدبس الذي نقل ذلك بدوره عن الدويهي (١٤). وتوفي في مطلع تشرين الاول سنة ١٦٤٨ بعد أن قضى أربع سنوات وثلاثة أشهر في الكرسي البطريركي، ودفن في مقبرة البطاركة في وادي قنوبين.

## ● ٥٤ ـ البطريرك الرابع والخمسون يوحنا البواب الصفراوي (١٦٤٨ ـ ١٦٥٦)

انتُخب الاسقف يوحنا البواب الصفراوي بطريركاً في قنوبين في ١٣ تشرين الاول سنة ١٦٤٨، بينما كان يقيم في بلدة الصفرا مسقط رأسه. ونال درع التثبيت على يد الخوري مخايل صابونه الحصروني في ١١ تشرين الاول سنة ١٦٤٩، بعد سنة من انتخابه، من البابا زخيا الثالث.

ومن أبرز أعماله إرساله الخوري يعقوب عواد الحصروني الى روما مزوّداً برسالة الى البابا اسكندر الرابع طالباً فيها من قداسته التوسّط لدى الدولة الفرنسية لتعيين أبي نوفل الخازن الماروني قنصلاً لها في لبنان. في حين ذكر الخوراسقف داغر ان موفده الى الكرسي الرسولي كان المطران الشدراوي الذي استجيب طلبه. وفي ٢٨ نيسان من العام ١٦٤٩ أرسل الملك الفرنسي لويس الرابع عشر كتاباً الى سفيره في الآستانة مجدّداً الحماية للأمّة المارونية قائلاً: "ننهي الى سفيرنا في الشرق والى الذين سيخلفونه أن يسعفوا الموارنة لدى صديقنا المعظم (السلطان) لينجزوا أعمالهم، ويتصرّفوا بمقتضيات مراتبهم الروحية بتمام الحرية. ونأمر قناصل دولتنا في كل موانئ الشرق بأن يساعدوا السيد البطريرك وكل أبنائه الموارنة، أساقفة طرابلس، وجميع الاكليروس الماروني، وكل أبناء الطائفة المارونية" (١٥). وكانت التعديات العثمانية والضغوطات على القادة الروحيين لا تطاق. وقد كلّف البطريرك الصفراوي الخوري ماوسطوس الماروني، اي مرهج بن نيرون الباني في العام ١٦٥٠ بطبع مجلّدين تحت إشرافه، حول الاعياد. طُبع الأول في روما سنة ١٦٥٦، والثاني في أيام البابا اسكندر السابع (١٦٥٠ ـ ١٦٥٧).

واشتهر البطريرك الصفراوي بتحمّله للمصائب والامراض التي المتّ به، فكسب بذلك رضى الله عليه، وإجراء بعض الكرامات على يده. ويروي المؤرخ الماروني مرهج بن نيرون أنه دخل على البطريرك الصفراوي ذات مساء فوجده جاثياً يصلّي والنور الالهي يسطع من وجهه.

وفي العام ١٦٤٩ تولّى جبة بشري الشيخ ابو صعب الماروني، ولم يطل به

المقام أكثر من سنتين حتى عُزل ووُلّي مكانه علي بن العجّال بأمر من حسن باشا والي طرابلس الذي عمل جهده لكسر شوكة بني رزق البشعلاني الموارنة وأتباعهم، باعتبارهم حلفاء الامير فخر الدين الثاني. وبانتقال ولاية طرابلس الى محمّد باشا سنة ١٦٥٢ عادت فارتفعت شوكة ابي رزق البشعلاني الذي لُقّب "بشيخ المشايخ"، وتولّى تدبير شؤون الولاية، وصارت تُضرَب له "النوبة السلطانية فشقّ على الاسلام إنقيادهم اليه"، حسبما أشار الشدياق في كتابه "تاريخ الأعيان" (١٦). فما كان من الارناؤوطي إلاّ أن اعتقله مع ضيوفه، وأباح اموالهم، وكان تسعين نفساً حسب ما قال الدويهي في "تاريخ الأزمنة" (١٧). ولم يلبث محمد الارناؤوطي والي طرابلس أن حاول إرغامه على ترك طائفته المارونية، واعتناق الدين الاسلامي. ولما رفض ذلك، رفعه على الخازوق في طرابلس حتى مات سنة ١٦٩٧، كما سنفصّل ذلك لاحقاً في حديثنا عن أسرة البشعلاني. وفي العام ١٦٥٤ تولّى المقدم علي بن الشاعر الكردي بلاد البترون، والمقدّم فارس اللمعي الدرزي مقدميّة بشري سنة ١٦٥٦.

وتوفي البطريرك الصفراوي، بينما كان في زيارة الشيخ أبي ياغي حبيش في ساحل علما حيث رآه نمرون الباني، كما أشرنا سابقاً والنور ينبعث من وجهه، في ٢٣ كانون الاول سنة ١٦٥٦، ونُقل الى قنوبين حيث دُفن في مقبرة البطاركة، ورقد بسلام، بعد أن قضى في الكرسي البطريركي زهاء ثماني سنوات.

### رفض الأسقف جرجس حبقوق المنتخب بطريركاً استلام مهامه

بعد وفاة البطريرك الصفراوي بتسعة أيام، اجتمع الأساقفة والاعيان كعادتهم لانتخاب خلف له في الثاني من كانون الثاني سنة ١٦٥٦، وتمّ اختيارهم الاسقف جرجس حبقوق البشعلاني اسقف العاقورة، فانسحب من الاجتماع، واختبأ في "قلاّية القس موسى العكاري، رافضاً استلام مهامه، فلاحقه المجتمعون الى الصومعة المذكورة، وحملوه عنوة الى دهليز الكنيسة وهناك صاح بهم: "دعوني استرح قليلاً، ما ترغبون فيه سيكون . فتركوه ليأخذ بعض الراحة، وعادوا الى غرفة الاجتماع، ولما طلبوه ثانية لم يجدوه"، إذ كان قد فرّ واختفى مع أخيه في وادي قنوبين، الى أن تمّ انتخاب البطريرك السبعلي (١٨). وبما أن الاسقف حبقوق لم يستلم مهامه، ولا باشر صلاحياته، ولا حصل على درع تثبيت كما تقتضي

المراسم، لذلك لا يمكن إعطاءه رقماً، واعتباره من عداد البطاركة. ونكتفي بذكر لمحة عن سيرته للاطّلاع على سرّ هذه الشخصية الغريبة في تعفّفها وزهدها.

### الاسقف حبقوق وابرشية العاقورة

أسقف العاقورة منذ العام ١٦٤٨، الأسقف جرجس حبقوق، من بلدة بشعله في بلاد البترون، وينتمي الى اسرة حبقوق البشعلاني التي نزحت الى صليما المتن، حيث عُرفت بأسرة البشعلاني. وهو خرّيج المعهد الماروني في روما. ضليع في علم اللاهوت والطبيعة، برع في الفقه الاسلامي، واصبحت "فتاويه دستوراً وأحكامه منارة"، حسبما أشار الخوراسقف لويس الهاشم الذي يحتفظ بنماذج كثيرة من هذه الفتاوى في كتابه "تاريخ العاقورة" (١٩). وكرسي العاقورة من أقدم الابرشيات الاسقفية في لبنان. فيها وجدت نسخة من المخطوطات الشهيرة لداود بن ابراهيم الحاقلي حول بطاركة الموارنة الاوائل يعود تاريخها الى العام ١٣١٣. وقد توالى على هذه الابرشية حتى انعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ "أكثر من ثمانين مطراناً" عدا البطاركة العواقرة الذين مرّ ذكرهم، وأقام بعضهم في يانوح القريبة من العاقورة، وآخرهم يوسف العاقوري الذي أقام في قنوبين. وكرسي العاقورة تعتبر أغنى كراسي أبرشيات الطائفة المارونية بالمخطوطات التي سلّمت للبطريرك الدويهي فاستعان بها لكتابة سيرة بطاركة الموارنة. ويعتقد الخوراسقف داغر أن الكثير من البطاركة الأوائل الذين لم تذكر "قراهم ولا مدنهم بطاركة عاقوريون... ويشهد التاريخ بأن بطاركة الامة المارونية قد توطّنوا يانوح أجيالاً عديدة. ويانوح على قاب قوسين من العاقورة، لذلك كانت كرسي العاقورة اغنى الكراسي بالمخطوطات القديمة..." (٢٠).

### ● ٥٥ - البطريرك الخامس والخمسون جرجس بن الحاج رزق الله السبعلي (١٦٥٧ - ١٦٧٠)

بعد تواري الاسقف جرجس حبقوق البشعلاني عن الأنظار على أثر انتخابه بطريركاً، رافضاً تسلّم مهام البطريركية، انتُخب الاسقف السبعلي، إبن بلدة سبعل في الزاوية، بطريركاً في أول كانون الثاني سنة ١٦٥٧.

وكان موفده الأول حامل رسائله الى قداسة البابا اسكندر السابع (١٦٥٥ ـ ١٦٦٧) الخوري او البادري يوحنا الكرملي الذي توفي حال وصوله الى روما، فاجتمع الكرادلة ومنحوا البطريرك السبعلي درع التثبيت وبراءة مؤرخة في ٧ حزيران سنة ١٦٥٩ مشترطين فيها "أن يتلو صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي امام مطران اهدن ومطران حوقا. وفي ٣٠ آب سنة ١٦٦٠ أرسل اليه الدرع المقدّس على يد أحد الرهبان الكرمليين" (٢١).

وفي رسالة له، طالب البطريرك السبعلي البابا اسكندر السابع في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٦٥٨ أن يعمل جاهداً لإعادة السفينة المسروقة من أحد قراصنة مالطه الى صاحبها كرم الماروني. وفي رسالة ثالثة يشكر البطريرك قداسته على الانعامات التي قدّمها "للأمير نوفل الخازن"، وهنا استعمل البطريرك كلمة أمير بدل شيخ للتدليل على مقام القنصل الخازني الماروني الكبير في نظر أمّته المارونية.

وأبرز الرسائل التي اثبتها العنيّسي في مجموعته "البيّنات المارونية" رسالة الأب الكرملي التي يلتمس فيها البطريرك درع التثبيت موضحاً "أن الملّة المارونية عريقة في القدم... وهي مسيحية كاثوليكية متمسّكة بكرسي روما الرسولية، وأمينة للكنيسة المقدّسة، وهي عائشة بين ملل وطوائف غير مسيحية ومحكومة منهم، ومع ذلك فلم تبتعد قط عن الطاعة للحبر الاعظم والامانة الحق... وإذا أردتم معرفة أحوال هذه الطوائف الغريبة عن كنيستنا فأقول أن أهاليها يتجسّسون على الموارنة الذين ينتظرون وصول الباليوم (درع التثبيت)، وانهم عند وصوله يتوجّه عادة السيد البطريرك الى استقبال حامليه والهدايا المرسلة اليه بكل احترام وغبطة، عندئذ يجمع البطريرك أساقفة الاكليروس والاعيان والشعب، ويأتي حاملو الطبل والمزمار والسيوف، والبطريرك وهو لابس حلّته البيعية مع أساقفة يركع ويأخذ بين يديه الدرع المقدّس، والجماهير ترتّل وتنشد المزامير، وتحيّي بالهتافات قداسة البابا، بينما العراضة تقوم خارجاً علامة الابتهاج والتحية. فهذه عادة يعرفها كل الناس من جميع الطوائف. فإذا لم تتحقّق في ميعادها فتبدأ الطوائف تشيّع الأخبار الملفّقة، وتتأوّل الكلام الذي يرتأونه ويعود بالضرر على الموارنة..." (٢٢).

كما أثبت العنيّسي رسالة موجّهة من البطريرك الى العلاّمة الماروني ابراهيم

الحاقلاني يحضّه فيها على الاهتمام بأمور الطائفة، واستعجال طلب الدرع المقدّس لدى الكرسي الرسولي، وهي مؤرخة في ١٥ اذار سنة ١٦٦٠.

ورغم الطلبات المتكررة، فقد تأخر استلام الدرع المقدّس حتى الثلاثين من آب سنة ١٦٦٠. ومن بعض الرسائل التي نقلها العنيّسي عن أرشيف الكرسي الرسولي، رسالة للقنصل ابي نوفل الخازن موجّهة الى البابا اسكندر السابع بتاريخ ٢١ آذار سنة ١٦٦١ يشكره فيها على الهدايا والالقاب التي تلقّاها وللدعم المستمرّ، و"مؤازرة أبنائكم المسيحيين في كلّ مكان"، وفيها ذكر لبيع أملاك مدرسة رافنا الايطالية وتحويلها الى مدرسة روما المارونية.

وقد أتقن البطريرك السبعلي عدة لغات، وخاصةً التركية. وفي عهده هاجم والي صيدا أحمد الكبري جبل لبنان بسبب إمتناع الشهابيين والحماديين عن دفع الضرائب المتوجبة عليهم، فهدم البيوت الشهابية في حاصبيا وراشيا، ولاحق الحماديين الذين هربوا من ميفوق ووادي علمات مع الشهابيين الى قمهز، فخرّب بيوتهم، وقطع أشجارهم. ثم انتقل الى بعقلين وعين زحلتا بجيشه وراح يضغط على مناصري الشهابيين، وعلى الاميرين أحمد وقرقماز المعنيين لتسليمه الهاربين، فسلّماه مبلغاً من المال ليفكّ الحصار، على أن يدفعا الباقي لاحقاً. ولما تأخّرا عن تسديد الدفعة الثانية، هاجم الجبل من جديد، فغادر بنو شهاب وحماده البلاد الى سوريا والجبل الاعلى في جهات إنطاكية وحلب، في حين أختبأ قسم منهم في المغاور والاحراج اللبنانية. عندها أصدر الأوامر بعزلهم من مناصبهم، وقام بمهاجمة مقاطعاتهم وتخريبها "فأحرقت عساكره بيوت بني اللمع والخازن وحماده وانصارهم في المتن وكسروان وجبيل... وخُرّبت وادي علمات ولحفد وجبيل والبترون ساحلاً وجرداً" (٢٣).

ولكن هذه الحملة، رغم الخراب الذي ألحقته بالبلاد، فشلت في إلقاء القبض على الاميرين أحمد وقرقماز. وعندها عمد الوالي المذكور الى الحيلة لامساكهما، فتظاهر بالعفو عنهما، والرغبة في مقابلتهما. ولما وفدا لمقابلته مع بعض أنصارهما انقضّ جنوده عليهما، كما أشرنا سابقاً، فقتلوا الامير قرقماز، واستطاع الأمير أحمد الفرار بعدما أصيب بجرح بليغ "أبقى عنقه يابساً لا يتحرك" حسب قول

المؤرخين، ولولا تدخّل مدبره الشيخ أبي نوفل الخازن ومؤازرته له لما استطاع النجاة والفرار.

وبعد وفاة والي صيدا احمد الكبري المذكور، ظهر الأمير أحمد من مخبئه سنة ١٦٦٤، واستطاع بمساعدة الخازنيين وانصاره من الحزب القيسي زحزحة آل علم الدين اليمنيين عن كرسيّه الذي استولوا عليه بأمر من الوالي، وعاد الى حكم الجبل، كما عاد الشهابيون والحماديون الى مقاطعاتهم. وكان الحكم العثماني قد أنشأ ولاية صيدا سنة ١٦٦٢ خصيصاً لمراقبة امراء لبنان، خاصة بعد استفحال امر فخر الدين الثاني وتحوّله الى سلطان داخل السلطنة.

وقد تتابع في عهد البطريرك السبعلي على مقدمية بشري، بعد فارس أبي اللمع، كل من قايد بيه بن الشاعر سنة ١٦٥٩، وابراهيم اغا سنة ١٦٧٤، وابو كرم بن بشارة سنة ١٦٧٦، والشيخ مخايل بن نحلوس "الذي حمى الجبّة بالدبوس، ودقّ بزغرتا (زغرتة المتاولة) الناقوس" على حدّ تعبير إبن القلاعي في زجليته، وقد تسلّم المقدميّة في العام ١٦٩٢. كما قُتل الشيخ بولس الدويهي، شيخ إهدن، ولم يكن له عقب، فتولّى المشيخة فيها بطرس كرم الهدناني واولاده من بعده، وصولاً الى والد البطل اللبناني المعروف يوسف بك كرم.

اما في بلاد البترون، فقد تولّى بعد المقدّم علي الشاعر الذي عُيّن سنة ١٦٥٤ من قبل والي طرابلس محمد كبري، شقيق احمد والي صيدا، الحاج باز بن رعد، وأبو حيدر النمس سنة ١٦٧٦، وقايد بيه الشاعر سنة ١٦٩٢. ولم تخل فترة حكم بني الشاعر الطويلة للبلاد من الاصطدامات مع بني حماده الطامعين بالتزام هذه الولاية، ولكنّ محاولاتهم المتكرّرة باءت بالفشل بسبب تاريخ بني حماده العريق في التهرّب من دفع الضرائب في أوقاتها المعيّنة، ممّا جرّ الخراب عليهم وعلى القرى التي دخلت في عهدتهم بعد بني الشاعر في كافة أنحاء الشمال والجبل.

وفي الثاني عشر من نيسان سنة ١٦٧٠ توفي البطريرك السبعلي بداء الطاعون أو السلّ، كما ذكر المؤرخان الدبس والعنيّسي[٢٤]. ودُفن "في قبر قديم مصنوع من صخرة بجانب الكنيسة" وليس في داخلها[٢٥]. ولم يتمكّن الأساقفة من

الاجتماع لانتخاب خلف له في اليوم التاسع بعد وفاته، كما قضت العادة بسبب تعرض وكيل دير قنوبين، هو الآخر، لهذا المرض، وموته، فخاف الأساقفة من العدوى وأرجئ الانتخاب الى العشرين من ايار سنة ١٦٧٠ ليأتي بالبطريرك الكبير اسطفان الدويهي.

## ● ٥٦ ـ البطريرك السادس والخمسون اسطفان الدويهي الاهدني (١٦٧٠ ـ ١٧٠٤)

وُلد العلاّمة، والمؤرخ الماروني الكبير، اسطفان الدويهي في إهدن في ٢ آب سنة ١٦٣٠. وتخرّج ملفاناً من مدرسة روما المارونية. وبناء لطلب الأب بطرس مبارك كتب الدويهي ملخّصاً لسيرته جاء فيه: "أنا من طائفة الدويهية المشهورة بين جماعتنا الموارنة في التقوى، والعلم، وسياسة الشعب. وقد خرج منها في الجيلين الماضيين ثمانية مطارين وبطركان... وسنة ١٦٤١ ارسلنا المرحوم البطريرك جرجس عميرة (الاهدني) التي أمّه من عائلتنا، الى رومه صحبة القس سمعان (التولاوي)، ويوسف فتيان الحصروني..."، وقد انضمّ اليهم ثلاثة طلاب آخرين، كما جاء في ترجمة البطريرك الدويهي للمطران شبلي، "وهم يوسف الرامي من رام البترون، واخيه (أخوه) بطرس، وبطرس إبن القس ابراهيم من بيت اميّه من إهدن (وهنا نستغرب كيف هو قسّ اي راهب وله اولاد؟)، وهو إبن عمّ المطران اسطفان الدويهي الذي صار اسقفاً على صيدا ومات سنة ١٦٨٢"(٢٦). وقد برزت موهبة الطالب اسطفان الدويهي في روما، فلفت إنتباه معلّميه، وما لبث أن أتقن اللاتينية. ويقول البطريرك سمعان عواد في ترجمته عن الدويهي: "إن شدّة مواظبة الدويهي على الدرس والمطالعة كفّت بصره، وعاد لا يستطيع القراءة... وقد طال عماه كثيراً... فاحتال على المرض بأنه كان يستدعي بعض رفاقه ويكلّفهم أن يتلوا عليه ما أُلقي على مسامعهم في المدرسة. وبهذه الطريقة لم يخسر اسطفان شيئاً من الدروس، ولما رأى أن العلاجات البشرية لا تنفع نزل الى الكنيسة، وخرّ أمام أيقونة العذراء مريم، وابتهل اليها بايمان قوي، ونذر لها نذراً الزم به ذاته ولم يفض به الى أحد طوال حياته، فكان هذا الدواء هو الشافي له تماماً، فعاد اليه نظره أحسن مما كان قبل المرض. وظلّ هكذا الى ساعة وفاته" (٢٧). وكانت هذه اولى العجائب التي نزلت

عليه، الى جانب ظواهر أخرى دفعت عارفيه لاعتباره قدّيساً، والبطريركية اليوم جاهدة لتطويبه.

قدّم أطروحته حول البطريرك يوحنا الصفراوي. ونظراً للاعجاب الكبير الذي أبدته اللجنة الفاحصة بها، قامت بطباعة محاوراته سنة ١٦٥٤، بعد نيله شهاداته العليا، و"عرض عليه آباء المجمع المقدّس أن يبقى عندهم، معلماً للفسلفة والالهيات، وهي منزلة لم يبلغها شرقي قبله. ولما اعتذر، حاول أحد كبار الرومانيين إغراءه بمرتب ضخم ليقوم بتدريس اولاده نظراً لما سمع عنه من الاطراء والثناء، فلم يلتفت اسطفان الى ذلك قط. ولو أنه صنع لفاق السماعنة شهرةً، وحاز اعتباراً لا نقدر نحن على وصفه. على أنه مكث في رومه يومئذ نحو ستة أشهر يطوف مدارسها ومكاتبها، ويفتش عن كل ما فيه ذكر للموارنة من تصانيف الأقدمين وكتب الحديثين. وكان قد شرع بهذا العمل وهو تلميذ، إذ كان يتردّد على المكاتب (المكتبات) أيام العطلة بدلاً من الذهاب مع الآخرين الى المنتزهات والحدائق... وعلى هذه المخطوطات وغيرها، كان اعتماد البطريرك اسطفان في تسطير تواريخ الطائفة، والدفاع عنها، وردّ التهم الباطلة ببراهين دامغة ومستندات ثاقبة" (٢٨). وقبيل رجوعه الى البلاد عيّنه الكرسي الرسولي "مرسلاً رسولياً، وخصّص له معاشاً مرموقاً. وقد حصل ذلك للماروني الهمّام، العلاّمة ابراهيم الحاقلاني. وكان سفره الى لبنان في اليوم الثالث من نيسان سنة ١٦٥٥... بعد أن قضى في الغربة نحواً من ١٥ سنة... وصنّف كتاباً في "الفردوس الأرضي" باللغة اللاتينية" (٢٩).

تدرّج الدويهي في الكهنوت، فحصل على الدرجات التالية في روما: مرتّل، قارئ، شدياق، شمّاس. ثم سامه في لبنان البطريرك الصفراوي قساً سنة ١٦٥٦ على مذبح دير مار سركيس إهدن حيث أنشأ مدرسة وراح يعلّم فيها. وفي العام ١٦٥٧ جعله البطريرك مرسلاً من قبله الى حلب، فردّ هناك الكثير من اليعاقبة الى الكثلكة، وتعاون مع زميل له من طلاب روما إسمه أخيجيان على تأسيس كنيسة سريانية كاثوليكية، فكان زميله المذكور أول بطريرك لها. وقد استمرّت إقامته في حلب ست سنوات اغتنمها لجمع الوثائق المتعلّقة "بتاريخ الشرق ومله ونحله، وبالدفاع عن الموارنة، وعن معتقدهم الروماني السليم. وقد وصفه أحد معاصريه



البطريرك اسطفان الدويهي

الحلبيين بالفيلسوف الروحاني، فمّ الذهب" (٣٠).

وبعد رجوعه من حلب سنة ١٦٨٨ سكن القسّ الدويهي في دير مار يعقوب الاحباش في إهدن شاغلاً وقته بالدرس والمطالعة والتأليف. ثم زار القدس، وبعد عودته زار وفد إهدني الكرسي البطريركي وطلبوا ترقيته الى درجة الاسقفية "فسقّفه (البطريرك السبعلي) على أبرشية قبرص التي كانت شاغرة منذ نحو اربع وثلاثين سنة، أي منذ وفاة مطرانها جرجس بن مارون الإهدني سنة ١٦٣٤" (٣١). وهناك في قبرص راح الدويهي يبحث عن المخطوطات والوثائق المتعلّقة بطائفته، وما دوّنه بخط يده نقلاً عن الموجودات التي عثر عليها، شكّل مادة هامة ساعدته لتأليف كتبه التاريخية الشهيرة التي تعتبر أهمّ مرجع على الاطلاق لكتابة التاريخ الماروني "كتاريخ الموارنة" و"تاريخ الأزمنة" و"سلسلة البطاركة" و "الشرح المختصر"، و"المحاماة عن الموارنة" وغيرها من المؤلفات المعروفة. وفوجئ الدويهي بعد عودته من قبرص برؤية البطريرك السبعلي مصاباً بداء الطاعون الذي تفشّى في قنوبين وكافة أنحاء الشمال وصولاً الى حلب والشام و"أمات في حلب (وحدها) ماية وأربعين ألفاً، وفي الشام خمسة وسبعين ألفاً، وعدداً كبيراً في طرابلس ولبنان. وبسبب الوباء الذي ابتلاه الله به، خاف سكان الدير، بعد وفاته، أن يدفنوه داخل الكنيسة فوضعوه في قبر قديم مصنوع في صخرة بجانب الكنيسة المذكورة، الى جهة الغرب، والقبر باق الى يومنا هذا"، حسب "تاريخ الأزمنة" للدويهي صفحة ٥٥٥. وكنّا قد أشرنا في سيرة البطريرك السابق السبعلي الى تأخّر انتخاب خلف له حتى العشرين من ايار سنة ١٦٧٠ حيث تمّ انتخاب اسقف قبرص اسطفان الدويهي بطريركاً، فتمنّع عن قبول هذا المنصب تعفّفاً، على غرار سلفائه، واحتجب عن أعين الناس، حسبما جاء في سيرته التي كتبها المطران بطرس شبلي، فاكتشف مخبؤه، وأرغم على القبول.

بدأ البطريرك الدويهي عهده بسيامة يوسف بربور الحصروني قساً، وإرساله الى روما ليقدّم رسائل الخضوع لقداسة البابا باسمه، ويلتمس درع التثبيت. وكعادة الكرسي الرسولي، تأخّر وصول الدرع المذكور وبراءة التثبيت الى ٨ آب سنة ١٦٧٢، لاستكمال التحقيقات التي كان يجريها الفاتيكان قبل تثبيت البطاركة،

سيّما وأنه وصلت "رسائل من بعض الأعيان والرؤساء الذين كتبوا الى روما مظهرين عدم رضاهم به" بحجّة الغياب عن الانتخاب خوفاً من الطاعون، ولأسباب شخصية أخرى. ولما وصلت الى البطريرك الدويهي أخبار هذه الاحتجاجات كتب الى موفده طالباً اليه العودة سريعاً "فلم يلْصُقْ حبر الخاتم بالورق على الرغم من أنه فعل ذلك ثلاث مرات متتالية. فعدّ اسطفانوس، ذلك، على حدّ ما ذكر الخوري مخايل الشبابي في كتابه "تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية"، "آية من عند الله على صواب انتخابه. وعندئذ ترك الرسالة، ولم يعد يبعثها الى مندوبه، وترك ما هو جارٍ من معارضة لأمر الله تعالى" (٣٢). وقد "أحدث هذا الاعتراض سَجساً في الطائفة"، لما للأسقف الدويهي من عظيم الاحترام في اوساط الشعب لتقواه وغزارة معارفه. وهذا ما جعل الكرادلة يشدّدون في البراءة الممنوحة للبطريرك الدويهي على "وجوب إطاعة الأعضاء للرأس"، ويُنذرون باتخاذ أقسى العقوبات بحق المخالفين، ويشترطون على غبطته أن " يُبرز بأقرب ما يكون صورة الايمان التالية، قبل ارتداء درع التثبيت: "أنا اسطفانوس الاهدني، مطران نيقوسيا سابقاً، المنتخب بطريركاً إنطاكياً على الطائفة المارونية، أؤمن إيماناً ثابتاً، واعترف إجمالاً وافرادياً بكل ما يحويه قانون الايمان الذي تستعمل تلاوته الكنيسة الرومانية المقدّسة..."، وتضيف البراءة، بعد نصّ فعل الايمان الواجب تلاوته من البطريرك، وجوب الاعتراف بالمجمع النيقاوي، وببطلان تعاليم آريوس وديوسقورس، وقبول "سائر المجامع المنعقدة بأمر الحبر الروماني، والمثبتة بسلطانه، وبالخصوص المجمع الفلورنسي، واحترام وقبول المجمع التريدنتيني... ثم إنني اعترف بكل ما تعترف به وتقبله الكنيسة المقدّسة الرومانية... ثم إني اوعد تحت اليمين بالطاعة الحقيقية للحبر الروماني، خليفة الطوباوي بطرس زعيم الرسل، ونائب يسوع المسيح معترفاً ومقرّاً دون إكراه، بهذا الايمان، إيمان البيعة الكاثوليكية التي لا يستطيع أحد أن يخلص خارجاً عنها. وأحمل الذين تحت سلطاني، والذين أتولّى أمرهم على حفظه، وتعليمه، ونشره، بحسب إمكاني. انا اسطفانوس الاهدني أعد هذا، بالقسم، فليساعدني على ذلك الله، وهذه الأناجيل المقدّسة".

"أعطي بقرب القديسة مريم الكبرى سنة ١٧٧٢ للتجسّد الالهي في اليوم

الثامن من آب، السنة الثالثة لحبريّتنا" ويلي ذلك خاتم وتوقيع الحبر الاعظم قداسة البابا إقليموس العاشر". والى جانب هذه البراءة، ودرع التثبيت حمل مندوب البطريرك الدويهي الخوري يوسف الحصروني من الكرسي الرسولي تكليفاً خطياً من قداسته ليقوم بإلباس البطريرك هذا الدرع كل من مطران العاقورة جرجس حبقوق البشعلاني، الاسقف المنتخب بطريركاً والمعتذر عن تولي مهام البطريركية قبل انتخاب السبعلي، ومطران حلب جبرائيل البلوزاني (٣٣). وتمّت هذه المراسم كما هو مطلوب، ولبس غبطته الدرع في العام ١٦٧٣. وما ذكرنا حول العمليات الشكلية التي يقتضيها الحصول على البراءة، هو أكثر من أعمال روتينية تجري في الكرسي الرسولي قبل منح البراءات والدروع للبطاركة، بل هو امتحان عسير لمصداقية البطريرك وعمق ايمانه وتعلّقه بالكنيسة الرومانية، واستعداده للخضوع الكلّي للحبر الاعظم.

وفي رسالة موجّهة الى الفاتيكان في العام ١٦٧٩ يتحدّث الدويهي عن الجَرَدْ والقحط والغلاء وزيادة الاسعار خمسة أضعاف، ثم يطلب من البابا اينوشنسيوس الحادي عشر: "أن تجعلوا نظركم علينا، وتعاملونا مثل مطران من خاصّتكم، وتجعلوا لكرسيّكم الانطاكي مدخولاً سنوياً حتى نقدر نقوم في هذه الخدمة التي أؤتمنا عليها، إذ بين ملل الشرق ما أحد طائع لشريعتكم سوانا، ولا نحن ممقوتين بالزايد، إلاّ بسببكم..." (٣٤). وكان حامل هذه الرسالة إلى روما الخوري بطرس مخلوف الغسطاوي الذي رقّاه غبطته إلى الاسقفية بحضور سفير ملك فرنسا دي نوانتل، وكان يساعده في الترجمة والتأليف ونسخ المخطوطات. وقد جمع سيَر القديسين بشكل سنكسار في مجلّدين كبيرين. ووضع بعض الميامر وغيرها. وفي سنة ١٦٨٥ احتفل في روما بمرور مئة عام على إنشاء المدرسة المارونية، ووضع صور لـ ٢٤ من خرّيجيها المشهورين، بينهم ثلاثة بطاركة و١٢ أسقفاً، والآخرون من مشاهير الطائفة. وكان البطريرك الدويهي قد كتب أكثر من رسالة تشجيع الى طلاب هذه المدرسة.

وقد ذكر كاتب آخر لسيرته، وهو البطريرك سمعان عواد، أن الدويهي الكبير: "طاف في كل الابرشيات، واختار كهنة ذوي علم وتقىً، وفحص الكتب البيعية،

وأصلح ما أوقعه فيها النسّاخ من اغلاط، وردّ القواعد الى أصلها، وغربل مصاحف المؤرخين ومصنّفات الآباء القدّيسين من شرقيين وغربيين، وألّف كتباً عديدة محفوظة في مدرسة رومية" (٣٥).

والخوري مارون الدويهي، بدوره قال في عميد اسرته الدويهية: "جلس على السدّة البطريركية الجليل بين الرؤساء، والنبيل بين العلماء، الشديد الغيرة على الدين، الشهير بعلومه، مار اسطفانوس الدويهي الذي ضاهى الآباء القديسين بتصانيفه وتفاسيره، من جملتها "منارة الاقداس" الحاوي البراهين الدامغة، والشروحات الضافية، والآراء السديدة، هذا عدا ما له من مؤلفات ومواعظ وتواريخ، جلت عن الطائفة شبهات الضلال، أهمّها كتاب "ردّ التهم"، و"كتاب الاحتجاج" و"تاريخ الأزمنة"، ويزيد عدد تآليفه على الثلاثين. وفي عهده كانت الأمة تباهي براعيها، وحيد عصره وفريد دهره". وكان قد سبقه الى إسباغ هذه الاوصاف على البطريرك الدويهي، المطران جرمانوس فرحات الذي قال: "لم يقم عند الموارنة مثل الدويهي عالم غيور على ملّته".

## علاقات البطريرك الدويهي بالملك لويس الرابع عشر الفرنسي

في العشرين من اذار سنة ١٧٠٠ أوفد البطريرك الدويهي كاتم أسراره الخوري الياس الى البلاط الفرنسي، حاملاً رسالة الى الملك لويس الرابع عشر، يتحدّث فيها عن الظلم اللاحق بالشعب الماروني من جرّاء الممارسات العثمانية والولاة وأتباعهم، وجاء في مقطع عنها: "إني أنا وطائفتنا المارونية الكائنين بالجبّة في جبل لبنان، من مدة دهور عديدة ، واعوام مديدة، تحت عبودية الاسلام وجورهم الذي في عصرنا ابلغ بلوغاً لا حدّ له ولا منتهى، حتى أنهم صاروا يستوفون المال والظلائم من الكهنة والرهبان، من الرجال والنسوان، واليتامى والأرامل، ومن الاولاد الذين لم يدركوا السن، وغيرهم. وذلك من بعد أصناف مختلفة من العذابات. إن جميع الأماكن والقرى في البلد المذكور أخربت بالكلية، وسكانه تشتتوا وتبدّدوا في بلدان عديدة، وامم كفرة وغريبة، عادمين كل سياسة ورئاسة روحانية. ولم كفاهم (يكفهم) ظلم الشعب فقط، بل مدّوا أيديهم الى شخصنا ومطارينا ويهدلونا بسواة الرعية. وهلقد عاملونا، حتى مراراً التزمنا نلبس طراز (لباس) العامية (التدروش)،

ونهرب من أمامهم، ونسكن في الاودية والمغاير، وبالرغم من تقدّمنا في السنّ لكيما نخلّص من أيديهم الظالمة. ولسبب أن ما عاد لنا جلادة على ذلك، انهزمنا في أماكن غريبة، وتركنا كرسيّنا. ولا أحد لنا نشكو إليه قهرنا، ولا جناح لنطير بها إلا جناحكم ايها السلطان الأجلّ..." (٣٦).

وكان البطريرك الدويهي يشير في رسالته هذه الى حوادث تكرّرت بين العام ١٦٧٠ والعام ١٧٠٤ خمس مرات: ١٦٧٠ ـ ١٦٧٥ ـ ١٦٨٣ ـ ١٦٩٥ ـ ١٧٠٤ ـ وأبرزها حادثةُ لطمه وإسقاطه على الأرض من قبل الشيخ عيسى حماده في مقرّه في قنوبين لإرغامه على دفع خوّة مقدارها "خمسة آلاف قرش ذهباً" (٣٧)، واحتماله "الإهانة بصبر" كما روى المطران شبلي، واستدعائه الشيخ ضرغام الخازن الذي اصبح اسقفاً وبطريركاً فيما بعد فجاء على رأس قوة من أربعة آلاف مسلّح للعودة بالبطريرك من قنوبين الى كسروان. وعلم الشيخ عيسى بالأمر، وخشي من عاقبته، فأسرع الى قنوبين، وجثا على قدمي البطريرك ليثنيه عن مغادرة الكرسي، فاجابه البطريرك: "إني اغفر لك جميع ما فعلته معي، واني مستعدّ، واشتهي أن احتمل اكثر من ذلك، حباً بسيّدي الذي لأجلي مات وتألّم. ولكن شعبي لا يدعني أمكث في الجبّة". وهمّ المشايخ الخوازنة للبطش بالشيخ الحمادي، فمنعهم البطريرك من ذلك، وغادر ومرافقوه الى كسروان حيث بقي مدة الاربعة أشهر في دير مارشليطامقبس. وعاد الى قنوبين، بعدما هدأت العاصفة. وفي حوادث مماثلة لاحقة غادر مقرّه الى قرية مجدل المعوش ليكون في حمى الامراء المعنيين والشهابيين فيما بعد، لكن خلافات نشبت بين مشايخ آل الخازن أرغمته للعودة الى كسروان، ومن دير مقبس أعاد الامور الى مجاريها، وعاد الى مقرّه في قنّوبين.

وأثناء ذلك وردته من الملك الفرنسي لويس الرابع عشر رسالة يردّ فيها على رسالته السابقة اليه، وهذا بعض ما جاء فيها نقلاً عن لسان المستشرق الفرنسي دي لاروك: "قد جدّدت الأمر الذي أصدرته قبلاً الى سفيري بالقسطنطينية أن يصرف عنايته واهتمامه لينال من الباب العثماني كل ما يمكن من الامور العائدة بالنفع للدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة، ليجعلكم تشعرون بمفاعيل جماعتنا وإجلالنا لكم خاصة. وأسأله تعالى أيها السيّد الأجلّ أن يحفظكم بحراسته

المقدّسة. كتب في ١٠ آب سنة ١٧٠١ ـ التوقيع لويس" (٢٨). وكان والي طرابلس قد التمس من البطريرك الرجوع الى كرسيّه تلبيةً لأوامر من الآستانة، التي استجابت لنداء الملك الفرنسي.

وفي العام ١٦٩٥، كان قد طلب البطريرك الدويهي من العاهل الفرنسي تعيين حصن الخازن قنصلاً لفرنسا في بيروت خلفاً للقنصل السابق نوفل الخازن، فاستجيب طلبه. كما ورد البطريرك الدويهي كتاب من الأمير بشير الاول يستنكر فيه ما حدث للبطريرك، وكان قد كتب الى المشايخ الخازنيين كتاباً آخر بهذا المعنى. وعلى أثر وصول الاوامر من الباب العالي الى والي طرابلس بالسهر على أمن الكرسي البطريركي، وسلامة البطريرك والشعب الماروني، كتب الحماديون بدورهم تعهداً بعدم تكليف دير قنوبين "درهم الفرد، ولا ذخيرة، ولا احد من جماعتنا ينازعوه، ولهم عندنا الناموس والحماية والرعاية بسعاب (اي بمثابة) ناسنا وربعنا"، تاريخ شهر شوال ١١١٥ هـ. الموافقة ١٧٠٣م. التوقيع: عيسى وإسماعيل حماده.

وفي عهد البطريرك الدويهي تعاقب على الكرسي الرسولي خمسة باباوات، وكان له معهم علاقات حميمة تثبتها الرسائل المتبادلة بين الكرسي الرسولي والكرسي الانطاكي الماروني. وهم على التوالي: إقليموس العاشر (١٦٧٠ ـ ١٦٧٦)، إينوشنسيوس الحادي عشر (١٦٧٦ـ ١٦٨٩)، اسكندر الثامن (١٦٨٩ ـ ١٦٩١)، إينوشنسيوس الثاني عشر (١٦٩١ ـ ١٧٠٠)، واقليموس الحادي عشر (١٧٠٠ ـ ١٧٢١).

وقد اضطر البطريرك الدويهي لتمتين علاقاته بالغرب بسبب ما عاناه من حكام بلاده وأتباعهم الذين ذكر تعدياتهم على البطريرك والشعب المسيحي، المستشرقون امثال ريستلهوبر، ودي لاروك، ودرفيو، وغيرهم. ومما قاله درفيو: "إن البطريرك الماروني كثيراً ما كان يأوي الى كهف محجوب لا يُرى ولا يُنال، هرباً من ظلم الاتراك وجشعهم، وتهديدهم بغصب حريته، وخطفه عنوة وقسراً. وفي سنة ١٦٧٠ تفاقم الخطب عليهم (على المسيحيين) وافقرتهم الضرائب حتى كادوا يهجرون جبلهم مكرهين. وكان البطريرك في إبان شدّته يستنصر حامي الكنائس الشرقية ملك فرنسا لويس الرابع عشر الذي كان ينفحه أحياناً بالمال تخفيفاً

لأثقاله، وينجده لدى الباب العالي، كفّاً للمظالم عن نصارى لبنان" (٣٩).

وفي العام ١٦٧٤ زار المركيز دي نوانتل (De Nointel) سفير الملك لويس الرابع عشر المتجوّل قنوبين، فاستقبله البطريرك بحفاوة بالغة وانزله في ضيافته. وقد نقل الكاتب الفرنسي فاندال (Vandal) في كتابه حول "أسفار المركيز دي نوانتل"، أن المركيز دي نوانتل "لم يكن يأخذه الملل من مشاهدة الشعب الماروني، ونقاوة طويته وسلامتها. وإنه لما جلس الى مائدة السيد البطريرك ونظر حوله كهنة الكرسي الأفاضل، خُيِّل إليه أنه بين الرسل في عليّة صهيون... ثم من قنوبين صعد لزيارة الأرز برفقة البطريرك وتبعهما جمهور الاكليروس والشعب. وطلب السفير أن يقام مذبح وسط تلك الغابة العجيبة لتُقدَّم عليه الذبيحة المقدّسة تمجيداً للعزّة الالهية التي بعنايتها حفظت تلك الأشجار أثراً للأعصار السالفة، ورمزاً لقدرة الله، وابديته التي لا توصف... وقدّم حينئذ البطريرك قطعة من خشب الأرز الى السفير لينحت فيها تمثال لملك فرنسا العظيم، ويكون خشب الأرز بصلابته، وعدم فساده، رمزاً لمملكة فرنسا الشريفة" (٤٠). وفي وصفه لدير قنوبين أشار المركيز دي نوانتل الى وقوع هذا الدير "في بطن الصخور الشاهقة في وادي قنوبين، وكنيسته مغارة، وداخلها نظيف جداً، ومذابحها مزيّنة لكنها مظلمة بسبب وجود تلال قدامها، وكان فوق بابها ثلاثة أجراس لم يكن غيرها في المشرق كلّه. وباقي الدير يشتمل على قلاّية السيد البطريرك، وقلال أخر للرهبان، وبعض المستودعات للحنطة والزيت والخمر..."(٤١).

وسنة ١٦٧٥ تجدّدت تعديات بني حماده في الجبة فغادر البطريرك مقرّه مجدّداً الى دير مار شليطامقبس في كسروان في اسبوع المرافع وسط الشتاء والثلوج والعواصف. وكان مشايخ بني الخازن يعانون من مشاكل داخلية بينهم، مما جعل البطريرك ينتقل، مفضلاً تحمل مشاكله مع الغرباء على مشاكل أهل البيت، الى مجدل المعوش، ليجاور حاكم الجبل الدرزي الأمير احمد المعني، حيث جدّد كنيستها، وبنى داراً له ولأتباعه قضى فيها ثلاث سنوات، ثم عاد الى مقرّه بعدما وفد اليه رسل آل حماده وقدّموا له الاعتذار والخضوع، آملين عودته الى مقرّه. ولكن آل حماده مشهورون بحنثهم بوعودهم، وبالقسم، فلم يلبثوا أن عادوا

الى سابق عهدهم في العام ١٦٩٥، والجأوا البطريرك للفرار مرة أخرى، ومرةً اخيرة في العام ١٧٠٤، هي المرة التي اعتدى فيها على البطريرك الشيخ عيسى حماده وأتينا على ذكرها سابقاً.

ولولا تدخّل الملك الفرنسي لويس الرابع عشر شخصياً، ضاغطاً على العثمانيين، بواسطة سفيره في الآستانة، لما توقفت تعديّات الحماديين على المقرّ البطريركي التي استوجبت صدور فرمان من السلطان يحذّر والي طرابلس من غضّ النظر والسماح بمضايقة الموارنة وبطريركهم.

## نماذج عن التعدّي العثماني على المسيحيين والموارنة في حلب وعكا وطرابلس

كان والي طرابلس سنة ١٦٣٥ يأخذ نصف الغلال والمحاصيل كضرائب ورسوم اميرية، ويبقي النصف لاصحاب الاملاك [٤٢]. وقد أشار المستشرق فردينان توتل في كتابه "وثائق تاريخية من حلب" الى "قتل داود الملكي (الكاثوليكي) المتولّي جمع الخراج في حلب سنة ١٦٦٠ لأنه تعمّم سهواً بعمامة خضراء يمتاز بها المسلمون، فأحضروه الى التشهّد (ليشهد أن لا الله إلا الله ومحمداً رسول الله) فأبى. فكبّلوه، وزاره الأب برونو الكبوشي فاعترف وتزوّد بجسد الربّ. وفي ٢٩ حزيران قُطع رأسه في ساحة السرايا، فابتاع المسيحيون جثته بالذهب، وسار في جنازته بطاركة الروم والسريان والأرمن، وخمسة مطارين وسائر الاكليروس. واحتُفل عند مدفنه بقداس الشهداء..." [٤٣].

ومن أجل توسيع كنيسة في حلب داخل بيت مواطن ماروني، اضطُرّ الأب بوازو اليسوعي أن يكتب الى البابا ليتوسّط له لدى الباب العالي، ومع هذا رفض طلبه "ولم ينل الموارنة مأربهم إلاّ بعدما دفعوا مبالغ طائلة رشوةً للحكام" [٤٤]. ومن ضحايا ولاة عكا المسيحي ابراهيم الصبّاغ كتخدا (مدبّر) الشيخ ضاهر العمر الذي قتله امير البحر العثماني حسين باشا بعد اغتيال سيّده ودخوله والجزار الى المدينة، لا لشيء إلاّ لأنه مسيحي. كما اصدر الجزار امراً بقتل مدبّره المسيحي مخايل السكروج لأنه نفّذ اوامره بإعدام الأمير يوسف شهاب بعدما كان عدل عن

قتله وأرسل إليه أمراً آخر بالعفو عنه. ولم يكتف الجزار بقتل الامير يوسف بل سجن معه مدبّره سعد الخوري حتى اعتل ومات بعد أيام من موت سيّده. وفي طرابلس قتل والي المدينة محمد الأرناؤوط الشيخين أبا رزق البشعلاني وابنه رزق لرفضهما التخلّي عن إيمانهما الماروني واعتناق الدين الاسلامي. وسنتحدّث لاحقاً بالتفصيل عن التعدّيات الباقية.

## مشاريع الدويهي العمرانية

أنشأ الدويهي ورمّم عدداً كبيراً من الكنائس والأديار، وردّ الكثيرين من الروم واليعاقبة الى الكثلكة وخاصة في حلب، وكرّس أكثر من عشرين كنيسة وديراً وضع بها لائحة الأب فهد في موسوعته "بطاركة الموارنة وأساقفتهم" مجلّد ٢ صفحة ١٨٥ وما بعدها. وسام ١٤ أسقفاً. وترك وراءه نحو عشرين مؤلّفاً. ويبقى أهم مشاريعه على الاطلاق مساهمته في إنشاء الرهبانية الحلبية سنة ١٦٩٥.

## الرهبانية الحلبية

في العام ١٦٩٥ انضمّ المطران جرمانوس فرحات الحلبي الشهير بغزارة علمه إلى مواطنه القس جبرائيل حوّا، والقس عبد الله قرألي، والقس يوسف البتن، وتقدّموا من البطريرك الدويهي طالبين المساعدة لتأسيس رهبانية حلبية فأقرّ لهم نظام الرهبانية في ٨ حزيران سنة ١٧٠٠. ودبّ الخلاف بين المؤسسين الذين أقامهم الدويهي في دير مارت موره - إهدن في اول آب سنة ١٦٩٥ على الرئاسة، بين الرئيس الأول جبرائيل حوّا والثاني عبد الله قرألي، فوضع الدويهي حدّاً لخلافاتهم في مطلع القرن الثامن عشر، وقسّم الأديار والممتلكات التابعة للرهبانية بينهما. واخذت هذه الرهبانية تنمو بسرعة حتى صار لها عدة أديار ومنتسبين في لبنان وفي قبرص وجعلت مقرّها الرئيسي في دير قزحيا. وبعد انقسامها الى رهبانيتين حلبية ولبنانية بقرار من الكرسي في ١٩/٧/١٧٧٠، عادت فتوحّدت في ١٠/١١/١٨٥٩ في عهد رئيسها الأب لورنسيوس الشبابي، وسُمّيت "الرهبانية اللبنانية" ١٧٦٨. وبلغ عدد افرادها سنة ١٧٣٦، كما ورد في المجمع اللبناني ٢١٠ رهبان وسنتحدث لاحقاً بالتفصيل عن هذه الرهبانية.

## وفاة البطريرك الدويهي

وكانت وفاة البطريرك الدويهي في ٣ ايار سنة ١٧٠٤ بعد اسبوعين من عودته الى قنوبين وتهجيره، بعدما أقنع البطريرك الملكي كيرللس بتحوّل الخبز والخمر الى جسد للمسيح، بحضور، ورعاية، وتحكيم الامير أحمد المعني، وبعض فقهاء الدين، وأمر بنسخ صكوك أرزاق الكرسي البطريركي، وحفظ اوراقها خوفاً من غدرات الدهر، في السجل المعروف باسمه. ورغم كل جهوده وصداقاته، وعمله الدؤوب لحماية الموارنة من تعديّات الحكام، لم يسلم شعبه في عهده من التعديات، ولا هو استطاع إبعاد الكأس عنه، حتى أنه "لم يذق طعم الراحة يوماً واحداً"، على حدّ ما ذكر المؤرخ ميخائيل غبريال الشبابي (٤٥). واستقرّ في مثواه الأخير في قنوبين، بين رفاقه وأسلافه البطاركة العظام، وبجوار مسقط رأسه إهدن، بعدما قضى عمره هارباً من كهف الى كهف، ومن منطقة الى اخرى، حفاظاً على الكرامة، والحرية، والمقدّسات. ورغم شيخوخته، وسنواته السبعين، أبى أبو التاريخ الماروني أن يستسلم لأعدائه، بل حبّاً بطائفته الذي يفوق كل حدّ، حسبما قال واضع ترجمته المطران بطرس شبلي، "كان مستعداً في كل وقت أن يقدّم عنقه للسيف إذا اقتضت ذلك مصلحتها وخيرها" (٤٦).

وبعد اسبوعين من عودته من كسروان في ٢ ايار سنة ١٧٠٤، "يوم الجمعة عند الساعة التاسعة من النهار طلب البطريرك أن يأتوه بالزاد الأخير، فنزل المطارنة ورهبان الدير وغيرهم الى الكنيسة، وحملوا القربان المقدّس، وخرجوا منها بزياح، ولما وصلوا أمام غرفته وقفوا جميعاً خارجاً، وطفقوا يبكون، ورفعوا صوت نحيبهم، فسمع البطريرك صراخهم، فانتهرهم وقال لشماسه: ألم يعاينوا أحداً يموت غيري؟ أما هو فلم يضطرب من دنو الموت لأنه كان ينتظره في كل وقت... ثم دخل الى القلاّية المطران الذي كان حاملاً القربان، وتناول البطريرك جسد الرب... وعند نصف ليل السبت عطش وطلب ماء... ثم حلّ المربوطين، وبارك بني رعيته الغائبين والحاضرين. ثم من تلقاء ذاته ضمّ يديه الى صدره على شكل صليب. وبعد هنيهة اعتقل لسانه، ولم يمض القليل حتى أطبق عينيه وأسلم الروح بيد خالقه، وكان ذلك في سحر السبت في يوم الثالث من أيار سنة ١٧٠٤" ممضياً في

البطريركية ٣٤ سنةً، عن عمر ٧٣ عاماً وتسعة أشهر (٤٧).

## عجائب البطريرك الدويهي

روى المؤرخ ميخائيل الشبابي أن البطريرك الدويهي عندما كان في مجدل المعوش زاره بعض القوم الدروز حاملين إليه بعض القمح هدية. وكان أحد رفاقهم يريد مرافقتهم، فلما عاد الى بيته ووجدهم قد سبقوه، حمل كيلاً من القمح وكان الرجل فقيراً جداً، وقدّمه للبطريرك فقبله شاكراً، ولما عاد الى بيته وجد الكيل قد سبقه الى البيت فذهل وأخبر مولاه، وكان رجلاً درزياً، فأخبر هذا امير الدروز، فقال له الأمير: لا تتعجّب يا إبني فإن البطريرك اسطفان قد صنع آيات كثيرة، تفوق هذه الآية. ولما رفض مشايخ أيطو والجبّة قبول نصيحة بوجوب التوافق والاقلاع عن الخلاف، رماهم بالحُرْم وكان ذلك تحت شجرة تين فيبست للحال. وفي بكفيا زاره رجل إبنه مشرف على الموت واخذ تراباً من تحت قدميه وذوّبه وسقاه لابنه فشفي حالاً، و"صار اسقفاً، وهو المطران فيلبوس الجميل" .

وبعد وفاته انطرح على قبره، حسب رواية المطران شبلي رجل من بلوزا مصاب بمرض عضال منذ زمنٍ طويل: فظهر عليه البطريرك اسطفان بحلّته الحبرية وسأله عن طلبه فأجابه الفتى: أريد أن أشفى فقال له: المسيح يشفيك. فنهض بطرس ومشى مستوياً واخبر ما جرى له. ولا يزال حتى اليوم أحد أبناء بلوزا مقصداً للزائرين من كل أنحاء البلاد لالتماس شفاعة البطريرك الدويهي على يديه فتُستَجاب طلباتهم. ويعددّ المطران شبلي أسماء من نالوا الكرامات على يد البطريرك القديس وبينهم بركات بن رزق والياس محاسب اسقف عرقا الغسطاوي. كما أكّد البطريرك سمعان عواد "ان المسقومين يأخذون من تراب ضريح البطريرك الدويهي، من مغارة القديسة مارينا، ومن العشب النابت عليه، ويتباركون منه، ويشفون من أمراضهم، وإن أنكر ذلك أنكر ضوء الشمس" (٤٨).

والكنيسة المارونية تأمل أن يطوّب البطريرك الدويهي من قبل الكرسي الرسولي تلبية للدعوى المقدّمة بهذا الخصوص من البطريركية المارونية، ومع هذا سيبقى قبره محجةً يفد اليها المؤمنون للتبرك ونيل الامنيات،اعتقاداً، وايماناً منهم، بأنه قدّيس.

## ٤ ـ التعدّيات على المقدّمين ورجال الدين

انتهى القرن السادس عشر بالتعدّي على البطريرك مخايل الرزي سنة ١٥٦٧ على أثر انتخابه وترميمه دير قنوبين، وإنشائه كنيسة جديدة، وبتوجيه والي طرابلس حملة عسكرية عثمانية لفرض ضريبة على البطريركية من جرّاء قيامها بهذه الانشاءات، علاوة عن رسم آخر فرضوه على الاموال التي تركها سلفه البطريرك سركيس. ولما رفض البطريرك الخضوع لهذا الابتزاز "وضعوا يدهم على ساقية (ماشية) الدير، وعلى أرزاقه بسبب غريمة (ضريبة) على نشوء الكنيسة الجديدة، والقضاوة (المقاضاة) عن متخلّفات البطريرك المتوفّي... واضطر البطريرك ان يرضيهم بشيء معلوم ويستردّ أملاك الدير" (٤٩). وفي العام ١٥٩٠، كان مقتل الامير محمد عساف وانقطاع ذريته قرب قلعة المسيلحة شمالي البترون بتدبير من الأمير يوسف سيفا حاكم الشمال، ومن ثم هاجم مدبّريه الحبيشيين الموارنة في غزير فنزحوا الى عبيه، بعدما عجزوا عن وقف تعدّيات جماعته وخطفهم زوجة الأمير المغدور التي تزوّجها الأمير يوسف سيفا المذكور. وكان "أهالي بيروت المسلمون قد وضعوا يدهم على كنيسة الموارنة فهجروها، وجعلوها قيسارية (سوق حرير)... وسنة ١٥٧٢ توزّع القشلق (الضرائب) على بلاد الشام... فنهبت الدولة البلدان وسلبت ساقيتها (ماشيتها)، وأضاموا الخلق فوق الحدّ حتى كادت الناس تطلب الموت لذاتها، وخلت ضياع كثيرة... ثم إن ملك الاسلام (والي طرابلس) أمر بأخذ جميع الكنائس والديورة ووقوفات النصارى بأسرها بمعاملته، وجعلهم بكليك (املاك اميرية للدولة)، تأكلهم السلطنة وتبيعهم بيعاً... وجملة ما طلبوا من وقوفات الجبّة ٢١ ألف. ومن ذلك الوقت اهل الخير والدين دفعوا دراهم واشتروا الديورة في

درهمهم، (أموالهم)، مثل أهالي الحدث الذين اشتروا دير قنوبين واملاكه... ورزق قنوبين استفكّه البطرك (مخايل الرزي) على يد الشيخ منصور بن حبيش... ومن جور القشلق خلي دير ميفوق من الرهبان... أما الذين كانوا عاجزين (عن الدفع) رموهم بالسيف، كما صار في عيلتنا الدويهية، على حدّ ما ذكر البطريرك الدويهي في "تاريخ الأزمنة"... وقد غيّروا النقد، وجعلوا قطعة النقد توازي درهمين، وباعوها للفلاّحة بخمسة دراهم (أي اشتروها بدرهمين وباعوها بخمسة على غرار اللعب بالدولار في المصارف)... وغزا الجراد البلاد فزاد الضيق..." (١).

على هذه الحال المزرية انتهى القرن السادس عشر، وبات اللبنانيون على اختلاف فئاتهم، رجال دين ودنيا، لا سيما الموارنة منهم، في وضع لا يحسد عليه من الفقر والعذاب، مما جعل البطريرك موسى العكاري يوفد الراهب انطون الحصروني الملمّ بالتركية الى الآستانة، لمقابلة الصدر الاعظم، والطلب اليه كفّ التعدّيات التي يقوم بها عمّال الاتراك وأتباعهم. وقد تسنى للحصروني أن يحصل على فرمان من السلطان "يقضي بأن لا أحد يعارض بطريرك الموارنة بدير قنوبين في أمور البطريركية". بل إن قاضي طرابلس كان "يمنع وينتقم من المتمرّدين والمعاندين" (٢). وقد اسهم في اتخاذ السلطنة مثل هذا القرار، ضغوطات ملوك فرنسا، والكرسي الرسولي. وانتظر الموارنة الفرج ليتنفّسوا الصعداء.

وفي مستهل القرن السابع عشر، في العام ١٦١٢ قام يوسف سيفا والي طرابلس بقتل نعمه وداود إبني المقدّم خاطر الشدياق الحصروني الماروني، بعدما استنزف اموالهما بالوعود الكاذبة حول إحلالهما محل ابيهما في المقدميّة في جبّة بشري. ثم ألقاهما في البئر المعروفة "ببئر الأزهري" (وربما المقصود بها "بئر الزاهرية" في طرابلس). ثم أوعز الى المقدّم عاشينا شلهوب لاغراق اخيهما الثالث في نهر ابي علي. وهذا المقدّم نفسه لم يسلم من القتل، إذ حاكمه أبو نادر الخازن لقتله قساً من الحدث وأعدمه بأمر من فخر الدين في قلعة صمار جبيل وألقى بجثته في وادي المدفون عام ١٦٢١. ثم الحق به والده الذي جاء محتجاً على إعدام إبنه. وربما لأنهما من أتباع يوسف سيفا عدوّ حاكم البلاد فخر الدين. وذهب الأمير فخر الدين نفسه ضحية الغدر العثماني في العام ١٦٣٥.

وفي العـام ١٦٤٩ اعـتـقل والي طرابلس مـحـمـد الأرناؤوط مـدبّره أبا رزق البشعلاني الماروني وضيوفه مشايخ بني حبيش متهماً إيّاه باستقبال أنصار فخر الدين الثاني. وكان أبو رزق تدقّ له النوبة كلما دخل المدينة لسمّو منزلته. ثم قبض حسين باشا والي طرابلس على إبنه يونس ابي رزق البشعلاني واخوته وطالبهم باعتناق الدين الاسلامي، ولما وعدوه بالقبول أطلقهم من السجن، فهربوا الى جبل لبنان. ثم راح يوفد الرسل الى يونس متظاهراً بالعفو عنه، حتى أقنعه بالعودة الى طرابلس لاستلام مركز أبيه كمدبّر للوالي، ولم يلبث أن طلب إليه من جديد اعتناق الاسلام، ولما رفض رفعه على الخازوق فوق أسوار المدينة في ٢١ ايارسنة ١٦٩٧ لمدة خمسة أيام بحراسة الجنود حتى تمّت وفاته.

وفي ١٦ نيسان سنة ١٦٤٠ حكم والي طرابلس محمد الارناؤوطي على مقدّم الجبّة أبي كرم الحدثي بالموت لأنه لم يأت للسلام عليه فور تسلّمه منصبه. وبعدما عرض عليه الاسلام، ورفض، أمر بأن يحمل على جمل، ويوقد مشعل في قفاه. وسار به على هذه الصورة في شوارع طرابلس، ثم أمر بشنقه فقضى شهيداً.

وساء حكام المسلمين رؤية الشعب الماروني كلّه "كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، يجتمع في الكنيسة للصلاة، والاشتراك في القدّاس مرّتين في النهار على الأقلّ، في الأيام العادية، مرةً في الصباح، ومرّةً في المساء. ولتسهيل ذلك على الجميع، بنيت كنيسة في كل حيٍّ او جزءٍ من المدينة او القرية... لذلك ترى مثلاً نحواً من ثلاثين كنيسة في كلّ من العاقورة وتنورين وبشرّي وإهدن"، حسبما أشار الأب بطرس ضو في "تاريخ الموارنة" (٣). كما أشار الدويهي الى "وجود مذابح في بشرّي على عدد أيام السنة". ولشدّة استيائهم من التواصل بين المسلمين والمسيحيين، واللبنانيين عموماً، راح العثمانيون يعملون جاهدين لضرب اللحمة بين الطوائف، هذه الوحدة التي تحدّث عنها المؤرخون، مسلمين ومسيحيين، بإعجاب وإكبار، ومنهم المؤرخ العربي شهاب الدين العمري الذي قال: "هنالك يرتفع جبل لبنان، الأرض المباركة، موطن القديسين والسائحين، والمتوحّدين، حيث يعيش الكثيرون من الذين ينقطعون عن الدنيا لعبادة الله القويّ القدير. لبنان هو المعراج في طريق الصوفيين، والقطب في حلقة القديسين..." (٤). والبابا بيوس الرابع الذي

حمد الله لأنه "لا يزال في الاقطار المشرقية آلاف من الناس لم تجثُ ركابهم لباب عالٍ، ولم يفسدهم القرب من الهراطقة غير المؤمنين"(٥)، ويعني بهم موارنة لبنان "الوردة بين أشواك الملل الأخرى" كما قال قداسة لاون العاشر في براءته المؤرخة في اول آب سنة ١٥٨٥، للبطريرك شمعون الرابع الحدثي (٦).

وراح ولاة العثمانيين في حلب وطرابلس وصيدا وعكا والشام والقاهرة، يحرّضون أعيان البلاد من كل الطوائف للتقاتل والتذابح، والتناحر على المناصب، تأميناً لفك الوحدة الوطنية التي تجمعهم، وابتزازهم حتى آخر فلس في جيوبهم، وذلك بغية إشعال الفتن والحروب بينهم، وإشغالهم عن طلب السيادة والاستقلال، وإرهاقهم بالضرائب الفادحة. و"كان منصب الباشا يكلّف ٨٠ او مئة الف دوقاً (عملة ذهبية صنع البندقية)، وأمين الصندوق خمسين ألفاً. ويضم مجلس الوالي نحو خمسماية موظّف، وقد يصل الى ألفين بين خدمٍ وحشمٍ ونساءٍ وغلمانٍ، هذا عدا الحرس" حسبما أشار المطران بطرس ديب في "تاريخ الكنيسة المارونية" صفحة ٢٧ ـ ٤٦. ويتراوح عمل هؤلاء بين "الجوخدار" أي ناظر الثياب، و"المطرجي" (الساقي)، و"البرق دار" (حامل العلم)، و"السردار" (قائد العسكر)، ... الى ما هنالك من الرتب والألقاب. وكان أصحاب المقاطعات من المشايخ والامراء، يضطرّون لتلبية طلبات الوالي المتكرّرة، او تحلّ عليهم التعدّيات من فرض خوة وحرق أملاك، وملاحقات وغيرها. اما الضرائب فكانت تجمع أكثر من مرة في السنة، وكثيراً ما تضاعف قيمتها تبعاً لحاجة الوالي، ومن وراءه.

وإزاء هذه التصرّفات غير المحتملة، هبّ الشعب اللبناني محتجّاً بكل فئاته وطوائفه، داعياً لمقاومة الظلم والتجويع والابتزاز، واستبدال هذا الحكم الجائر بحكم وطنيّ كالذي كان يعمل لتحقيقه امير لبنان الكبير فخر الدين الثاني. وشعر العثمانيون بالخطر من نقمة الشعب عليهم فراحوا يحاولون امتصاص النقمة، وتفريق الصفوف، بالتقرّب من بعض الفئات، وتوزيع المقاطعات والألقاب على البعض الآخر. وهذا ما عزّز تشبّث اللبنانيين بكل فئاتهم بالامراء الوطنيين شهابيين كانوا ام معنيين، وانخرطوا في صفوفهم، وكانوا من أتباعهم بحيث لم يعد يعرف أيٌّ منهم بشهرته، بل بتبعيّته للأمير الحاكم، فهذا سيفيّ، وذاك معني، او لمعيّ، او

جنبلاطي، او يزبكي، بعدما كانوا في السابق قد اتخذوا القيسية او اليمنية إنتماء جزئياً لهم حتى قيام الامير حيدر سنة ١٧١١ بالقضاء على الحزبية اليمنية، فانقسمت القيسية على نفسها الى يزبكية وجنبلاطية.

## الحزبية اليزبكية والجنبلاطية

ترجع هذه الحزبية التي قسمت القيسية على ذاتها الى "المناظرة التي احتدمت بين جنبلاط جدّ الجنبلاطيين الذي عاصر الامير فخر الدين وعصى عليه، وبين خصمه الشيخ يزبك بن عبد العفيف الذي ناصر الأمير ضدّه" حسبما أوضح الامير حيدر شهاب في كتابه "لبنان في عهد الامراء الشهابيين"(٧). وبين الزعيمين الشيخ علي جانبولاد (او جنبلاط)، زعيم الجنبلاطيين، والشيخ يوسف العماد زعيم اليزبكيين، انقسم الدروز الى حزبين: يزبكي وجنبلاطي. وقد ساعد الامير فخر الدين الثاني حليفه إبن جنبلاط الشيخ علي على العثمانيين أثناء قيامه عليهم في حلب التي تولّى أمرها محاولاً الاستقلال بها. ولما انهزم ساعد إبنه جنبلاط وابنه ربّاح للانهزام الى لبنان والسكن بين بيروت وجبل الشوف. ثم عيّن الامير جنبلاط المذكور قائداً لحامية شقيف أرنون قرب مرجعيون ومنحه لقب المشيخة، مع مقاطعات في الشوف. ثم عاد فعزله لما راح يتقلّب في سياسته بين الأمير والعثمانيين، لكنه كان قد جمع حوله عدداً كبيراً من الانصار والمؤيدين عُرفوا بالجنبلاطيين بينهم موارنة كبعض مشايخ آل الخازن وغيرهم. وللحدّ من زعامته ناصر الأمير فخر الدين خصمه الشيخ يوسف العماد زعيم الفريق الدرزي الآخر الذي كان من أتباع الشيخ يزبك العماد، ويعرف أتباعه باليزبكيين. وقد تكرّست زعامة الرجلين بعد معركة عين داره التي تمّ فيها توزيع المقاطعات على حلفاء الامير حيدر شهاب، وكان نصيب الجنبلاطيين الأوفر منها، فارتفعت أسهمهم، ونمت حزبيتهم. وقد حاول الشيخ يوسف واليزبكيون، الوقوف بوجههم، ووجه داعمهم الأمير السابق فخر الدين الثاني باللجوء الى والي الشام حافظ باشا، والى مشايخ آل الخازن الموارنة الذين يعتمد عليهم الأمير فخر الدين في تدبير شؤونه وقيادة جيشه. ثم مات الشيخ جنبلاط سنة ١٦٤٠، بعد موت الأمير بخمس سنوات، تاركاً الزعامة لابنه رباح الذي مات بعده تاركاً الزعامة الجنبلاطية لولديه فارس،

وعلي الذي شارك في معركة عين داره سنة ١٧١١ فعهد اليه الأمير حيدر بمقاطعات الشوف، حيث بنى قصر المختارة، واشترى املاكاً واسعة جداً في سهل البقاع لا سيما بعدما تزوّج من إبنة الشيخ قبلان القاضي الوحيدة وكان بالغ الثراء، والذي دبّر الجنبلاطيون قتله، فانتقلت ثروته إليهم، فأصبحوا أغنى الاسر الاقطاعية في لبنان. ثم خلفه إبنه الشيخ قاسم جنبلاط في الزعامة، فترك بعذران التي كان والده قد بنى فيها قصراً فخماً وانتقل الى المختارة، وفيها قضى نحبه تاركاً الزعامة لابنه المحنّك الشيخ بشير جنبلاط الذي لقّب "بشيخ المشايخ"، و"عمود السماء"، و"شيخ العقل"، و"مازاران عصره"، فبزّ من سبقه من آل جنبلاط في الوجاهة والزعامة والدهاء. وجعله ثراؤه، ومقامه الرفيع، وطموحه يفكّر بإقامة "إمارة درزية" تجمع بين دروز حوران والجولان وفلسطين ولبنان، وتتصل بالبحر جنوبي صيدا؛ فكانت احلامه هذه سبباً لقيام صديقه وحليفه الامير بشير الثاني الذي كثيراً ما استدان منه للوفاء بالتزاماته تجاه الجزار والي عكا، يقوم ضدّه بمَساعدة العثمانيين، لايقافه عن تنفيذ احلامه التي تهدّد المصالح العثمانية والشهابية في آن واحد. وتوصّل الشيخ بشير جنبلاط الى البروز محليّاً وخارجياً كأنه من كبار امراء البلاد، فكاتبه بابوات روما، وملوك فرنسا، مشدّدين على طلب صداقته وحمايته للمسيحيين. وهذا ما جعله يوثّق صلاته بمشايخ آل الخازن وبالبطاركة الموارنة. ولكنه في قرارة نفسه كان يغار من الدور الكبير الذي كان يلعبه مدبّر الامير بشير الماروني جرجس باز، واخوه عبد الاحد ملتزم بلاد جبيل والبترون، والموارنة عامة بدعم من صديقه الأمير بشير وقناصل آل الخازن. وراح يتآمر للخلاص من البازيّين المذكورَين بالتعاون مع الأمير حسن شقيق الامير بشير الذي كان يغار هو الآخر من تعاظم دور شخصية المدبّر جرجس باز. ولما كان الأمير بشير، هو الآخر، لا يرتاح الى لمعان أي نجم في إمارته، فقد ساءته غطرسة جرجس باز والشيخ بشير، وقرّر الخلاص منهما. وغضّ النظر عن قتل مدبّره البازي بمسعى من شقيقه والشيخ بشير، في دارته، وبحضوره، في دير القمر. ثم توجههما الى جبيل حيث قضيا على شقيقه عبد الاحد في اليوم نفسه، بعدما شهر سيفه ونازل رجالهما، واطلق النار عليهم. ولما اشتد ضغطهم عليه في عقر داره ألقى بنفسه من النافذة فكُسرت رجله، ولم يتمكن

من الفرار، فأجهزوا عليه، وتمّ دفنه قرب قلعة جبيل، حيث لا يزال مدفنه حتى اليوم.

وعاد الامير بشير الى رشده فساءه مقتل مدبّره الذي كان يُستقبَل استقبال الحكام لدى زيارته لوالي دمشق، فتضرب له النوبة، لسداد رأيه، واتساع زعامته، وسموّ مكانته. وغدا الشيخ بشير وحيداً في الساحة اللبنانية يزداد وجاهة وقوّة يوماً بعد يوم، فقرّر التخلّص منه، ووجّه اليه ثلاث حملات عسكرية، باعتبار ان البلاد، كما كان يصرّح سموّه، لا تتسع لبشيرين في آن واحد. وفي النهاية، بعد كرّ وفرّ، وخسارة وانتصار، استطاع الامير إرغام الشيخ بشير على الفرار من وجهه الى حوران بعدما كبّده خسائر جسيمة في الاملاك والارواح. ثم طلب من صديقه حاكم مصر، محمد علي بك الكبير مساعدته بإرسال توصية الى والي الشام للقضاء على الشيخ بشير. ولم يلبث والي الشام أن قبض على الشيخ بشير وسلّمه الى والي عكا سليمان باشا لمحاكمته باعتباره يثير المشاكل والقلاقل في الولايات الجنوبية، ويعمل لتأسيس إمارة درزية مستقلّة، فتمّ إعدامه في حزيران سنة ١٨٢٥.

وكان الشيخ بشير قبل موته، قد أجرى إتصالات بالانكليز بواسطة الجنرال سميث، واللادي ستنهوب، اللذين زاراه في المختارة، واتّفقا معه على محاربة نابوليون بونابرت عند حصاره عكا، بسبب علاقاته بالانكليز ثمّ تبنّي الانكليز للدروز، ووضعهم تحت حمايتهم رغبة من الانكليز بتأمين موطئ قدم لهم في هذه البلاد[٨].

وبعد مقتل الشيخ بشير تمّ تهديم قصور الجنبلاطيين في المختارة وبعذران وبعقلين، بالاضافة الى جامع المختارة، ونُقلت حجارتها لإكمال بناء قصور بيت الدين التي كان الامير بشير قد باشر بناءها. ثم التحق بعد موت الشيخ بشير، اولاده ورجالهم بعزيز مصر، محمد علي، وعادوا الى البلاد بعد استسلام الأمير بشير ونفيه الى مالطا، مكرّمين، فاستعادوا أملاكهم، ورمّموا قصورهم المهدّمة وزعامتهم العريقة بقيادة الشيخين سعيد ونعمان ولدي الشيخ بشير جنبلاط. وحاول الأمير بشير الثالث اغتيالهما قبل أن يتمكّنا من استرداد زعامتهما إلاّ أن مؤامرته فشلت بسبب إعلام القنصل الفرنسي "بوره" الشيخين المذكورين بما يخطّط لهما. وهكذا استطاع الفرنسيون انتزاع الجنبلاطيين من حضن الانكليز،

وتوطيد صداقتهم بهم، وتبرئتهم من الاعتداءات على المسيحيين في فتنة العام ١٨٦٠ التي كان للشيخ سعيد جنبلاط إبن الشيخ نعمان ضلعٌ فيها. وقد استطاع الشيخ سعيد على غرار جدّه الشيخ بشير أن يكتسب ثقة ملوك فرنسا، ويتبادل معهم الرسائل بخصوص حماية المسيحيين في المقاطعات التي تخضع له. وقد أثبغوا عليه بلقب "أمير الدروز"، و"شيخ مشايخ لبنان" كالشيخ بشير السالف الذكر. ومع هذا لم تثبت براءته لهم في احداث الستين، مع أنه حمى بعض المسيحيين الهاربين الذين لجأوا لحماه، بعدما كان قد شارك في تهجيرهم وضربهم، فسُجن في عكا، ومات بعد سنة من خروجه في ١١ أيار سنة ١٨٦١، تاركاً ولدين هما نجيب ونسيب، اللذين أعيدت اليهما املاكهما التي صودرت، بعدما برّئ والدهما مما نُسب اليه. ورُزق نجيب ولدين: علي وفؤاد. أما نسيب فلم يرزق أولاداً. ثم رزق علي ولداً دعي نجيب وتوفي عن ثلاثة اولاد هم: نسيب، سعيد، وحكمت الذي رزق سعيداً ومنه تحدّرت أسرة خالد جنبلاط. أما فؤاد شقيق علي، فقد رُزق كمال الذي لعب دوراً بارزاً في حياة لبنان السياسية، وأصبح زعيماً في البلاد، ورئيساً لحزب اشتراكي، وسياسياً محنّكاً ومثقّفاً، ثم مات أغتيالاً على طريق بيته قرب المختارة في كمين نصب له في الثمانينات كغيره من القيادات التي اغتيلت في الاحداث اللبنانية المشؤومة التي استمرّت من العام ١٩٧٥ حتى العام ١٩٩١، وتحولّت الى حرب أهلية دامية بين المسيحيين والمسلمين. وقد ترك كمال جنبلاط بعده إبناً وحيداً يدعى وليد، هو حالياً زعيم الدروز الأوحد، نظراً للرصيد الكبير الذي تركه له والده. والامارة الدرزية التي حلم بها الشيخ بشير جنبلاط، وبعده كمال جنبلاط، هي اليوم قيد التحقيق تحت لواء الوليد، وإن لم يعترف بها حتى اليوم رسمياً أي مرجع. ولم تشمل زعامة الوليد اليوم الجنبلاطيين وحدهم، بل الدروز بكامل فئاتهم وأسرهم، جنبلاطيين ويزبكيين.

والجدير ذكره، قبل إنهاء حديثنا عن الجنبلاطيين، أن الاسرة الجنبلاطية الدرزية المالكة سعيداً اليوم، رغم اشتراكية زعمائها، هي منذ القرن السابع عشر حتى اليوم، ترعى النظام الاقطاعي بكل وجوهه، والقيادة فيها يتسلّمها الإبن عن أبيه، بإلباسه من قبل وجهاء الطائفة خلعة المشيخة بحضور جميع الشيوخ

والعقّال.

يقول الدكتور سليم هشي في كتابه "المراسلات الاجتماعية والاقتصادية" : "بنى آل جنبلاط كنيسة داخل قصرهم في المختارة، لإفساح المجال أمام أصدقائهم آل الخازن لممارسة شعائرهم الدينية دون حسيب او رقيب" (٩). والشيخ عارف النكدي في كتابه حول الأمير فخر الدين يشير الى أن "بني معروف حموا وطنهم، ومكّنوا أبناء الطوائف الأخرى أن يعملوا في الصناعة والزراعة والتجارة، المهنة التي كان بنو قومنا ـ بالنسبة الى تقاليد تلك الأيام ـ يستنكفون عن ممارستها، ويترفّعون عنها، ويرونها دون مقامهم، ودون فنّ الحروب والقتال الذي انصرفوا إليه فأحكموه حتى صار خلقاً من أخلاقهم، وطبعاً من طباعهم" (١٠).

ويرى المؤرخ نوفل نوفل في كتابه "كشف اللثام..." أن امراء ومشايخ الدروز الآخرين تتوزّع مقاطعاتهم داخل "الشوف التي تنحصر فيها إمارة الجبل على الوجه التالي: الشوف الأعلى بنو جنبلاط، المناصف بنو نكد (الذين وقفوا على الحياد بين اليزبكية والجنبلاطية)، العرقوب الاعلى بنو العيد، العرقوب الأدنى بنو العماد (زعماء الحزب اليزبكي)، الجرد بنو عبد الملك (اليزبكيون)، المتن بنو اللمع (الذين تنصّروا في القرن الثامن عشر)، الغرب الأعلى بنو تلحوق (اليزبكيون)، الغرب الأدنى امراء إرسلان (الزعماء الحاليون لليزبكيين). وهؤلاء الاقطاعيون يقيمون عمالتهم (مقاطعتهم)، ويتصرّفون بها على أهوائهم، لكنهم يدينون جميعاً لأمراء بني شهاب (زعماء الحزب القيسي الذي انقسم لاحقاً الى جنبلاطي ويزبكي). وكل هذه العيال من الدروز، فصارت البلاد تسمى بهم بلاد الدروز. وبعد حين تنصّر منهم بنو اللمع. أما رتبتهم، فإنهم كلّهم من المشايخ إلاّ بنو إرسلان، وبنو اللمع (والمعروف أن بني اللمع حصلوا على لقب الامارة بعد معركة عين داره سنة ١٧١١، وقبل ذلك كانوا شيوخاً). ولهم فروقات من الألقاب والرسوم. وأعظم امراء لبنان بنو شهاب (الى جانب الامراء المعنيين)، وبعدهم بنو اللمع، وبعدهم بنو إرسلان، وبعدهم المقدّمون بنو مزهر (إقطاعيو حمانا) ويجلسون بعد الامراء وقبل المشايخ..." (١١). وهنا لا بدّ من الاشارة الى أن الحماديين من الطائفة الشيعية كانوا من رتبة المشايخ، ولكنهم يأتون في طليعتهم، وبعد الامراء مباشرةً نظراً لإقطاعاتهم

الواسعة ورعاياهم الكثر، ونفوذهم الكبير.

وقد انعكس الانقسام اليزبكي - الجنبلاطي على المسيحيين والمسلمين معاً، فشارك كثيرون منهم في هاتين الحزبيتين، ويذكر الامير حيدر شهاب في تاريخه المعروف بالغرر الحسان، أن الشهابيين انقسموا تحت تأثير هذا الصراع فأصبح "الحصابنة (اهل حاصبيا) جنبلاطيين، والرياشنة (أهل راشيا) يزبكيين، فيما كان لشهابيّ الجبل الدور القادر على تقرير تقلّب الزعامة الدرزية بين المتصارعين عليها، واستغلال الفتن بين المشايخ" (١٢). اما أبرز الموارنة الذين التحقوا بهذه الاحزاب، فكانوا بني الخازن الذين أيّدوا الجنبلاطيين، وكانت تربط بين الاسرتين علاقات حميمة، أشرنا إليها سابقاً ببناء كنيسة لهم في قصر المختارة، ولم ينس الجنبلاطيون طبعاً جماعتهم المحمدية، فبنوا جامعاً في ساحة القصر. وقد وقف آل باز ومحازبوهم بقيادة المدبّر جرجس باز في الصف المعارض للجنبلاطيين، ولا سيما كبيرهم الشيخ بشير الذي كان يزاحمه على النفوذ في بلاط الأمير بشير، وبالتالي في الجبل اللبناني. وقد شهد قصر بيت الدين أكثر من مشادة بينهما (أشهرها) حادثة "الجاهلية" التي رواها المؤرخ رستم باز في "مذكراته" (١٣)، وفيها أن المدبّر جرجس باز المعروف بأبي عساف أصدر أوامره لسجّان قصر بيت الدين بإطلاق سراح نصارى الدبيّة الذين كانوا قد اعتدوا على دروز الجاهلية، فاحتجّ عليه الشيخ بشير جنبلاط بالقول: "يا شيخ بو عساف، إنه الى الآن ما جرى عادة أن نصراني الدبيّة يمدّ يده الى درزي الجاهلية". فأجابه بو عسّاف: "الذي أسكره الجاه والنفوذ، حسب قول رستم باز، " يا جناب الشيخ، الأحكام العادلة لا تعرف ما تقوله، بل تعرف الجميع تحت الحكم بالحقّ، من أيّ ملّة كان. وإن كنت راغباً في ما تقوله، فبيني وبينك سهل البقاع، والسالم لسعادة الأمير". لكنّ تحدّي بو عساف، يتابع رستم باز، للشيخ بشير، لم يكن متوقّعاً لا من بشير جنبلاط، ولا من الأمير". وعندها يظهر أن الأمير صمّم القضاء على الاثنين معاً، بعدما أصبح لديهما من الجرأة والعظمة ما يدفعهما للتحدّي في حضرته.

وفي كتابه "الدرّ الموصوف في تاريخ الشوف" يشير حنانيا المنيّر الى "أن اليزبكيين على ضآلة قوّتهم يحكمون مع حلفائهم التلاحقة الغرب الأعلى وسكانه

٦٢٧٥ درزياً و٩٨١٥ مسيحياً في ٤٧ ضيعة. والجنبلاطيون يشرفون على ١٣٨ ضيعة عدد سكانها ١١٤٠٠ درزياً، و٥٦٠٥ مسلمين، و٣٣٧٠٠ مسيحياً" (١٤).

وسنعطي بعد الحديث عن معركة عين داره لمحة عن إقطاعيي بقيّة الاسر المسيحية والمحمديّة، باعتبار أن النظام الذي أفرزته معركة عين داره الفاصلة في تاريخ لبنان، هو بداية نظام جديد يمكن أن نطلق عليه تسمية "العهد الاقطاعي في تاريخ لبنان".

## التمييز بين المواطنين بسبب الدين والضريبة على المسيحيين

فرض العثمانيون على رعاياهم ضرائب تختلف باختلاف طوائفهم. وكانت الضريبة على المسيحيين "ما خلا الخوري عن شخصه، والعاجز والولد القاصر.. على المزوّج ثلاثة غروش ونصف، وعلى الاعزب ثلاثة غروش فقط" (١٥). وتسمّى الضريبة "كاور" او "جزية كبران" اي ضريبة الكفّار بدل قطع الرأس. و"كانوا يعتبرون من أحوجتهم من النصارى (صداقته) كالإناء النجس الذي يضطرّون الى إقتنائه. وكثيراً ما كانت تصدر اوامر السلاطين، فضلاً عن نوابهم في الايالات (الولايات) خسبما جاء في مخطوطة نوفل "كشف اللثام..." بإذلال النصارى... وبقي الحال على هذا المنوال الى اواخر عصر السلطان محمد الثاني. وإن إبنه السلطان عبد المجيد الأول، منح عند جلوسه على تخت المملكة (١٨٣٩) حقوقاً متساوية لجميع الأديان، فعرفت منذ ذلك الوقت المذاهب الكاثوليكية. وبعد برهة وجيزة عرفت أيضاً الكنيسة الانجيلية المعروفة بالبروتستانتية، وكانت جماعات من هذه الطوائف، والقول للمؤرخ نوفل، تخضع للروم، والأقباط، والأرمن، وباقي الطوائف الشرقية خوفاً من انتمائها الغربي" (١٦).

## لجوء الموارنة الى دروز الغرب للعمل شركاء في املاكهم

كانت الاقطاعية منذ مطلع القرن السابع عشر، قد أفرزت نظاماً خاصاً بها، تخوّل الاقطاعي حقّ التصرّف بأملاكه، وحماية اللاجئين اليه من طغيان الحكام والاقطاعيين الآخرين بمجرّد دخول هذا اللاجئ الى مقاطعته. وهذا ما دفع بالكثيرين من الموارنة القاطنين في الشمال، ولا سيما في بلاد جبيل والبترون،

للنزوح الى جهات بيروت والشوف حيث يملك إقطاعيو الدروز المقاطعات الواسعة، هرباً من مضايقات جباة وملتزمي والي طرابلس من بني حماده وسيفا والشاعر والأيوبي وغيرهم. و"في العام ١٦١٦ قام شخصان نسيبان من عائلة مرعب وعائلة ابي خليل، بقتل احد أبناء ميروبا كسروان، ولجأا الى مشايخ بني تلحوق في عيتات، ووضعا نفسيهما تحت تصرّفهم، فسلّمهما التلاحقة عودة بليبل، واعتبروهما شريكين لقاء حصص متدنّية جداً عن التي يأخذها الدروز في بدادون وحومال وبليبل" (١٧).

وبعد مقتل فخر الدين الثاني، وتراجع نفوذ آل الخازن عن مقاطعات الجبّة والبترون وجبيل، وحلول بني سيفا مكانهم، واضطهادهم أنصار المعنيين، قامت هجرة كثيفة من قبل فلاّحي الموارنة الى الشوف وعاليه. فهاجر بنو ضو من شننعير الى اقطاعة بني تلحوق في حومال سنة ١٦٣٤. وسنة ١٦٥٥ غادر قسم كبير من أهالي فغال الى وادي شحرور بصفة شركاء لدى الامراء الشهابيين. وبنو عون تركوا بشرّي الى الدامور وبدادون، وسلّم التلاحقة عودتهم في بليبل للمدعو عون. وغادر بعض الإخوة من عائلة الحويك حصارات الى بدادون أيضاً، فكانوا آخر النازحين.

وهكذا تكاثر النازحون الموارنة الى عاليه والشوف حتى اصبحوا في العام ١٦٧٥ يشكّلون نسبة كبرى بين شركاء الدروز، وذلك بسبب إقتناع الفلاّح الماروني بحقه أقلّ مما كان يطالب به الشريك الدرزي، وليس بسبب تأفّف الدرزي من العمل في الزراعة على حدّ ما أشار الشيخ عارف النكدي. وقد ساعد على هذه المضاربة، واللجوء غير المشروط الى المقاطعجيين الدروز، التهجير، او الهجرة القسرية بسبب التعدّيات المستمرة من قبل حكام المناطق المسيحية، وأقلّها إحراق الاملاك وتدمير البيوت وقتل المقدّمين، وقد أشرنا الى نماذج من تلك التعدّيات التي "طالت البطاركة أنفسهم وأودت بحياة البعض منهم" (١٨)...

# الفصل الثاني

## موازنة القرن الثامن عشر
## والاقطاعية

# ١ - بطاركة القرن الثامن عشر والاقطاعية في لبنان

## ● ٥٧ - البطريرك السابع والخمسون جبرائيل البلوزاني (١٧٠٤-١٧٠٥)

ولد الراهب جبرائيل البلوزاني في قرية بلوزا القريبة من حدشيت في جبة بشري، وهي تابعة لأملاك الديمان اليوم، وجميع أبنائها شركاء للدير المذكور. لكنّ قراراً حديث العهد، صدر عن روما، وعن الكرسي البطريركي، يقضي بإعطاء الشركاء حقّ تملّك بيوتهم وألف مترٍ مربّع حولها بثمنٍ رمزيٍّ، وفي حالة رغبة الشريك شراء عقارات اوسع يدفع الثمن المتداول.

رُقّي القس جبرائيل البلوزاني في عهد البطريرك السبعلي الى رتبة الاسقفية، وعُيّن أسقفاً على حلب خلفاً لمواطنه الاسقف يوسف البلوزاني. وقد بنى عدة كنائس وأديار اهمها دير طاميش سنة ١٦٧٣، وألحق به املاكاً واسعة، في محيط نهر الكلب، ثم دير مار إشعيا في برمّانا سنة ١٧٠٠، حيث أسّس فيه الرهبانية الانطونية المعروفة برهبانية مار إشعيا.

وفي ١٢ أيارسنة ١٧٠٤، بعد تسعة أيام من وفاة المغفور له البطريرك الدويهي، انتُخب الاسقف جبرائيل البلوزاني بطريركاً في دير مار شليطا مقبس الكسرواني. ثم سام إبن شقيقه القس مخايل البلوزاني اسقفاً على حلب. وفي العام ١٧٢٥ استلم اسقفية حلب الاسقف جرمانوس فرحات الذي لعب دوراً بارزاً

في تأسيس الرهبانية الحلبية التي اصبحت تُعرف بالرهبانية اللبنانية المارونية التي سنفرد لها، وللرهبانيات المارونية الأخرى، درساً خاصاً.

ولما عاد البطريرك جبرائيل البلوزاني الى كرسيّه في دير قنوبين استقبله الشيخ عيسى حماده المار ذكره، والذي أشرنا الى تعدّيه على البطريرك الدويهي، باعتباره حاكم جبّة بشرّي، استقبالاً حافلاً شاركت فيه خيّالة والي طرابلس، ونوبته، وأعوانه (١). وقد أقام البطريرك في طريق عودته الى قنوبين يومين في طرابلس بضيافة القنصل الفرنسي بولارد. ثم انتقل الى مقرّه في قنوبين برفقة طاهي القنصل الخاص ومستشاره "وطعام دسم وغير دسم" على حدّ ما ذكر المطران بطرس ديب ناقل هذا الخبر، واضاف أن القنصل انفق من ماله الخاص على الدواب والخيل والولائم، عدا الهدايا التي قدّمها لغبطته (٢).

ونال البطريرك البلوزاني درع التثبيت من البابا كليمانت الحادي عشر في ٢٧ نيسان سنة ١٧٠٥، على يد الأب جاشينتو، رئيس الكرمليين الحفاة في طرابلس الذي حمل الى الكرسي الرسولي رسالة الانتخاب الموقّعة من عشرة أساقفة، وكبار مشايخ الطائفة. ولكنه حمل معه "فضلاً عن الدرع المقدّس أربعة وعشرين صندوقاً تحوي كتباً، وآنيةً كنسيةً، أهداها قداسة البابا الى السيد البطريرك"، علاوةً على المساعدات المالية (٣).

وكان الأساقفة، بعد وفاة البطريرك الدويهي سنة ١٧٠٤ قد توجّه بعضهم، نحو قنوبين لانتخاب خلفٍ له، فالتقى بهم رسل من قبل الاساقفة الموجودين فيها يحيطونهم علماً برغبتهم في مغادرة المقرّ البطريركي "هرباً من عوامل الإرهاب والرشوة التي يريد المتاولة الحاكمون أن يؤثّروا بها عليهم في تلك الجهات"(٤). ووصلت الأخبار الى القنصل الفرنسي في طرابلس بولارد، فكتب الى الاساقفة مستغرباً تفرّقهم وعدم انتخابهم بطريركاً جديداً في مقرّهم، كما هي العادة المألوفة، داعياً إياهم الى احترام هذه التقاليد لأن "بلاط روما وبلاط فرنسا سيعجبان كيف استولى الحياء البشري على بعض الأساقفة، فأقدموا على انتخاب بطريرك خارجاً عن الكرسي البطريركي. حتى اذا تمّ ذلك، فيكون أمراً غريباً لا مثيل له. كتب بولارد ذلك خشية أن يؤثر الشيخ حصن الخازن قنصل فرنسا على

الأساقفة في إقطاعته بقصد أن يكون له في الانتخاب يد، مع أن ذلك مما ينسي الاساقفة أن الانتخاب يجب أن يتمّ بالهام الروح القدس" (٥). ولم يكتف القنصل بولارد بذلك، بل قابل والي طرابلس و "التمس منه أن يمنع بالقوة أن يذهب الاساقفة الى كسروان" حسب رواية ريستلهوبر الذي أضاف: "لم يهتم القنصل بولارد بالمسألة وحده، بل قنصل فرنسا في صيدا أستل (ASTEL) رئيس بولارد أيضاً"، هذا بالاضافة الى مداخلات شيخ جبّة بشرّي عيسى حماده. ووقع الاساقفة بين المطرقة والسندان: الانتقال الى مكان آخر محفوف بالخطر، والبقاء في قنوبين والانتخاب فيه ايضاً مخاطر. وبعد أخذ وردّ فضّل أكثرية الاساقفة الانتقال الى دير مار شليطا مقبس في كسروان، حيث ضغوط ذوي القربى "أخفّ مضاضةً" من ضغوطات الأغراب، فرنسيين كانوا ام عثمانيين. وكان الانتقال يوم عيد العنصرة في العام ١٧٠٤ حيث انتخبوا الاسقف جبرائيل البلوزاني "أقدمهم درجة، واوفرهم فضلاً وعلماً، وأكبرهم عمراً، على حدّ تعبير الأب فهد نقلاً عن ريستلهوبر... وتمّ ذلك أمام جمهور من الشعب هتفوا له كلّهم بصوت واحد، وكان ذلك بإلهام الروح القدس أيضاً" (٦). وهذا ما دفع بالقنصل بولارد للكتابة الى الاساقفة في ١٦ أيار سنة ١٧٠٤ قائلاً: "إن عملكم حميد وجدير بالاطراء".

ولكن الجهود التي بُذلت في سبيل إيصاله الى الكرسي، والاحتفالات التي استُقبل بها في طرابلس وقنوبين، وما بينهما من قرى ودساكر، وفرحة الشعب به لم تطل، إذ عاجلته المنيّة وتُوفي بعد سنة واحدة من انتخابه في ٣١ تشرين الاول سنة ١٧٠٥.

## ● ٥٨ - البطريرك الثامن والخمسون يعقوب عواد الحصروني (١٠٧٥ - ١٧٣٣)

وُلد يعقوب عواد، إبن الخوري يوحنا في حصرون، وسافر الى روما حيث التحق بالمعهد الماروني، وبعد عشر سنوات تخرّج وعاد الى بلاده "عالماً فصيح اللسان، فهيماً، مهذّباً" حسبما وصفه الخوري مارون الدويهي. ولم يلبث أن عيّنه البطريرك الدويهي كاتماً لأسراره. ثم بعد فترة وجيزة انضمّ الى الرهبانية الحلبية. وفي العام ١٦٨٩ رُقّي الى درجة الاسقفية، وتولّى أبرشية طرابلس. وفي أول تشرين

الثاني سنة ١٧٠٥ " جلس على الكرسي البطريركي يوم كانت الطائفة تتلاطم فيها أمواج السجس والبلايا" على حدّ ما ذكر أيضاً كاتب سيرته الخوري مارون الدويهي.

ونال درع التثبيت على يد الأب الكرملي فرديناندوس (Ferdinandos) سنة ١٧٠٦، لكنه أُتهم بالتساهل مع أقربائه، مما شجّعهم للتدخل في شؤون البطريركية وامور الطائفة. وأشار المطران جرمانوس فرحات الى "قلة تدبيره، وعدم إحسانه التصرّف مع مرؤوسيه، وتدخّل أقاربه في شؤون الطائفة، والى رواج الاشاعات حول سلوكه"، مما حمل المطران جرجي يمين الاهدني الى استدعاء الاساقفة الى دير مار شليطا مقبس سنة ١٧١٠ للتداول بأمره. واجتمع أهالي إهدن وبلوزا والمرسلون الاجانب مشدّدين عزم الاساقفة لعزله، ولا سيما مشايخ آل الخازن الذين كان لهم اليد الطولى في اتخاذ القرار بحطّه عن كرسيه. ولم يتأخّر البطريرك عن تلبية دعوة الاساقفة لمحاكمته، فحضر الى دير مارشليطا المذكور ورضخ لمشيئتهم، وكان بامكانه ان يصدر أمراً بعودة كل منهم الى عمله لأن محاكمة البطاركة بدون أذن من الكرسي الرسولي والمجمع المقدّس غير قانونية. ولكنه لم يدر في خلده إطلاقاً أن المجتمعين سيتخذون قراراً بعزله. فصدر القرار بخلعه وسجنه في دير الراعي الصالح قرب صيدا. وكُلّف المطران يمين إبلاغ روما بقرار الأساقفة، وبانتخاب الاسقف يوسف مبارك الريفوني بطريركاً خلفاً له. ولم يلبث المطران يمين ان سافر شخصياً مع بعض الشهود لابلاغ المجمع المقدّس بالأسباب الموجبة لهذا القرار الفريد من نوعه، إذا استثنينا حالات مماثلة حُطّ فيها بطاركة لتخلّيهم عن مارونيتهم واتّباعهم الهرطقة اليعقوبية. ولكن أن يُحَطّ بطريرك بسبب إشاعات تحاك حول مداخلات أقربائه في شؤون البطريركية، فهذا الأمر يبدو غريباً. وهذا ما جعل المؤرخين يختلفون بين مؤيّد ومعارض لهذا القرار لكونه مجحفاً بحق البطريرك ومخالفاً للانظمة، حتى أن البطريرك بولس مسعد أعلن "أن حسّاده انزلوه عن الكرسي البطريركي ظلماً وعدواناً". ومثله قال الخوري يوسف الدويهي. وقال آخرون أنه وقع "ضحية الحزبية الخازنية". وفي الخزانة الفاتيكانية رسالة من البطريرك الحصروني نفسه مؤرخة في ١٥ تموز سنة ١٧١٠ موجّهة الى

قداسة البابا إقليموس الحادي عشر تشير الى تنازل البطريرك عن كرسيّه طوعاً للتخلّص من تطاول المشايخ، ومنعاً لحدوث انشقاق في الطائفة، ويعترف بخطئه في هذا التصرّف الذي تفرّد به دون أخذ مشورة قداسته، ويقول: "لقد أخطأت يا أبتي في السمــاء وقـدّامك، ولست بأهل أن أدعى منذ الان إبنا، بل إني رسـمت، فاقبلني أجيراً في جبل لبنان أخدم في التوبة، عساني أفوز بالغفران عن خطاياي بواسطة الحلّ والبركة التي تمنّونها عليّ بفضلكم وحلمكم، وتعتقوني حرا لعمل الرهبنة حتى أبني بعض ما هدمت... واخيراً أؤمّل بمراحمكم العميمة أن تشملوا المطران يوسف مبارك الريفوني، مطران صيدا، في درع رئاسة البطريركية مكاني، الذي اختاره جمهور المطارين بايجاب أعيان الطائفة والمقدّمين حسب العادة الجارية في الطائفة، وبالحقيقة هو رجل فطين، وبالغ في المعرفة والعمر، وأقدم جميع المطارين، وأهلاً لهذه الدرجة لحسن سيرته وسمّو فضائله. حرّر في جبل لبنان بمعاملة كسروان في اواسط شهر تموز سنة ١٧١٠. عبد قدسكم يعقوب عواد".

كما أرسل غبطته كتاباً مماثلاً الى نسيبه العلاّمة يوسف السمعاني الحصروني يطلعه فيه على أسباب إعتزاله الكرسي، وأحوال البلاد السيئة. وفي "الملفّ الماروني" في الفاتيكان العديد من الرسائل المتعلقة بهذه القضية، وبينها رسالة القاصد الرسولي الاب الكرملي لورنسيوس الى "مجمع الايمان" جاء فيها: "بعد اجراء ما يمكن اجراؤه في هذه القضية الشائكة رأيت من الملائم جداً أن أعيد الأب جبرايل حوا الى روما، مع كل الرسائل التي لدينا، وتختص بهذه المسألة المارونية..."، كما جاء في المكتبة الفاتيكانية تحت رقم SOCG ـ مجلّد ٣ صفحة ١٨٦.

ورأي القنصل الفرنسي في صيدا أستل مخالفٌ لرأي صديق البطريرك القنصل الفرنسي بولارد في طرابلس، الذي كان يراقب عن بعد عملية الانتخاب، حسب ريستلهوبر "أن البطريرك من رجال العلم، لا من رجال الحزم والتدبير، وهو متكبّر، مشاغب، وبخيل، لا يحبّه الناس" كما جاء في رسالته الى وزير خارجية فرنسا في ٢ شباط سنة ١٧٠٦. بينما كان القنصل بولارد من رأيه أن يرضخ

الاساقفة للواقع ويقبلوا بالبطريرك الحصروني كي لا يتيحوا للغرباء التدخّل في شؤون الطائفة، ولا سيما حكام الجبّة والشمال بنو حماده، عملاً بتوجيهات العاهل الفرنسي كما اوضح.

اما قداسة البابا إقليموس الحادي عشر، فقد اوفد القاصد الرسولي الأب لورنسيوس للتحقيق في الاوراق المرفوعة الى الكرسي الرسولي بهذا الخصوص. وافاده القاصد المذكور بعد التحقيقات التي أجراها أن قرارات الاساقفة باطلة، ولا يجوز إقصاء البطريرك عن كرسيّه بعد مرور سنتين على انتخابه.

وقرّر قداسة البابا والمجمع المقدّس، بعدما دُرست الاوراق التي حملها الأب جبرايل حوا موفد القاصد لورنسيوس، وجوب عودة البطريرك عواد الى كرسيّه، فرضخ غبطته للأمر، ووضع نفسه بتصرّف الكرسي الرسولي. ويعود الفضل في اتخاذ هذا القرار الى مداخلة القنصل الفرنسي بولارد، والعلاّمة السمعاني والقاصد الرسولي لورنسيوس الذي أوصى بذلك في تقاريره.

وعاد البطريرك يعقوب الحصروني الى ممارسة مهامه، رغم معارضة مشايخ آل الخازن، ومداخلة القنصل بولارد لاقناعهم بالرضوخ للأوامر الفاتيكانية. وأرسل قداسة البابا عدة رسائل الى البطريرك، والأساقفة، والمقدّمين، والشعب الماروني، داعياً الجميع للإخلاء الى الهدوء والسكينة، والاتحاد، والسلام، لا سيما وأن البلاد تسودها القلاقل، والصراع بين الحزبين القيسي واليمني على أشدّه (٨). وقد أثبت الدكتور عادل إسماعيل في مجموعته "الوثائق" عدة رسائل حول هذه القضية في المجلّد الأول، من البطريرك، والمطران يمين، ومشايخ آل الخازن، والاساقفة عموماً.

وفي نهاية المطاف عاد البطريرك الحصروني الى مقرّه في قنوبين في كانون الثاني سنة ١٧١٤محاطاً بأمير جبل لبنان حيدر شهاب، ومشايخ آل الخازن الذين كانوا قد عارضوا عودته، والاساقفة، ومشايخ الجبل، وجماهير الشعب. ثم تجدّدت الخلافات داخل الطائفة المارونية بين المطران عبد الله قرألي مطران بيروت ومؤسس الرهبنة الحلبية، والمطران سمعان عواد مطران الشام، منذ العام١٧٢٠، فأوفد البابا

الأباتي جبرائيل حوّا لحسم هذا الخلاف باعتباره من رفاق المطران عبد الله في الرهبنة الحلبية، مما جعل هذا الصراع يتحوّل من صراع بين اسقفين الى صراع البطريركية والرهبانية الحلبية المارونية التي تحوّلت الى رهبانية لبنانية فيما بعد.

ومع كل هذه المشاكل والمشاحنات، فقد لعب البطريرك يعقوب الحصروني دوراً وطنياً ودينياً بارزاً. فمن جهة وطّد علاقات الطوائف اللبنانية ببعضها، ومن جهة اخرى جمع بين صداقته للحكام المسلمين وحكام الغرب. وفي العام ١٧٢٥، لما هرب الروم الملكيون من حلب بسبب الاضطهاد الذي عانوا منه من قبل البطريرك القسطنطيني والحكام العثمانيين، استقبلهم البطريرك يعقوب وانزلهم في دير قزحيا. ولما وشى بهم روم الكورة وطرابلس، الى والي طرابلس فوجّه اليهم العساكر بقيادة مشايخ الكورة الارثوذكس من بيت العازار، غادر البطريرك كرسيّه، وسكن بينهم في دير قزحيا كي يمنع التعدّي عليهم. ثم توسّط غبطته الشيخ عبد الله الخازن متسلّم عكار، في الأمر، فتمّ الاتفاق على رحيل الروم (الكاثوليك) الهاربين من حلب، الى كسروان، حيث قدّم لهم الخازنيون املاكاً لبناء الأديار والكنائس، فعاشوا بين إخوانهم الموارنة براحة واطمئنان. ثم تحوّل كثيرون منهم الى الطائفة المارونية.

وقد توفي البطريرك عواد في ١٢ شباط سنة ١٧٣٣ في دير مار شليطا مقبس، ودفن فيه، بعدما توطّد النظام الاقطاعي في لبنان نتيجةً لانتصار القيسيين بقيادة الامير حيدر شهاب على اليمنيين في عين داره سنة ١٧١١.

## معركة عين داره والانتصار القيسي الكبير

نظراً لأهمية معركة عين داره، باعتبارها محطّة تاريخية تفصل عهدين في لبنان، عهد تعدّد الاحزاب، وعهد الحزب القيسي الواحد، ومفهومين للحكم، حكم الامراء والولاة المباشر، وحكم الامراء بواسطة المشايخ وأصحاب المقاطعات، لذلك نحاول أن نلقي الضوء على العوامل التي أدّت الى هذا الصراع الكبير بين الحزبين القيسي واليمني، ونتائج التفرّد القيسي بالحكم وتوزيع المقاطعات بعد إنتصارهم الكبير على انصارهم.

## ١ ـ مقدّمات معركة عين داره

ما أن تولى الحكم، بعد الأمير احمد المعني المتوفي بدون عقب ذكر سنة ١٦٩٧، الأمير بشير الشهابي الاول، حتى دشّن عهده بضرب آل علي الصغير الشيعة في الجنوب الذين كانوا يوالون الحزب اليمني المناوئ للحزب القيسي الذي ينتمي إليه الأمير وكافة امراء بني معن وشهاب، ومشايخ آل جنبلاط والخازن وسواهم، بمقابل امراء بني سيفا، وآل الشاعر والأيوبي، ومشايخ آل علم الدين الدروز من الحزب اليمني. ثم عيّن الامير بشير آل حماده القيسيين الشيعة مكان آل علي الصغير، مع أن والي طرابلس قبلان باشا كان قد طردهم من ولايته لعجزهم عن تسديد الرسوم الاميرية والضرائب في حينها. وتمّ الاتفاق بين الأمير والوالي أن يعيّن ملتزمو بلاد جبيل والبترون من قبل أمير الشوف مع أنها تابعة لولاية صيدا، و"استمرّ هذا التقليد زمناً طويلاً"، وكُلّف بني حماده من جديد بتولّي إلتزام هذه المناطق بالاضافة الى مناطق شمالية اخرى بكفالة من الأمير بشير. وما أن تسلّم يوسف سيفا ولاية طرابلس، وهو من المنتمين الى اليمنيين، حتى طرد بني حماده من مقاطعاتهم، باعتبارهم ينتمون الى الحزب القيسي (٩).

وفي العام ١٧٠٦ نشبت معركة بين الأمير حيدر شهاب، خليفة بشير الاول وشيعة جبل عامل بزعامة بني علي الصغير، فانهزم الشيعة، وكلّفوا محموداً أبا هرموش الدرزي الشوفي بمقاطعاتهم، فتصدّى للأمير حيدر، وأرغمه على ترك الحكم والفرار بعياله الى كسروان، ومنها الى الهرمل، فسجّل اليمنيون إنتصاراً كبيراً على أخصامهم القيسيين. ولكن أبا هرموش أساء معاملة الناس، ولم يكن عادلاً وحكيماً، فقام الشعب عليه وراح القيسيون وحلفاؤهم يراسلون الأمير حيدر للعودة واستلام الحكم (١٠). وظهر الامير حيدر فجأة في المتن سنة ١٧١١، بين أنصاره مشايخ بني اللمع، فتوافد إليه القيسيون من أنحاء البلاد، في حين تجمّع اليمنيون بمواجهتهم في عين داره بقيادة محمود ابي هرموش وامراء آل علم الدين اليمنيين الدروز. ولم يلبث الأمير حيدر أن تشاور مع رجاله ولبّى نداء القيسيين "الذين طلبوا من آل الخازن أن يلتمسوا من الأمير حيدر الشهابي العودة الى البلاد، فيكونوا معه يداً واحدة، في قهر اليمنية وتوليته الحكم" (١١). فلبّى الأمير

النداء، وهبّ لنجدته الشيخ عبد الله صالح الخوري الماروني من رشميا، والشيخان سرحال ابي ناصيف الخازن وخازن الخازن برجالهم. كما انضمّ اليه عدا الموارنة ومشايخهم، أمراء بيت ابي اللمع، ومشايخ بيت تلحوق ونكد وعبد الملك (١٢).

وقد انضمّ الى أخصام الامير حيدر، بقيادة محمود ابي هرموش، امراء الشوف والغرب والمتن. وكان ابو هرموش قد طلب النجدة أيضاً من بشير باشا والي صيدا فنهض بعسكره الى صنوبر بيروت، ومن نصوّح باشا والي الشام، فحضر بجيشه الى قب الياس. وتوجّه أبو هرموش الى عين داره برجاله لتطويق الأمير حيدر وانصاره.

## ٢ ـ المواجهة في عين داره

وبعد التداول بين امراء ومشايخ الحزب القيسي المحتشد في راس المتن وكفرسلوان وصليما، تقرّر الانقضاض قبل الفجر ومفاجأة اليمنيين في عقر دارهم في عين داره.

"ووثب الرجال على الرجال، وتضاربوا بالبيض الصقال، وازدحموا إزدحام الحشر يوم النشر... على حدّ تعبير المؤرخ حيدر الشهابي نسيب قائد المعركة الامير حيدر الذي أضاف قائلاً: وحكموا الصدور بالصدور، واستخرجوا بالسيوف خبايا الظهور... ولازموا العراك من غير قرار حتى تولّى نصف النهار. فحينئذ تظاهرت القيسية على اليمنية، ووهبوهم لأسياف المنيّه، فتهاوت عزائمهم وهلكت أعاظمهم. ودبّ في أحشائهم الجل والوهن، وضاق عليهم المعرك والعطن، فلم يجدوا سبيلاً للهرب، فبذلوا نفوسهم للعطب..." (١٣).

وانجلت المعركة عن انتصار ساحق للقيسيين، وسقوط ثلاثة امراء من آل علم الدين، وأسر الباقين. كما أسر محمود ابو هرموش، وقطع لسانه وإبهامه، إذ لم يكن جائزاً قتل كبار موظفي الدولة وباشاواتها والمشايخ، بالاضافة الى أسر أربعة امراء آخرين من آل علم الدين، وانهزام من تبقّى من اليمنيين الى جهات الشام وحوران للإنضمام الى إخوانهم في جبل الدروز وغيرها من المناطق السورية.

## نتائج معركة عين داره

وهكذا سجّل القيسيون انتصاراً تاريخياً على اليمنيين فلم تعد بعدها تقم قائمة للحزب اليمني في لبنان، وخلت الساحة للقيسيين فترتّب على ذلك نتائج هامة أبرزها:

١ ـ إنتهاء الوجود اليمني في لبنان واستئثار القيسيين بالحكم.

٢ ـ توزيع الأمير حيدر شهاب المقاطعات والالقاب على حلفائه ومحازبيه.

٣ ـ تعزيز الاقطاعية في جبل لبنان.

ولم يطل الوقت حتى انقسم الحزب القيسي الحاكم بدوره الى حزبين: جنبلاطي ويزبكي. ذلك لأن اللبناني يرفض التبعية للحكام والخضوع لسلطة الحزب الواحد او المرجعية العليا، بل إنطلاقاً من تقديسه للحرية، وايمانه بالتعددية تبعاً لتعدد فئاته ومذاهبه، يميل الى المعارضة أكثر من ميله للعبودية والسير في ركاب الحكام. من هذا المنطلق انقسم القيسيون الى جنبلاطيين ويزبكيين، كما أشرنا سابقاً، ولم يقتصر هذا الانقسام على الدروز فقط، بل شملت هذه الحزبية الجديدة المسيحيين و الموارنة أيضاً. وبما أن زعاماتهم المتمثّلة بآل الخازن، كانت تؤيد الجنبلاطيين تبعت اكثريتهم هذا الفريق حتى ساءت العلاقات نتيجة للخلاف الذي وقع في عهد الامير بشير الشهابي الكبير بين المدبّر جرجس باز والشيخ بشير جنبلاط، وبلغ الذروة في أحداث العام ١٨٦٠ التي أُتهم بالتحريض عليها والمشاركة فيها الشيخ سعيد جنبلاط رغم استقباله في بيته بعض الهاربين من المسيحيين، ومحاولة ممثّلي الفرنسيين في لبنان تبرئته.

## توزيع المقاطعات والألقاب على الانصار والمحازبين

وزّع الأمير حيدر، بعد انتصاره في معركة عين داره سنة ١٧١١ المقاطعات على أنصاره ومحازبيه "فرفّع آل عبد الملك وتلحوق الى المشيخة، والمقدّمين اللمعيين الى امراء وتزوّج منهم ثم أقطعهم بيت شباب (علاوة على مقاطعاتهم في المتن والشوف). كما أقطع آل العماد العرقوب، وآل نكد المناصف، وآل عبد الملك الجرد،

وآل القاضي (الدروز) جزين، وآل الخازن كسروان، وآل حبيش غزير، وآل الدحداح الفتوح، وآل الضاهر الزاوية، وآل العازار الكورة، وآل حماده جبّة المنيطرة، ومحمد تلحوق وأخاه الغرب الفوقاني وشيّخهما ضد الأمير يوسف إرسلان الذي انتزع منه الشحّار وثلث الغرب" (١٤)، لأنه لم يقف الى جانبه في المعركة المذكورة، كما أقطع آل جنبلاط الشوف وإقليم التفاح والعرقوب، وصاروا بهذه الاقطاعات الواسعة زعماء الحزب الجنبلاطي المناوئ للحزب اليزبكي الذي يتزعّمه بنو عماد. كما أقطع بني ابي صعب البترون وجبة بشري ومشيخهم. وكانت المشيخة تُكْتَسَب عن طريق المراسلة بين الامراء لا سيما منهم الحاكمين في البلاد، أي الشهابيين والمعنيين، وكل مواطن يحصل على شرف المكاتبة مع الامراء، وتخصيصه بعبارة "الأخ العزيز" يصبح شيخاً تلقائياً. وهناك مشايخ طبقة إقطاع، وهم الذين يتولّون المقاطعات وهي حقّ لذريتهم التي ترث الاملاك والألقاب والاحكام معاً. اما مشايخ اللقب الذين لا يملكون المقاطعات فتنتهي المشيخة في أسرهم بوفاتهم، ولا يرث هذا اللقب أولادهم، تماماً كما كانت البكاوية في أيام الاتراك، تُمنح للافراد لقاء خدمات أدّوها للوزراء والولاة، ولا يرثها أبناؤهم.

وقد فتح هذا النظام الاقطاعي الجديد عهداً جديداً من الصراع في لبنان، بين هذه الاسر الاقطاعية التي راحت تتزاحم على الزعامة والوجاهة والنفوذ على حساب عامة الشعب والفلاّحين الذين عليهم أن يقدّموا كل شيء للشيخ مقابل لا شيء. يقدّمون عرقهم، والطاعة العمياء، والهدايا، وحتى الدماء إذا دعاهم للمشاركة في الحروب، والضرائب والرسوم، لقاء لقمة العيش المغموسة بالدم والعرق والدموع. وفي الوقت الذي برزت فيه أسر إقطاعية وتنعّمت بالوجاهة والخيرات، حصدت عامة الشعب خراباً وفقراً وتهجيراً، إذ كثيراً ما انعكست خلافات الامراء والمشايخ من أصحاب المقاطعات مع بعضهم البعض، او مع الولاة، على طبقة العامّة فدمّرت بيوت الفلاّحين، وخرّبت أملاكهم، فقط بسبب أنتمائهم الى هذا الشيخ أو ذاك. وكان "هؤلاء المناصب يقيمون في عمالتهم (مقاطعتهم)، ويتصرّفون بها على أهوائهم، لكنهم يدينون جميعاً لأمراء بني شهاب. وكل هذه العيال من الدروز. فصارت البلاد تسمى بهم بلاد الدروز (الشوف والمتن

الاعلى والمناصف والعرقوف واقليم الخروب واقليم التفاح، وصولاً الى جزين وساحل صيدا ـ الدامور). وبعد حين تنصّر منهم بنو اللمع. أما رتبتهم، فإنهم كلّهم من المشايخ إلا بنو رسلان (إرسلان) وبنو اللمع (فهم امراء)، لهم فروقات من الألقاب والرسوم. واعظم امراء لبنان بنو شهاب (طبعاً بعد انقراض المعنيين)، وبعدهم بنو اللمع، وبعدهم بنو إرسلان، وبعدهم المقدّمون بنو مزهر (إقطاعيّو حمانا)، ويجلسون بعد الامراء وقبل المشايخ..." (١٥).

وقد أضاف المؤرخون الى هذه اللائحة والمعلومات، اعتبار بني حماده بسبب إتساع مقاطعاتهم التي تشمل المنطقة الممتدة من الضنية الى كسروان والهرمل، ونفوذهم، أهمّ المشايخ رتبة، يقابلهم بنو الخازن لدى الموارنة.

وبسبب المناظرة التي جرت سنة ١٧٨٨، حسبما أشار المؤرخ طنوس الشدياق، بين الشيخ قاسم العماد والشيخ علي جنبلاط (في حين يرى الامير حيدر أن هذه الحزبية أقدم بكثير وتعود الى مناظرة بين جنبلاط جدّ الجنبلاطيين والشيخ يزبك بن عبد العفيف في أيام فخر الدين) (١٦). فإنقسم الدروز الى قسمين. ويضيف الشدياق أن النكديين لم يدخلوا في هذا الانقسام، في حين عمّ الانقسام الامراء الشهابيين واللمعيين ومعظم نصارى الجبل. ومن أبرز اليزبكيين بنو عماد زعماء الحزب، وبنو تلحوق وعبد الملك، ومن والاهم من الاسر الدرزية والمسيحية. في حين انضمّ بقية مشايخ الدروز الى الجنبلاطيين يساندهم مشايخ آل الخازن الموارنة، والامير بشير الثاني الكبير صديق الشيخ بشير جنبلاط كبير قومه (١٧).

وقبل متابعة الحديث عن بقية بطاركة القرن الثامن عشر، والاحداث التي جرت في عصرهم، لا بدّ من نبذة ولو مختصرة حول هذه العائلات التي تولّت المقاطعات والاحكام في لبنان في مطلع القرن الثامن عشر بعد معركة عين داره، واستمرّت في الزعامة والوجاهة وتسلّم المناصب حتى قيام الجمهورية اللبنانية واستقلال البلاد، وبل لا تزال هذه الاسر التي اكتسبت النفوذ والوجاهة منذ ثلاثة قرون، هي هي، تتوارث الزعامة والوجاهة والنفوذ حتى اليوم، وإن خسر معظمها بعض أجزاء من تلك الاملاك الواسعة، وانضمّ الى طبقتها إقطاعيون جدد أفرزتهم طبقة التجار صاحبة الثروات المالية والمؤسسات، التي اشترت بمالها الالقاب

والمناصب. وبعد الحرب الأهلية الأخيرة أخذت تنحسر ظلال الاقطاعية باتجاه بروز طبقة جديدة من المثقفين وأصحاب الشهادات العالية، لتقاسم وزبانية النظام والطبقة الحاكمة، وبقايا قيادات المليشيات، السلطة والنفوذ. ومن الاسر الاقطاعية التي كان لها تأثيرها في مجريات الاحداث في القرن الثامن عشر:

### أ ـ الاقطاعية الدرزية

### ١ ـ مشايخ بنو جنبلاط:

في حديثنا عن الحزبية الجنبلاطية واليزبكية أعطينا لمحة عن القيادات الجنبلاطية التي توالت على زعامة هذه الأسرة، ونعود فنشير مجدّداً الى أنه بعد وفاة الشيخ قبلان القاضي سنة ١٧١٢ اختار أتباعه صهره علي بن ربّاح جنبلاط زعيماً عليهم، وهو من الاكراد الايوبيين، ومن سلالة علي بك جانبولاد والي حلب. وقد هاجروا الى لبنان هرباً من الضغوط العثمانية ليلوذوا بحمى الأمير فخر الدين الثاني حليفهم في بيروت. ثم انتقلوا الى الشوف، حيث شاركوا في معركة عين داره سنة ١٧١١ وفاز رباح من الامير حيدر شهاب بلقب شيخ، وصار زعيماً للدروز بسبب مقاطعاته الواسعة التي شملت نحو مئتي ضيعة في الشوف والعرقوب واقليم التفاح واقليم جزين.

### ٢ ـ أمراء بني إرسلان:

يعزى دخول الارسلانيين الى لبنان، الى الخليفة ابي جعفر المنصور الذي دخل دمشق في العام ٧٥٨ مسيحية فأتى للسلام عليه من بلاد معرّة النعمان الاميران: المنذر بن مالك واخوه الامير رسلان أو إرسلان بجماعة من عشيرتهما. وأثناء الحديث عن احوال المنطقة والتعديات التي يقوم بها مردة لبنان على العرب المتواجدين في السواحل اللبنانية وأرض البقاع وصولاً الى بلاد حمص وحماه، أظهر الخليفة رغبته في تملّك جبل لبنان والبلاد الخاضعة لهؤلاء المردة، وطلب الى الاميرين مساعدته في ذلك، وأمرهما بالسكن في جهات بيروت بعشائرهما فنهض الأمير إرسلان بعشيرته. ثم نزل في حصن أبي الجيش في وادي التيم. وبعد سنة وافاه الامير منذر برجاله وعياله، وراح الاميران يجوبان البقاع والجبل وصولاً الى

بيروت والجبال المحيطة بها، ويعودان الى مقرّهما في المغيثة. ثم توزّعت عشيرتهما بين حصن سلحمور، وسنّ الفيل، وطردلا، وكفرا، وعبيه ومنها انتشر بنو إرسلان في معظم الجبال الواقعة جنوبي بيروت وصولاً الى أطراف جزين، وكانوا إثني عشر مقدّماً اعترف بهم خلفاء العرب ودعموهم، وصاروا يُعْرَفون بأمراء الغرب... وقد جرت بينهم وبين المردة عدة مناوشات ومعارك أهمها معركة نهر بيروت الذي أخذ إسم "نهر الموت" بسبب ما سقط فيه إبان تلك المعارك من القتلى من الطرفين. ومعركة إنطلياس التي قُتل فيها أكثر من ثلاثماية قتيل من الفريقين، حتى تمّت السيطرة للإرسلانيين على بلاد الغرب بكاملها. واشتهر منهم الأمير مسعود الذي جعل مقرّه في الشويفات، ومن سلالته الأمير مجيد إرسلان واولاده في أيامنا الحاضرة، وأخوه الأمير مالك الذي نادى الخليفة القاسم في عهدهما في العام ٨٠٤ حكام الشام وغيرهم من الولاة لتشجيع العرب كي يسكنوا لبنان، ويدعموا بني إرسلان. والأمير هاني الملقّب بالغضنفر أبي الأهوال، والأمير نعمان، اللذان خاضا معركة طاحنة ضد المردة، وضدّ قراصنة البحر من الفرنج الذين كثيراً ما كانوا يغزون الشواطئ اللبنانية ولا سيما بيروت وصيدا والدامور ويعودون خائبين بفضل تصدّي بني إرسلان لهم.

وفي عهد الصليبيين قُتل العديد من الامراء الارسلانيين لوقوفهم مع حكام الشام، ومع هذا استطاعوا وقف الزحف الصليبي باتجاه الثغور الشامية، ومنعوا سقوط الشام. وبرز فيهم أيضاً الأمير بحتر فعُرف أبناؤه بالبحتريين. والامير تنوخ الذي عُرف أبناؤه بالتنوخيين. وفي عهد المماليك أصابهم ما أصاب البلاد بكاملها من الضرر، لكن ظلّت سطوتهم قائمة، ونفوذهم كبيراً. واستمرّ شأنهم متعاظماً أيضاً في أيام العثمانيين الذين أقرّوهم على مقاطعاتهم، ولكن مع بروز الامراء المعنيين في مطلع القرن السادس عشر أخذ دورهم يتراجع، وتواصل هذا التراجع في عهد الشهابيين، ومع هذا ظلّوا زعماء الحزب اليمني. وبعد معركة عين داره عمل الأمير حيدر شهاب لخفض شوكتهم، فقدّم عليهم بني جنبلاط ومشيخهم. ومع هذا لا يزال الارسلانيون حتى اليوم زعماء الحزب اليزبكي، ولهم في الاوساط الدرزية احترام كبير، وخارج اوساط الدروز. وكان الأمير أحمد إرسلان قد تولّى حكم

القائمقامية الدرزية في عهد القائمقاميتين، بعد سقوط الامارة الشهابية سنة ١٨٤٢، ولكن الحرب الأهلية الأخيرة، قدّمت الجنبلاطيين عليهم بسبب بروز كمال جنبلاط كألمع شخصية درزية على الساحة اللبنانية، وعلى الصعيد الاقليمي، بسبب ثقافته اللامعة وشخصيته المميّزة، وعلاقاته بالدول العربية، والدول الاشتراكية ذات النفوذ القوي في لبنان والمنطقة. وقد ورث ابنه وليد جنبلاط هذه الزعامة عن والده، ولا يزال يتفرّد بها في الاوساط الدرزية حتى اليوم.

### ٣ - امراء بني اللمع:

بعد ما أصدر الخليفة العباسي هارون الرشيد نداءه الشهير، ووزّع المناشير في الولايات العباسية داعياً القبائل العربية لدخول لبنان واستيطانه ودعم بني إرسلان للوقوف بوجه الموارنة فيه، قدمت عشيرة "نبا من الجبل الأعلى (بين حلب وإنطاكية) الى لبنان لدعم بني إرسلان ضد الموارنة، وذلك في الربع الاول من القرن التاسع (سنة ٨٢٠). وما عشيرة نبا هذه سوى عشيرة التنوخيين، ومنهم الامراء اللمعيون" (١٨).

ويرجع بنو اللمع بنسبهم، كالارسلانيين أبناء عمهم، الى الملك النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، أحد الملوك العرب المتنصّرة الذين نزحوا من اليمن الى العراق، ومنها الى الشام. وقد حكموا جهات الحيرة والشام عدة قرون، وكان منهم ٣٣ ملكاً...

دخل منهم الى لبنان في العام ٨٢٠ "ثلاث فرق: بنو مراد، بنو قايد بيه، وبنو فارس. وجملتهم ٤٢ أميراً" حسب المؤرخ حنانيا المنيّر، تلبية لدعوة الخليفة هارون الرشيد، فنزلوا في المتن الاعلى وبلدات كفرسلوان، وصليما، وحملوا لقب "مشايخ"، وسمّوا أسرة "بللّمع" تخفيفاً، بدل "أبي اللمع"، نسبة الى جدّهم الأول. ولما بشّر محمد الدرزي شيعة لبنان بالدرزية اعتنقوا المذهب الدرزي أسوة بجيرانهم بني إرسلان وتنوخ. وكان انخراطهم في الدين الاسلامي وتركهم النصرانية كأبناء عمّهم المناذرة الآخرين، على يد الفاتح العربي القائد خالد بن الوليد على أثر فتح الشام، إذ شاركوا في فتوحاته وأقبلوا إليه يدّعون بالقربى لانتمائهم الى نفس

المنطقة العربية، كانت تربطهم به قرابة "خوالة" فحثّهم لدخول الاسلام إذ لا يجوز أن يكون أخواله مسيحيين، وهو القائد والفاتح المسلم (١٩). ولكنهم لم يحافظوا على إسلامهم، بل تخلّوا عنه في مطلع القرن الثامن عشر. وأول من تنصّر منهم هو الشيخ عبد الله سنة ١٧٠٩. وفي العام ١٧١١ تبنّوا معركة الامير حيدر، واحتضنوه في مقاطعتهم بعدما فرّ من دير القمر تاركاً الامارة للشيخ محمود هرموش اليمني. ومكافأة لهم، ولنصرتهم له، منحهم بعد انتصاره في عين داره لقب الامراء، ووسّع مقاطعاتهم ومدّها من المتن الأعلى الى الشوف البيّاضي وقسم من البقاع. وفي العام ١٨٤٢ تولّى الامير حيدر ابي اللمع القائمقامية المسيحية، وكان والده الأمير اسماعيل قد تنصّر بعد الأمير عبد الله ونال براءة بابوية تمتدح أسرته العريقة وشخصيته الفذّة. ولا تزال هذه الاسرة حتى اليوم في طليعة الاسر اللبنانية وجاهةً، وبعض أبنائها يتقلّدون مناصب عالية.

### ٤ ـ مشايخ بني عماد:

بنو عماد هم من العمادية بجوار الموصل، "قدم جدهم عماد الى الجبل الاعلى وسكن قرية مرطحون (قرب حلب)، وتلّيتا (في فلسطين)، وأتوا من هناك الى العرقوب. وعقب ذلك بينهم وبين جنبلاط، نزاع أدّى الى القتال. وانتقل العماديون الى الباروك"(٢٠) .وقد أدّت هذه النزاعات الى "انقسام الدروز سنة ١٧٦٢ فريقين يزبكي بزعامة عبد السلام العماد، وجنبلاطي بزعامة علي جنبلاط. وقد انحاز آل الخازن والسعد (الخوري صالح) الموارنة الى الجنبلاطيين، بينما انحاز آل العازار وحبيش الى اليزبكيين" (٢١).

وقبل الانتقال الى الاسر الاقطاعية الشيعية والمارونية لا بدّ من لمحة حول امراء بني شهاب والمعنيين وبقية الاسر الدرزية.

### ٥ ـ مشايخ بني نكد والاسر الدرزية الباقية:

بالاضافة الى من ذكرنا من الاسر الدرزية، يمكن ذكر بني نكد الذين وقفوا على الحياد بين الجنبلاطيين واليزبكيين، فمالوا حيثما وجدوا القوة والمصلحة الآنية بذلك. وكان سكنهم في دير القمر وضواحيها حيث لهم مقاطعة واسعة. وقد

شاركوا بشير جنبلاط والأمير حسن شهاب في التآمر لاغتيال جرجس وعبد الأحد باز، وبنو تلحوق، وعبد الملك، وتقيّ الدين، وامراء علم الدين اليمنيين، وغيرهم.

### ٦ - امراء بني معن:

اما الأمراء المعنيون فقد اختلف المؤرخون بشأن اصلهم، ففي حين اعتبرهم البعض من الأكراد، اعتبرهم آخرون من القبائل العربية. وقد دخلوا لبنان سنة ١١١٩ بأمر من طغتكين والي دمشق التركي الذي انضمّ إليه أميرهم معن بن أيوب في معركة إنطاكية ضدّ الصليبيين. ثم نزلوا في البقاع، وانتقلوا الى جبال لبنان المشرفة على صيدا وبيروت لحماية هذه الثغور والسواحل الجنوبية من الهجمات الصليبية، ومنع تقدّم الصليبيين بعد احتلالهم الساحل اللبناني الى الجبال بحيث يشكل وصولهم اليها خطراً على الشام والداخل السوري. وكان الشوف آنذاك قفراً فأصلحوا أرضه، وعمّروه. ثم تحالفوا مع امراء الغرب التنوخيين، وامراء حاصبيا الشهابيين. وقد أقرّ العثمانيون، بعد دخولهم الى الشام سنة ١٥١٥، سلطة الامراء المعنيين على كامل الجبل اللبناني، وقدّموهم على امرائه ومقدّميه. وظلّوا في حكم هذا الجبل الى العام ١٦٩٧ إذ انقطعت ذريتهم بوفاة آخرهم الامير احمد المعني بدون عقب ذكر. وانتقلت الامارة الى الشهابيين. وأبرز امرائهم فخر الدين الثاني الذي حاز على لقب "سلطان البر"، وامتدت إمارته من حلب واللاذقية شمالاً الى البحر الاحمر وأطراف فلسطين والاردن جنوباً والبحر المتوسط غرباً.

### ٧ - امراء بني شهاب:

وتولّى بعد الأمير أحمد المعني إبن شقيقته الامير بشير الشهابي الاول سنة ١٦٩٧. والشهابيون يعودون بنسبهم الى مالك الملقّب بشهاب، ويتحدّرون من القبائل المستعربة. دخلوا بمعية القائد إبن عبيدة بن الجرّاح، وخالد بن الوليد الى بلاد الشام سنة ٦٣٣، وشاركوا في فتحها، وقاتلوا في معارك اليرموك واجنادين وغيرهما من المعارك الى جانب العرب. وتسلّموا بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب حكم حوران سنة ٦٣٥. وفي العام ١١٧٣ اضطروا لمغادرة حوران بسبب الصراعات التي قامت بين صلاح الدين الايوبي ملك مصر حليفهم، ومحمود نور الدين زنكي

ملك الشام. وانتقلوا بعشائرهم الى وادي التيم حيث نزلوا في منطقة تمتدّ من الكنيّسة الى الجديدة في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يسيطرون على سهول وتلال وادي التيم ومرجعيون، فنشبت بين الطرفين عدة معارك انتصر فيها الشهابيون بقيادة الأمير منذر وابنه الامير نجم. وبعد وفاة الأمير احمد المعني واستلامهم الحكم سنة ١٦٩٧ شدّوا قبضتهم على جبل لبنان والبقاع، وتزّعموا الحزب القيسي. وبرز عدة امراء منهم، بينهم الامير حيدر شهاب الذي قضى نهائياً على الحزب اليمني سنة ١٧١١، ووزّع أراضي اعدائه على مناصريه فتعزّزت على يده الاقطاعية في لبنان، وحكم الاسر من كل الطوائف. والأمير يوسف شهاب الذي تنصّر، ومعظم الشهابيين من بعده، وطرد بني حماده الشيعة من مقاطعاتهم في الشمال حوالي العام ١٧٧٠ لكثرة تعدياتهم، وتهرّبهم من دفع الضرائب، ووزّعها بأثمان رمزية على الاديرة والفلاحين المسيحيين، وخاصة من الطائفة المارونية التي تقيم أكثريتها في المناطق التي اخلاها الحماديون الشيعة ونزحوا الى الهرمل. ثم الأمير بشير الثاني الكبير، الذي حاول ضرب الاقطاعيين، والاستئثار بالسلطة في البلاد، ومهّد لدخول المصريين الى البلاد تحت ستار تحريرها من الحكم العثماني، لتثبيت دعائم حكمه بعدما زعزعته الثورات العامية، والمضايقات من الولاة ولا سيما من الجزار والي عكا، ومناوئيه على الحكم اولاد الميرِ يوسف وأنصارهم. وامتاز عهده على شدّة بأسه وسطوته، بالظلم والاستبداد، وفرض الضرائب الباهظة على الشعب، ومعاملة اعدائه بوحشية لا مثيل لها. وانتهى امره منفياً في جزيرة مالطا وبلاد الأناضول حيث توفي سنة ١٨٥٠ تاركاً الحكم للأمير بشير الثالث الشهابي الذي لم يستطع المحافظة على سلطته أكثر من سنتين، تحوّل بعدها نظام لبنان من نظام الامارة الى نظام القائمقاميتين. وانتهى به عهد الامارة في لبنان، ولم ينته نفوذ الشهابيين الذي اوصل قائد الجيش اللبناني فؤاد شهاب الى رئاسة الجمهورية اللبنانية في العام ١٩٥٨.

والى جانب هذه الاسر الاسلامية العريقة التي تحوّل بعضها الى النصرانية، كان هناك حكام آخرون يعود دخولهم الى البلاد الى القرون الوسطى التي تلت دخول التنوخيين والمعنيين والشهابيين، من بينها آل عساف وسيفا والايوبي

والشاعر وحماده.

وقد ذكر المستشرق الالماني هامر (Jean De Hamer) انه "في تلك الفترة من الدهر (اي في اواخر القرن السادس عشر ومطلع السابع عشر) كان خمسة زعماء يحكمون البلاد اللبنانية: اقواهم إبن معن... وكان مستولياً على بلاد الشوف وصيدا وصور وعكا... والامير شرف الدين كان مستولياً على مقاطعة صغيرة شمالي صيدا... وكلاهما كانا تابعين للحزب اليمني الذي يلقّب بالحزب الابيض. واما الزعماء الآخرون الثلاثة، فكانوا من الحزب القيسي الملقّب بالاحمر، واصله من اواسط الجزيرة العربية وهم: إبن منصور (من آل عساف) سيد المنطقة الواقعة بين بيروت وطرابلس. وابن فريخ سيد المنطقة الكائنة في سهل البقاع. وابن كرفوس (حرفوش) سيّد وادي البقاع الجميل... هؤلاء الزعماء المختلفو الاحزاب جلبوا معهم من سوريه الى لبنان كل اختلافاتهم العشائرية وعقلياتهم المختلفة، وكانت قلوبهم مشحونة بالحقد والكراهية والانتقام..." (٢٢). للمرة الثانية نذكر هذا القول نظراً لأهميته لجهة امرين: الأول يعطي مزيداً من التفاصيل حول الحزبية اليمنية والقيسية التي انتمى اليها اللبنانيون قبل انتصار القيسية وانهاء الوجود اليمني، والثاني لإبراز الحقيقة التاريخية الهامة حول ضرب الوحدة اللبنانية، والاستقرار والهدوء في البلاد، بعد دخول الحكام الغرباء اليها من البوابة السورية. ونعود لنلقي بعض الضوء بايجاز كليّ على أسر هؤلاء القادة ممّن ذكرنا في هذا الباب وهم:

**٨ـ امراء آل عساف:**

وهم عبارة عن جماعة، كما أشرنا سابقاً، من تجار الشام، ادخلهم المماليك الى لبنان بعد فتوح كسروان سنة ١٣٠٥ لتولّي حكم الجبل، فجعلوا مقرّهم في غزير والأزواق التي تسمّت باسمائهم "زوق مصبح"، "زوق مكايل"، "زوق خراب" و"العامرية" نسبة الى "عامر"... ويمكن العودة الى الجزء السابق ونتائج معركة كسروان لمزيد من المعلومات . وقد اعتمد امراء بني عساف على مدبرين موارنة من آل حبيش. ثم عاشوا في نزاعات مستمرة مع يوسف سيفا الذي قضى على آخرهم الأمير محمد قرب قلعة المسيلحة سنة ١٥٩٠، اشهرهم الأمير منصور. وقد أسكنهم

والي دمشق أقوش في الجبل اللبناني لحماية الثغور اللبنانية من الصليبيين الراغبين في احتلالها من جديد، وللفصل بين مسيحيّي الشمال والجنوب. وكانوا ثلاثماية فارس توزّعوا بين انطلياس والمعاملتين، وراحوا يعمّرون ما تهدّم من البلدات التي تسمّت بأسمائهم. ويتحدّر هؤلاء من الأمير عساف التركماني الذي كان له ثلاثة اولاد: حسن وحسين وقيتباي. ومن اعمالهم الباهرة تنظيم البريد بواسطة الحمام الزاجل، وإشعال النار على الابراج عند طلب النجدة من الشام لمواجهة غزوات الفرنج للسواحل والموانئ اللبنانية، وتأمينهم الأمن والاستقرار في البلاد التي يعيث فيها الحماديون وآل سيفا تخريباً.

### ٩ ـ امراء آل سيفا:

امراء آل سيفا ينتسبون الى المقدّم جمال الدين الملقّب بسيفا، وهو أحد المماليك الجراكسة الذي عينه سلاطين المماليك حاكماً على طرابلس وعكار. وقد اشتهر من أسرته الأمير يوسف سيفا وابنه حسين سيفا اللذين استلما ولاية طرابلس وحكم الشمال بالاضافة الى مقاطعتهما عكار، واشتبكا مع الأمير فخر الدين الثاني في معارك عنيفة قبل أن يتم الصلح والزواج بينهما، أدّت الى تخريب قصور المعنيين في دير القمر، والسيفيّين في عكار. وعندما قضوا على امراء بني عساف سنة ١٥٩٠، واستولّوا على أملاكهم ونسائهم ومقاطعاتهم، حملوا مدبّري شؤونهم مشايخ آل حبيش للفرار الى عبيه والالتجاء الى امراء الغرب، ثم توسّلوا اليهم لتدبير شؤونهم فاستجاب طلبهم بعض مشايخ آل حبيش وتعاونوا معهم، ولم تهدأ الاشتباكات في الشمال بينهم وبين الحماديين، فدفع الثمن المزارعون الصغار والفلاحون تخريباً لأرزاقهم وتهديماً لبيوتهم، وتهجيراً الى مناطق الجنوب والشوف.

### ١٠ ـ امراء الأيوبي:

هؤلاء الامراء ينتسبون الى الاكراد الذين ولّاهم السلطان سليم الاول العثماني للمحافظة على مقاطعة الكورة سنة ١٥٥٨ فأقاموا في راسنحاش إحدى بلدات القويطع. ومدّوا نفوذهم الى بلاد جبيل والبترون. وقد استعان بهم ولاة

العثمانيين لقتال بني سيفا والحماديين. ثم عمدوا الى ضربهما وتطويعهما معاً، كلّما تخلّف أحدهما عن دفع الضرائب والرسوم الاميرية في موعدها. وقد اشتهر من هذه الاسرة الامير موسى، واسماعيل، وأحمد ويوسف. وقد أدى خلافهم مع الحماديين الى إضعاف الاسرتين معاً، وانحطاطهما حتى درجة الاستعطاء، لكن روح الامارة ما انطفأت رغم ذلك في قرارة نفوسهم، وتمثّل ذلك، برفضهم الزواج من غير الامراء وأصحاب الشرف والمقامات.

## ١١: مقدّمو آل الشاعر والحسامي ومشايخ بني حماده وعامله وامراء بني حرفوش وفريخ وغيرهم

سلالة المقدّمين المسلمين، تعود بأصلها أيضاً الى الاكراد. وقد تولّى آل الشاعر بلاد البترون من قبل العثمانيين، وامتدت ولايتهم الى بلاد جبيل والكورة، بحيث كانت تتسع وتضيق حسب انتصارهم على أخصامهم الحماديين واغتصاب مقاطعاتهم. وكثيراً ما لجأ إليهم الولاة لتأديب العصاة من كل الطوائف، ولا سيما ملتزمي الشيعة الحماديين. جعلوا مقرّهم في تولا البترون، حيث أخذ مشايخ آل ابي صعب ينزلون في ضيافتهم حتى افقروهم وكبّلوهم بالدين، واضطرّوهم لبيع قصرهم واملاكهم في تولا للشيخ جرجس ابي صعب، والنزوح الى عكار لتولّي قلعة المَرقب والمقاطعة التابعة لها. وقد اشتهر منهم المقدّمان حسين وعلي.

وقد كان الصراع شديداً بين آل حماده والشاعر والايوبي على إقطاعيتي بلاد البترون وجبيل. وعلى أثر معركة "غبالة" بين الحماديين واخصامهم، فرّ الحماديون منهزمين الى البقاع تاركين مقاطعاتهم في جبيل والبترون بيد أخصامهم، فوهب والي طرابلس مقاطعة بلاد جبيل الى مقدّمي بيت الحسامي، ومقاطعة بلاد البترون لبيت الشاعر، والقويطع والكورة لبيت الأيوبي. ولكن المعارك بين هؤلاء كانت كرّاً وفرّاً، خسارة وربحاً. فلم يلبث الحماديون أن عادوا الى مقاطعاتهم وانتزعوها من اخصامهم بكفالة من امراء بني شهاب تؤكد إلتزامهم بدفع الضرائب المطلوبة منها. ولكن سرعان ما كانوا يحنثون بقسمهم ووعودهم ويعودون الى المخرقة وكسر الضرائب، حتى قام عليهم الأمير يوسف شهاب في حوالي العام ١٧٧٠ مع مدبّريه المارونيّين سعد الخوري وسمعان البيطار، وطاردوهم

حتى القلمون حيث قتلوا منهم زهاء مئة شخص. ولولا توسّط أهل القلمون لتمّت إبادتهم. وتمّ ترحيلهم نهائياً عن مقاطعاتهم في جبيل والبترون، وكافة أنحاء الشمال، فانكفأوا الى الهرمل، وعبثاً حاولوا الرجوع الى هذه المناطق بعدها.

ومن الاسر الاقطاعية الاسلامية في المناطق الأخرى بنو عامله في جبل عامل والجنوب، وقد اشتهر منهم مشايخ بني علي الصغير وشكر وسودون والاسعد. وامراء بني فريخ والحرفوش، حكام البقاعين الاوسط والغربي اللذين اشتهر ذكرهم في أيام فخر الدين الثاني، إذ كانوا يحالفونه تارة، ويقومون ضدّه تارة أخرى حتى استولى على مقاطعاتهم وضمّها الى مقاطعاته. وامراء بني المرعب والأسعد ورعد في الضنيّة وعكار الذين تولّوا حكم طرابلس والشمال في بعض الفترات، ولم يطمحوا الى أكثر من ذلك، فبقي حكمهم محصوراً بمناطقهم ومقاطعاتهم الخاصة فقط. ولن نأتي على تفاصيل الأحداث التي رافقت ولاياتهم، باعتبار أنهم حكموا منطقة خارجة عن نطاق التواجد الماروني، موضوع دراستنا.

### ب ـ الاقطاعية المارونية

اما الاسر الإقطاعية المارونية التي برزت قبل وخلال وبعد معركة عين داره الشهيرة، وجعلت البعض منها يدخل في نادي الاسر الاقطاعية، فهي:

#### ١ ـ مشايخ بني الخازن:

اسرة الخازن من أكبر الاسر الاقطاعية المارونية التي تبرعمت في بداية الفتح العثماني، ومطلع عهد الامارة اللبنانية، وراحت تنمو وتتجذّر بحماية الامراء المعنيين والشهابيين حتى عهد المتصرفية الذي أفسح المجال للاقطاعية الراسمالية الجديدة. وقد نزح الخازنيون الاوائل من حوران في سوريا الى جاج في لبنان. ثم انتقل سركيس الخازن بعياله من جاج الى كسروان حيث سكن في عجلتون، ومنها انتشر بنو الخازن في بلدات كسروان الكبرى، لا سيما المزرعة، وريفون، وكفرذبيان، وحراجل، وصولاً الى جونيه.

وفي العام ١٥٨٥، لما قُتل الأمير قرقماز المعني على يد الاتراك خبّأ ابو صقر الخازن، بطلب من الحاج كيوان (مدبّر الأمير المغدور الذي يعتبره البعض مارونياً

من آل نعمه في دير القمر، وآخرون كردياً من بقايا المماليك) ولدي قرقماز: فخر الدين ويونس في بيته في بلّونة، باعتباره ينتمي الى الحزبية القيسية التي يتزعّمها المعنيون، بينما امراء آل علم الدين الذين تولّوا الحكم ينتمون الى الحزبية اليمنية. وشبّ الاميران المعنيان في البيت الخازني، محاطين بكل رعاية واهتمام، بعيداً عن أعين اعدائهما، فتشبّعت روحهما بالمحبّة للموارنة، والتسامح الديني، والوفاء لمن احتضنهما ساعة تخلّى عنهما الآخرون من ذوي القربى والدين. وما أن استعاد فخر الدين كرسي والده في حكم الجبل حتى اختار أبا نادر الخازن، كبير البيت الذي حماه، مدبّراً له، ومنحه إقطاعة كسروان. ثم مدّ سلطته لاحقاً الى بلاد جبيل والبترون، وصولاً الى جبّة بشري وأطراف عكار، بعدما لمس قدرة المدبّر، والبيت الخازني، في تدبير الأمور، ونشر العدل بين أفراد الرعية. ونظراً لاتساع نفوذه ومقاطعاته، أصبح أبو نادر من كبار وجهاء الطائفة المارونية وأثريائها، فراح يشتري الاملاك في حراجل وريفون وكفرذبيان من سكانها الشيعة، ويستدعي الفلاحين الموارنة من الشمال والجبل للسكن فيها وتعمير القرى التي كان قد خرّبها المماليك منذ قرابة ثلاثة قرون. والى جانب تدبيره الحكم، كان قائداً لجيش الأمير الكبير فخر الدين الثاني، مما زاده شهرة ونفوذاً، لا سيما بعدما بسط الأمير سلطانه على المنطقة الممتدة من حلب شمالاً الى البحر الاحمر جنوباً. لكنه بعد اعتقال الأمير واعدامه سنة ١٦٣٥ اضطرّ الشيخ أبو نادر أن يغادر البلاد مع إبنه نادر وأخيه ابي خطار الى فلورنسا في ايطاليا، وكان قد زار الدولة الايطالية ومكث خمس سنوات (١٦١٣ - ١٦١٨) بصحبة الأمير لدى زيارة إمارة توسكانا، ولم يلبث أن عاد الجميع في العام ١٦٣٧ بعد تسلّم الامير ملحم بن يونس المعني الحكم بعد عمه فخر الدين، فأعادهم الى مقاطعتهم كسروان من جديد. وسنة ١٦٤٧ مات أبو نادر فخلفه في مقاطعته إبنه نادر المعروف بأبي نوفل، وفي تدبير ولدي الامير ملحم، أحمد وقرقماز. ثم عُيّن وكيلاً لقنصل فرنسا في بيروت في العام ١٦٥٥، بتوصية من البطريرك الصفراوي تعزيزاً لموقع الموارنة في البلاد. وأسبغ الملك الفرنسي لويس الرابع عشر على وكيل القنصل ابي نوفل برتبة شرف واعتبره "كشريف من أشراف فرنسا دون أن يكون عليه أن يدفع شيئاً في هذا السبيل، على

أن يتمتّع بجميع الانعامات والاعفاءات المختصّة بهذا اللقب. وأن يقتني أملاكاً منقولة وثابتة، يتصرّف بها كما يروق له ويخصّصها لمن يشاء بوصيته، كأنه من رعايا الملك، وموجود في أرض مملكته". وقد صدرت هذه البراءة في اول إيار سنة ١٦٥٥.

وفي أول كانون الثاني سنة ١٦٦٢ أصدر الملك الفرنسي إياه براءة ثانية عيّن بموجبها أبا نوفل المذكور قنصلاً لفرنسا في بيروت مكان القنصل بيكات الذي كان يتولّى قنصلية حلب وبيروت في آن واحد. وتمّ قراءة هذا القرار في كنيسة مار جرجس بيروت المارونية بحضور الجالية الفرنسية، فكان للقرار وقعه وصداه في اوساط الطائفة وفي كافة الاندية والمحافل. وكان الشيخ نادر المكنىّ بابي نوفل أثناء الاحتفالات الرسمية يرتدي بذلة القنصلية الرسمية الحمراء التي باركها في احتفال رسمي حاملها اليه من باريس، المطران الشدراوي، ممثل البطريرك السبعلي في روما والبلاط الفرنسي.

وتوالت النعم على الشيخ الخازني الرفيع المقام، ومنها "لقب الفارس الروماني" الذي أنعم عليه به قداسة البابا عام ١٦٥٦ فجعله بمصاف امراء البلاط الروماني والبابوي (٢٣). وصارت القنصلية الفرنسية في بيروت تقليداً يُمنح لعائلة الخازن جيلاً بعد جيل وفاء لمساعدتها الارساليات الفرنسية من يسوعية ولعازارية وغيرها، ومدّها بالاملاك والرعاية، مما مكّنها من بناء الكنائس والاديار والمدارس، ونظراً للدور الذي تلعبه أسرة الخازن على الصعيد الوطني والطائفي، باعتبارها اسرة المدبّرين وحكام المقاطعات.

وفي العام ١٦٧٥ منحت البندقية القنصل ابي نوفل وظيفة نائب قنصل بلادها في بيروت. كما أُعطي القاب شرف جديدة، بالاضافة الى "الفارس الروماني" لقب "الكونت بلاتين"، و"قنصل جلالته المسيحي في بيروت وتوابعها"(٢٤)، و"المستشار الملكي"، بالاضافة الى "الشيخ" و"المدبّر".

وبعد وفاة القنصل ابي نوفل تولّى القنصلية بعده إبنه الشيخ فياض المعروف بابي قانصو، واستمر في وظيفته حتى سنة ١٦٩١. وبعده تولّى القنصلية إبنه




شعار العائلة الخازنية الشريفة.

الشيخ حصن بعدما تلقّى والده مرسوماً ملكياً يجعل القنصلية وراثية في اسرته، واستمرّ في وظيفته حتى وفاته سنة ١٧٠٧. وبعد الشيخ حصن تولّى القنصلية إبنه الشيخ نوفل من العام ١٧٠٨ حتى العام ١٧٥٣. ومن مشاهير بني الخازن الشهيدان فريد وفيليب الخازن، والبطاركة يوسف ضرغام الخازن (١٧٣٣ ـ ١٧٤٢) وطوبيا (١٧٥٦ ـ ١٧٦٦) ويوسف (١٨٤٥ ـ ١٨٥٤).

### ٢ ـ مشايخ آل الخوري:

بعد قضاء نحو مئة عام على تولي القنصلية الفرنسية في بيروت، انتقلت هذه الوظيفة بعد القناصل الاربعة الخازنيين، الى الشيخ غندور إبن الشيخ سعد الخوري، مدبّر الأمير يوسف الشهابي، وهي الاسرة المارونية المعروفة بآل الخوري صالح الرشماوية (من رشميا) التي تأتي بعد الاسرة الخازنية وجاهة ونفوذاً، والتي منها رئيس جمهورية الاستقلال الشيخ بشارة الخوري. وقد لعب المدّبر سعد الخوري دوراً بارزاً في قيادة حملة الامير يوسف شهاب التي رحّلت بني حماده عن الشمال سنة ١٧٧٠. وقد خلفه إبنه غندور في تدبير امور امراء بني شهاب، وشغل وظيفة القنصلية بعد الخازنيين سنة ١٧٧٨ الى جانب الزعامة المارونية حتى وفاته. وبالاضافة الى الرئيس الشيخ بشارة الخوري كانت قد انجبت هذه الأسرة رئيساً للبلاد في عهد الانتداب هو حبيب باشا السعد. ولا يزال ابناؤهما حتى اليوم من أقطاب الطائفة المارونية.

### ٣ ـ آل بيطار:

الى جانب آل الخازن والخوري لمع نجم أسرة آل البيطار لا سيما بعدما تولّى كبيرها الشيخ سمعان البيطار الى جانب الشيخ سعد الخوري، تدبير شؤون الأمير يوسف شهاب واولاده. وكان الشيخ سمعان قد شارك في حملة الأمير يوسف ضدّ الحماديين. فمنحه الامير مقاطعة بلاد البترون التي أخذ يملّك فيها الاراضي لفلاّحي الموارنة بأسعار رمزية لقاء صكوك موقعة باسمه نيابة عن الأمير. وقد نالت اديار كفيفان وحوب وميفوق حصة الأسد من هذه الاملاك التي كانت بيد الحماديين وقد جعل مقرّه في مزرعة بسبينا القريبة من جران وكفيفان في بلاد

البترون. والمعروف أن أسرة البيطار من غوسطا لا تمتّ بصلة إلى أسرة البيطار في كفيفان، خلافاً لما يدّعيه افراد هذه الاسرة اليوم. وقد انقطعت ذريّتها حالياً بموت أحفاد الشيخ سمعان بدون عقب ذكر؛ وهو كان قد مات في الأسر مع سيّده الأمير يوسف في عكا سنة ١٧٩٤(٢٥).

## ٤ ـ آل الشدياق يعقوب بن أيوب:

من وجهاء الطائفة المارونية أيضاً آل أيوب، سلالة الشدياق يعقوب، مقدّمو بشري المتحدّرين من سلالة يعقوب الذي منحه سلطان المماليك برقوق مقدّميّة جبّة بشري، وقدّمه على جميع مقدّمي البلاد سنة ١٤٠٤. وبعده تولّى اولاده قمر ومزهر وسيفا، وذريّتهم من بعدهم مقدميّة الجبّة، وحقّقوا إنتقال الزعامة المارونية من جبّة المنيطرة الى جبّة الشمال، فاستجار بهم البطاركة الموارنة، وجعلوا دير قنوبين مقرّاً رسمياً لهم زهاء أربعة قرون (١٤٤٠ ـ ١٨٢٥) وقد حكموا الجبة الشمالية من العام ١٤٠٤ الى العام ١٥٤٧ (٢٦).

## ٥ ـ مشايخ آل الدحداح:

آل الدحداح ينتسبون الى جرجس الدحداح صهر غزال القيسي الماروني مقدّم العاقورة الذي توفي بدون عقب ذكر فورثته إبنته التي تزوّجت من جرجس الدحداح الملقّب بالشدياق سنة ١٣٧٥. وفي العام ١٧٠٠ توفي مالك أبو الغيث شيخ العاقورة القيسي الماروني فورثته إبنته زوجة الشيخ يوسف إبن الخوري جرجس الدحداح، فتسلّم مشيخة العاقورة. لكن هذا الأمر لم يعجب أحد وجهاء العاقورة الشيخ عماد الهاشم فتوجه الى والي الشام وطلب منه مشيخة القرية حسب رواية طنوس الشدياق، فحصل عليها وعاد الى العاقورة ليتسلّم مهمته فاصطدم برفض العواقرة. وانتشب القتال بين الطرفين فاضطر الشيخ يوسف الدحداح الى الرحيل الى طرابلس حيث تعلّم التركية، ومنها انتقل الى بعلبك فعمل في خدمة امراء بني حرفوش الذين توسطوا له عند والي الشام فأعاده الى منصبه مما اضطرّ الشيخ عماد الهاشم خصمه للإلتجاء الى الشيخ اسماعيل حماده متسلّم بلاد جبيل والبترون، فأعجب به المتسلّم واصبحا صديقين، واعترف له بالمشيخة، وأنعم عليه

بعقارات واسعة في فتوح كسروان وفوّض إليه جمع الضرائب منها. وراح يتنقّل بين الفتوح ولحفد وعرمون ومات تاركاً المشيخة لأولاده يونس وفياض وعيسى الذين عملوا واولادهم في تدبير شؤون الامراء الشهابيين واولاد الشيخ اسماعيل حماده. ولمع إسم الدحادحة في عهد الأمير يوسف شهاب فملّكهم مقاطعة الفتوح ومحاصيل أملاك مشايخ بني حماده، وكلّفهم الحلول محلّ مشايخ آل الخازن فيها. وانعم عليهم بعقارات واسعة في بلاد جبيل والبترون. كما عاملهم بالمثل اولاد الأمير يوسف، والمير بشير الثاني الشهابي الذي جعل الشيخ سلّوم وأولاده في خدمته وكتب له "الأخ العزيز" فصار شيخاً، ورافقه الى مصر سبعة من مشايخ الدحادحة. والامير عباس شهاب الذي تسلّم مكانه الحكم عيّن مرعي الدحداح مدبّراً له. وسنة ١٨٤٢ نمي الى السرعسكر العثماني منيب باشا أن الدحادحة في عرمون وغزير ساعون بحركة ضد العثمانيين فأرسل جنوده لاعتقالهم، إلاّ أنهم عجزوا عن الامساك بهم رغم مساندة الشيخ فرنسيس الخازن لهم، باعتباره قائد عسكر النصارى، ومساعدة والي طرابلس، وذلك بسبب عطف المسيحيين عليهم ومساندتهم لهم في مواجهتهم للعساكر التركية.

ولم يكتف الدحادحة بهذه الانعامات التي حسدهم عليها الكثيرون و لا سيما آل الخازن، وحبيش والدروز، مما جعل الشيخ رشيد الدحداح العلاّمة يضطرّ للسفر الى مرسيليا طلباً للراحة. وهناك أسّس شركة تجارية كبرى أصبح لها عدة فروع في فرنسا ولبنان والعاصمة الانكليزية، ويديرها أخوه سلوم وأبناؤه(٢٧).

### ٦ ـ مشايخ آل ابي صعب:

مشايخ بني صعب، حكام جبيل والبترون وبشرّي في عهد الامراء الشهابيين يعودون، باصلهم الى ابي صعب جرجس إبن الخوري بطرس بن يونان بن أبي سليمان من بلدة المتين. اولهم ابو صعب جرجس مدبّر الامير مراد اللمعي. ثم دخل آل ابي صعب في خدمة الامير يوسف عام ١٧٧٠ بعدما ساهموا في طرد بني حماده لدى هجومهم على بشرّي، فأُعطي لهم حكم الجبّة ومقاطعتها. ثم انتقلوا الى مقاطعة بلاد جبيل والبترون، وتملّكوا مزرعة الحاج حسن التي تُعرف اليوم باسمهم "مزرعة أبي صعب" في جرود البترون، وضمن قضاء بشري، قرب قنات.

وقد تقرّب جرجس أبو صعب من مقدّمي تولا من آل الشاعر، وداوم بنو صعب على زيارتهم حتى افقروهم واشتروا منهم دارهم فيها. وتوفي الشيخ جرجس عام ١٧٩٤ عن أربعة أولاد هم: أسعد وغالب والياس وناصيف (٢٨). وقد كتب لهم الامير أحمد اللمعي "الأخ العزيز" فصاروا "مشايخ البلاد" (٢٩). وسنة ١٧٨٣ ساعد الشيخ أسعد أبي صعب الأمير يوسف لاسترداد الحكم من أخيه سيد أحمد، وساهم ببطولته الخارقة في إنتصار دير القمر، وطرد الأمير سيد أحمد، فأصبح بعد تلك المعركة مشهوراً في كل أنحاء البلاد بأنه "فارس الفرسان"، فلقّبه الأمير يوسف "بهجرس بن كليب". وقد أثار عليه نقمة الجزار الذي وصلته أخبار إنتصاراته في حاصبيا على حليفه الأمير علي الشهابي ورجال عكا. وفي العام ١٧٨٩ سجنه الجزار مع الأمير يوسف في عكا، ولولا توسط السكروج مدبّر الوالي له لقضى نحبه مع سيده هناك كبقية مقدّمي الموارنة. ثم حارب الى جانب الأمير حيدر، والامير قعدان شهاب سنة ١٧٩١، واستطاعوا ردّ عساكر الجزار الزاحفين بقيادة حسن الشهاب، مما جعل اسعد الذي اشتهر بإقدامه وبطولته يلقّب "بفارس لبنان"، ويكنّى "بأبي قبلان".

وقد تصاهرت عائلتا حبيش وأبي صعب مما زاد نفوذ الصعبيين، واضطرّ الأمير حسن شهاب رغم بلاء أسعد في مقاومته الى تعيينه مدبّراً له.

وبعدما خدم بنو ابي صعب في دواوين الشهابيين، ورافقوهم في أسفارهم الى مصر واسطنبول وغيرها، عادوا فخدموا في دواوين وزراء الاتراك وولاتهم مثل الوالي مصطفى باشا الشكودري، ووامق باشا، والقائمقام بشير أحمد أبي اللمع الذي جعل الشيخ حنا أسعد ابي صعب مدّبراً له، ورئيساً للكتبة. وقد أنعم عليه والي بيروت وامق باشا بلقب "بك"، وطلب الى القائمقام الشيخ بشير ابي اللمع أن يكتب اليه، والى إخوته "الأخ العزيز" لتصبح المشيخة لقباً معترفاً به في أسرتهم مثل باقي المشايخ في لبنان. ويعتبر حنا أبي صعب "أول من نال لقب البكاوية بين نصارى لبنان جميعاً" (٣٠).

في عهد المتصرفية مثّل الدحادحة الموارنة في "مجلس الادارة". وفي عهد جمهورية الاستقلال نالوا الوظائف الرفيعة في الادارة العامة والسلك الخارجي.

## ٧ - آل رزق البشعلاني:

آل البشعلاني في بلاد البترون نزحوا الى صليما في أعالي المتن. ومن هذه الاسرة لمع الشهيدان رزق ويونس البشعلاني. تولّى رزق البشعلاني تدبير شؤون والي طرابلس حسن باشا الارناؤوطي سنة ١٦٤٤، وصهره عمر باشا، والوالي محمد الارناؤوط. وسنة ١٦٥٢، لما عاد محمد الارناؤوط الى ولاية طرابلس رفع البشعلاني من رتبة مدبّر الى رتبة "شيخ المشايخ" فصارت تدقّ له النوبة، مما أدى الى حسد أكابر البلاد له ولا سيما المحمديين منهم وقالوا: "إنه غير واجب أن تنقاد الاسلام الى رجل نصراني" (٣١). ولما حلّ تسعون رجلاً من آل حبيش في دار أبي رزق لشراء ما يلزم لعرس أحد أبنائهم، أوغر حسّادهم صدر الوالي محمد الارناؤوط، خيفة مما يدبّره هؤلاء، وأتهموهم بالعمل لحمل البشعلاني على مغادرة طرابلس والانضمام الى بني معن في الشوف. عندها أصدر الوالي اوامره بسجن الحبيشيين في القلعة. وبعد المداخلات أطلق سراحهم. وبعد ذلك وصلت الأخبار الى الباب العالي في الآستانة أن أبا رزق البشعلاني من أنصار الأمير فخر الدين الثاني، فصدر القرار بالقضاء عليه سنة ١٦٥٤ لأنه ندم على اعتناقه الاسلام، وتراجع عن ذلك. وكان ابو رزق قد هُدّد من قبل الوالي أن يعتنق الاسلام، أو يلقى مصرعه، فتظاهر بالقبول. ولما طالبه الوالي من جديد باشهار إسلامه، رفض فأُعدم، كما أشرنا سابقاً، تنفيذاً لاوامر الباب العالي. وفرّ ابنه يونس الى جبل لبنان، لكن الوالي عاد فاستدرجه مظهراً حاجته لخدمته، واستعداده لمراعاته تكفيراً عن قتل والده، فخُدع وعاد ليدبّر شؤون محمد الارناؤوط الذي لم يلبث أن هدّده بإعلان إسلامه، بعدما كان قد لعب دوراً كبيراً في خدمة الوالي المذكور. لكنّ يونس رفض القبول بهذا الاكراه، وأعلن عدم اذعانه للضغوط، فرفعه الوالي على الخازوق فوق أسوار المدينة حتى وفاته في العام ١٦٩٧. وعندها غادر من بقي من آل رزق البشعلاني طرابلس الى الشوف، للإنضمام الى حلفائهم القيسيين، حفاظاً على أرواحهم وممتلكاتهم (٣٢).

وقد استشهد ايضاً لنفس الأسباب، وبواسطة الايدي العثمانية ذاتها، الشيخ أبو كرم الهدناني لأنه "لم يسلّم على والي طرابلس عند تسلّمه مهامه سنة

١٦٤٠". ويذكر "التقليد الذي ينقله الشيوخ أن النصارى قطعوا يد الشيخ كنعان الضاهر، بعد قتله على يد والي طرابلس عبد الرحمن، وقطع رأسه عند باب التبّانة، ووضعوها في كنيسة السيدة المعروفة بسيدة الحارة في طرابلس، فأجرى الله آيات لمن تبركوا بها" (٣٣).

ولم يحدث أن قتل حاكم لبناني لبنانياً من مدبّريه باستثناء الامير بشير الذي غضّ النظر عن قتل مدبّره جرجس باز في داره بدير القمر، و"موت المدبّر الماروني بطرس العشقوتي غمّاً" في العام ١٧٤٨ لأنه أغضب الأمير ملحم شهاب (٣٤).

### ٨ ـ مشايخ آل الضاهر:

هؤلاء المشايخ ينتسبون الى الشدياق بطرس الرزّي الذي نزل من بقوفا في جبة بشري الى كفر حورا في الزاوية، وتولاّها سنة ١٧٦٠. وتولّت ذريّته من بعده مقاطعة الزاوية. وقد اشتهر منهم الشيخ كنعان الذي رفض التخلّي عن ايمانه والعمل لدى والي طرابلس عبد الرحمن باشا فقطع رأسه واحتفظ المسيحيون بذراعه للتبرّك، كما أشرنا سابقاً، حسبما أشار الشدياق في "تاريخ الاعيان" صفحة ٩٦، وسنة ١٧٥٠ أقرّهم الأمير ملحم شهاب على مقاطعة الزاوية، وكتب لهم "الأخ العزيز" فاكتسبوا المشيخة كباقي الاسر المارونية.

### ٩ ـ آل الشدياق:

في العام ١٧١٥ نزح بطرس الشدياق من سلالة المقدّم خاطر الشدياق الحصروني من جبة بشري الى كسروان، بأولاده وعائلته، وأقاموا في عشقوت حيث تسلم بطرس المذكور جباية الاموال الاميرية بمسعى من الشيخ أبي شيبان الخازن. ثم عمل مدبّرا أو "دهقاناً" لأملاك هذا الشيخ، ورئيساً لكتبته. كما جعله الأمير حيدر شهاب مدبّراً له، ثم عاد فسجنه بسبب ما سمع من وشايات حاسدة ومغرضة عنه سنة ١٧٢٧، فانتحر بسبب ما وصلت إليه أحواله. واعتُقل ولداه ضاهر وخطار، وإبن اخيه منصور، ثم أُطلق سراحهم بعدما جُرّدوا من أملاكهم، فتفرّقوا في جبل لبنان. ثم التحق الشيخ منصور الشدياق بالامير حيدر الحرفوش في البقاع حتى صفا خاطر الأمير ملحم الشهابي عليه، فجعله مدبّراً لابن اخيه

الامير قاسم عمر شهاب واولاده. ثم تركهم وعمل مدبّراً للأميرين سيّد احمد وافندي ولدي الأمير يوسف شهاب. ومات عن ثلاثة اولاد هم: فارس ويوسف وسليمان. التحق فارس بالأمير يوسف شهاب، فعيّنه وكيلاً عنه في دمشق، وكانت تُضرب له النوبة ويُستقبل استقبال الوزراء. ثم انتقل الى خدمة والي عكا سنة ١٧٩٨، احمد باشا الجزار الذي اشترط لتسليم إمارة الجبل الى اولاد الأمير يوسف أن يتّخذوا فارس الشدياق مدبّرا لهم، فظلّ في خدمتهم حتى وفاته سنة ١٨١٧. كما لمع نجم اولاده من بعده، وأصبحوا مدبّرين للأمراء الشهابيين والدروز، ولحاكم مصر محمد علي الكبير، ولم يُحرَموا من دخول سجن عكا بسبب إخلاصهم ووفائهم لأولياء نعمتهم من أمراء الشهابيين المضطّهدين من الولاة والحكام.

وفي مقدّمة مشايخ الطائفة الارثوذكسية بنو العازار الذين تولّوا الكورة، ولن نتحدّث عنهم، وغيرهم من مشايخ الطوائف المسيحية غير المارونية لأن موضوع دراستنا أولاً هو حول الموارنة، وثانياً لأن هؤلاء المشايخ لعبوا دوراً ثانوياً محليّاً، ولم يتركوا أثراً بارزاً في تاريخ الجبل اللبناني كالموارنة والدروز، عملاً بقول السياسي والزعيم المعروف كمال جنبلاط أن الجبل والوطن اللبناني برمّته قام على أكتاف الموارنة والدروز.

اما باقي المشيخات الصغيرة في الطائفة المارونية، فلا تعدو كونها مشيخات لقب لا يتعدى نفوذ أصحابها البلدة التي نشأوا فيها، وكانت لهم املاكهم الواسعة فيها، او النفوذ السياسي والوجاهة، او العلاقات بالنافذين الاتراك فاستحصلوا على لقب المشيخة او البكاوية. هذا علاوة عن طبقة اخرى من المشايخ اكتسبت لقبها من دورها في إشغال مناصب هامة في مناطقها كمنصب مدبّر أو مدير ناحية، او مقدّم. ومن هذه الاسر: بنو إده، وشيخهم منصور اده كان مدبّر الامير منصور الشهابي، ومن أسرته أيضاً رئيس جمهورية عهد الانتداب الاستاذ إميل والد الزعيم الجبيلي الكتلوي ريمون اده. وآل باز، قد أتينا على ذكر جرجس باز مدبّر الأمير بشير الثاني، وقبله اولاد المير يوسف، مع أخيه عبد الأحد. وبنو ملحمه مدبّرو ولاة عكا الشيخ ضاهر العمر والجزار. كما تولّى أحدهم منصب

الوزارة في حكومة المندوبين العثمانية في اسطنبول. وأسرة أبي كرم التي فيها عدد كبير من مقدّمي جبّة بشري، ولا سيّما البطل يوسف بك كرم رافع لواء الثورة على حكم داود باشا ١٨٦٠ لأنه حاكم غير وطني. وقد أدّى موقفه البطولي الى نفيه حيث مات في بلاد الغرب ١٨٨٨. وعائلة فرنجيه الزغرتاوية التي حصلت على لقب البكاوية، وهو دون مستوى لقب المشيخة في سلم الالقاب، ومنها وزير الخارجية الاستاذ حميد فرنجيه، ورئيس جمهورية لبنان سنة ١٩٧٠. ومشايخ آل الجميّل في بكفيا الذين عرف منهم رئيس حزب الكتائب اللبنانية الشيخ بيار الجميل، ورئيسا جمهورية في عهد الاستقلال: بشير الجميّل الذي قتل بعداسبوعين من انتخابه سنة ١٩٨٢، وقبل استلامه الحكم، وشقيقه الذي خلفه حتى العام ١٩٨٦. وآل كميد في بكفيا والقاطع، واسرة بليبل التي نزحت مثل آل الجميّل وكميد من جاج الى بكفيا، ومنها الى ساقية المسك وبحر صاف، وتولّى احدهم ادارة أعمال امراء بني اللمع، وبعدها تولّوا تدبير شؤون بني ارسلان واستقرّوا في بكفيا سنة ١٦٠٠(٣٥). وبنو رحمه والشدياق وجعجع في بشري. وبنو الدويهي ومعوّض في زغرتا. وقد انتخب منهم النائب رينه معوّض رئيساً للجمهورية سنة ١٩٩٠، واغتيل فور استلامه الحكم. ومشايخ آل اسطفان في كفر صغاب، وعواد في حصرون، والهاشم في العاقورة، ومقدّم العاقورة بصبوص الذي تحدّرت منه الاسرة المعادية، ومقدّم بجّة سعادة الذي تحدرت منه الاسرة السعادية البجّانية، وآل طربيه وحرب في تنورين وياريتا. آل حرب وابي حاتم في حمانا وجاج، وآل نصار في بكفيا، والخوري في إهمج وهم غير اسرة الخوري في رشميا، وبيت غانم في لحفد الذي منهم ابو سمرا غانم بطل عاميّة انطلياس، وبيت القلاعي في حاقل الذين منهم إبن القلاعي المؤرخ الشهير، وهم ينتسبون الى المقدّم سمعان اللحفدي، وقد نزحوا من لحفد الى حاقل وقبرص، وكسروان، وغبالة، وعجلتون، والقليعات، وبيروت، وبكاسين، وصغبين، وغيرها. وبنو ضو ومنهم الحاج كيوان مدبّر الامير فخر الدين الذي ينسبه بعضهم الى أسرة نعمه في دير القمر، وقد نزح بولديه سعد وثابت من لحفد في العام ١٥٥٠ الى بحرصاف، ومنها الى دير القمر سنة ١٥٦٢، ومنهم تفرّع بنو نجم وابي عكر وصادر والشدياق ودياب وابي مرهج والخوري.

وهناك اسر أخرى تولّى أفراد منها المقاطعات والوظائف العالية، والبكاوية،وإن لم يحصلوا على المشيخة، ومنهم بنو لحود في بعبدات، ونعوم في رأس بعلبك، وعمون في دير القمر، وبركات في يحشوش ومصر. وبنو حاتم اللحفديون الذين نزحوا الى حوران والكرك وعجلتون، ومنهم فرع نادر في حمانا(٣٦). وآل الحلو الذين تفرّقوا في قرنة الروم في بلاد جبيل والشوف وبيروت وجونيه ومنهم رئيس الجمهورية الاستاذ شارل حلو. وآل زوين في كسروان، وآل شمعون في دير القمر والبقاع الذين منهم رئيس الجمهورية الاستاذ كميل شمعون وآل عقل وضو وخير الله ونجم وفريفر وغيرهم في بلاد البترون... وغيرهم من المتحدرين من اسر مارونية عريقة لعبت دوراً بارزاً في تاريخ الطائفة والبلاد، ولا مجال لذكرهم جميعاً، بل نكتفي بهذا القدر، ونشير في نهاية هذا السرد السريع إلى أن المنزلة الرفيعة التي تبوّأها بعض من ذكرنا من الأسر والمشايخ أثارت حسد الطوائف الاخرى على الموارنة، وجعلتهم عرضة للوشايات والصراعات الدموية. ولم يطل القرن الثامن عشر حتى اصبحت الطائفة المارونية تمسك بزمام الأمور، وتدير الاحكام وشؤون البلاد، ولم يعد الأمراء بشهادة الكثير من المؤرخين سوى "حملة أختام" يوقّعون ما ينصّه عليهم مدبّرو الموارنة.

## التقسيمات الادارية العثمانية

في نهاية هذا الملفّ، حول نتائج معركة عين داره، وبروز النظام الاقطاعي في لبنان، نشير الى مناطق النفوذ المارونية، والتقسيمات الادارية التي توزّع بموجبها المقاطعجيون الكبار من الأمراء والمشايخ في القرن الثامن عشر.

### أ - معاملة طرابلس الشمالية

قُسم جبل لبنان الى معاملتين تشمل كلّ منهما عدة مقاطعات، هما: "معاملة طرابلس" أو الشمال، و"معاملة الجنوب"؛ ويفصل بينهما جسر المعاملتين القائم حتى اليوم شمالي جونيه.

تضم المعاملة الشمالية التابعة لوالي طرابلس ثماني مقاطعات هي:

١ - **الزاوية:** من نهر البارد الى نهر ابي علي وسكانها نصارى، ومشايخهم

من بني الضاهر.

٢ ـ **الكورة**: قاعدتها أميون، وسكانها ملكية (ارثوذكس) مشايخها من بني العازار.

٣ ـ **القويطع**: من نهر العصفور الى نهر الجوز، وسكانها معظمهم موارنة مع بعض الاسلام السنّة والارثوذكس، امراؤهم بنو الأيوبي الأكراد في راسنحاش وبنو أبي صعب الموارنة.

٤ ـ **بشري، وتدعى الجبّة أيضاً**: من الضنيّة الى تنورين، وسكانها موارنة، مقدّموها موارنة من بني الشدياق يعقوب، وفيها ديران عظيمان: دير قنوبين مركز البطريركية المارونية، ودير قزحيا مقرّ الرهبانية اللبنانية المارونية.

٥ ـ **بلاد البترون**: من نهر الجوز الى وادي المدفون: سكانها موارنة، "وفيها قلعة كبيرة للمردة بناها أهل فارس في سمر جبيل"، على حدّ تعبير طنوس الشدياق، صاحب خبر هذه التقسيمات الادارية. ومقدّموها ال الشاعر ومقرّهم في تولا البترون، ومشايخ بني حماده، ومقرّهم في جران شتاءً وميفوق او تنورين صيفاً.

٦ ـ **بلاد جبيل**: من المدفون الى الفيدار، وسكانها نصارى، وبعض الاسلام المتاولة في وادي علمات. قاعدتها جبيل، مقرّ أمير المردة، والعاقورة بلدة المقدّمين من بني الهاشم، مقدّموها من آل الحسامي، وأحياناً مشايخ ال حماده، والخازن، وباز، وامراء بني شهاب.

٧ ـ **جبّة المنيطرة**: من الفيدار الى نهر ابراهيم، فيها معبد أفقا الوثني الشهير، وسكانها نصارى، ومتاولة من بني حماده في قمهز ولاسا ومزرعة السيّاد وغيرها، مشايخها بنو حماده.

٨ ـ **الفتوح**: من نهر ابراهيم الى وادي المعاملتين. سكانها موارنة، وقليل من المتاولة. ومشايخها من بيت الدحداح.

### ب ـ المعاملة الجنوبية او مقاطعة صيدا

وتتألف من ست عشرة مقاطعة، هي:

#### ١ـ كسروان:

نسبة الى اميرها المردي كسرى، أمير بسكنتا، وهي قسمان: الداخلة، من نهر ابراهيم، ثم لاحقاً من نهر الكلب، الى وادي المعاملتين. والخارجة، من نهر الكلب الى نهر الجعماني. مشايخها الخوازنة، ما عدا غزير التي تمشيخ عليها بنو حبيش بعد أمراء بني عساف الذين حكموا الشمال من القرن الرابع عشر الى اواخر القرن السادس عشر.

#### ٢ـ القاطع:

من نهر الكلب الى إنطلياس، وسكانها موارنة وبعض امرائها بنو اللمع.

#### ٣ـ المتن:

من نهر انطلياس الى نهر بيروت: سكانها دروز ونصارى، وامراؤها بنو اللمع، ومنهم اول قائمقام مسيحي الأمير حيدر ابي اللمع.

#### ٤ـ ساحل بيروت:

من نهر بيروت الى نهر الغدير. امراؤها آل شهاب، وسكانها نصارى ومتاولة.

#### ٥ـ الغرب الأسفل:

من الشويفات الى طريق دير القمر. سكانها دروز ونصارى، وامراؤها آل إرسلان، ومنهم أول قائمقام درزي الأمير احمد ارسلان. قاعدتها الشويفات.

#### ٦ـ الغرب الأعلى:

من طريق دير القمر الى عاليه، الى نهر الغابون. وسكانها دروز ونصارى مشايخها بنو تلحوق. ومن سكانها الأمير حيدر شهاب المؤرخ.

٧- الشحّار:

من الدامور الى جسر القاضي. شكانها دروز ونصارى وإسلام. مشايخها النكدية، وفيها دور التنوخيين.

٨- الجرد:

من نهر الغابون، الى نهر الصفا، الى المديرج. سكانها دروز ونصارى، مشايخها بنو عبد الملك.

٩- المناصف:

من جسر القاضي إلى وادي بتدّين (بيت الدين). سكانها دروز ونصارى. مشايخها النكدية، وفيها قصور المعنيين.

١٠- العرقوب:

من المعاصر الى جبل الباروك. سكانها دروز ونصارى، مشايخها العمادية.

١١- الشوف:

من نهر بتدّين الى سطح الجبل. سكانها دروز ونصارى، مشايخها بنو جنبلاط. وهي قسمان: الشوف الحيثي، وقاعدته المختارة مقرّ الجنبلاطيين. والشوف السويجاني، ومقرّه بعقلين، اول مدينة عُمّرت في الشوف، وفيها سكن الامراء المعنيون.

١٢- إقليم جزين:

من الشوف الحيثي إلى جزين. سكانها موارنة. مشايخها بنو جنبلاط.

١٣- الشوف البيّاضي:

وتقع غربي البقاع. سكانها نصارى وإسلام، قاعدتها زحله التي سكانها في أكثريتهم ملكية (كاثوليك) وامراؤها بنو اللمع. وتشمل هذه المقاطعة البقاع الغربي بكامله، بما فيه قب الياس وصغبين.

### ١٤. إقليم التفاح:

ويبدأ في الميّة وميّة وجون وينتهي في البراميّة. سكانه إسلام ونصارى. مشايخه بنو جنبلاط.

### ١٥. إقليم الخرّوب:

قاعدته شحيم وأهم قراه مزبود وعانوت والبرجين والدبيّة. سكانه نصارى وإسلام. مشايخه بنو جنبلاط.

### ١٦. جبل الريحان:

سكانه نصارى وإسلام. وأهمّ مدنه ميدون وعرمتى واللويزة. قاعدته الريحان. ومشايخه أيضاً وأيضاً بنو جنبلاط.

وقد تعاقب على حكم المقاطعات الجنوبية الامراء التنوخيون المعروفون بامراء الغرب، والمعنيون، والشهابيون. وكانت صيدا مركز المقاطعة الجنوبية مقرّاً للوالي العثماني منذ العام ١٦٦٢. وقد اعتُمدت بعد العام ١٨٤٢ طريق الشام بيروت كحدٍ فاصلٍ بين المعاملتين (خلافاً لما كان الحد قبل ذلك حسبما أشرنا في وادي المعاملتين شمالي جونيه)، وذلك في بداية عهد القائمقاميتين حيث كان يحكم المقاطعة الشمالية قائمقام مسيحي، والقائمقامية الجنوبية قائمقام درزي، يعاونهما في كل من القائمقاميتين مجلس مؤلف من إثني عشر عضواً يمثل كل الطوائف الموجودة في القائمقامية.

والجدير ملاحظته قبل إقفال موضوع التقسيمات الادارية امران: الأول كون جميع هذه المقاطعات كانت مختلطة بين المسيحيين والدروز، او المسيحيين والاسلام، ولم نشهد مقاطعة واحدة اختلط فيها مسلم ودرزي. والثاني كون بني جنبلاط تولوا خمس مقاطعات أي نحو ثلث العاملة الجنوبية، ونظراً لاتساّع مقاطعاتهم توسّع نفوذهم وداليتهم على الامراء، ولا يزالون حتى اليوم.

## الطبقية في المجتمعين المسيحي والدرزي

إن الحركات الطائفية، والعامية غير الطائفية التي اجتاحت لبنان، ولا سيما

المعاملة الجنوبية منه في العشرينات والستينات من القرن الماضي، لها جذورها في التنظيمات الاقطاعية التي أسفرت عنها معركة عين داره، والطبقية التي سادت علاقات الشعب ببعضه، وأفرزت طبقة حاكمة تتمتع بالثروة، وتتفرّد بملكية الأرض، وطبقة فقيرة شبه معدمة، هي طبقة الفلاحين التابعين لأسيادهم الاقطاعيين حتى في الانتماء والهوية، وليس فقط من حيث العمل والحكم. وقد عزّز العثمانيون، بعد المماليك هذا الفرز السكاني لتسهيل عملية جباية الأموال، واستثمار الأرض، وجمع الرجال وحشدها للقتال ساعة تستدعي مصلحة الولاة والحكام.

ونظراً لرغبة الولاة العثمانيين في الاحتفاظ بمقاطعاتٍ يستغلونها لصالحهم، فقد احتفظوا لأنفسهم بالمدن والسهول الخصبة، وتركوا الجبل اللبناني القاحل ليصير تقسيمه الى ولايات ومقاسمته بين مختلف الاسر الاقطاعية فيه، على أن يتولّى الأكثر قوةً، وشعبيةً، وثروةً، المقاطعات الأكثر إتساعاً. وأول من أدخل النظام الاقطاعي الذي فرز الشعب إلى عامة وامراء، هم التنوخيون الذين تولّوا مقاطعات الغرب منذ مطلع القرن التاسع. وقد أشار المؤرخ تشرشل في كتابه "جبل لبنان ـ عشر سنوات إقامة" إلى أنه "بعد القضاء على العائلة الحاكمة، تنوخ، وأثناء ظهور العائلتين المسلمتين المعنية والشهابية في لبنان، كوّن الدروز البارزون مجموعة من الملاكين ليس لها أي نفوذ سياسي، بينما بقي اولئك الفلاحون الذين كانوا يزرعون الارض، دروزاً كانوا، ام مسيحيين، تحت سلطتهم المباشرة. وهؤلاء كانوا مع الأتباع الآخرين يشكلّون مجموعة القائمين على الأرض... ولم يتمكّنوا حتى سنة ١٧١٣م من الحصول على ذلك المركز الذي يمكّنهم تدريجياً من الوصول إلى سلطة تتيح لهم التدخل في شؤون الادارة العامة في الجبل... ففي تلك السنة الحافلة بالاحداث تمكّن الأمير حيدر الشهابي من إسقاط نفوذ الحزب اليمني في معركة عين داره، وقد استغلّ الامراء المسيحيون (؟) والمشايخ الدروز الذين ساعدوه في ذلك الاصطدام على الفوز بالنصر ليحصلوا من الأمير حيدر على موافقته بقبول... تقسيم لبنان إلى مقاطعات تقوم على كل من العائلات النبيلة الحاكمة فيما يخصّها بتحصيل الضريبة الاميرية ودفعها إلى الدولة..." (٣٧).

وهذا الحدث التاريخي الكبير، كان بداية الحكم الاقطاعي في لبنان الذي

تقاسم فيه وجهاء البلاد الدروز، والمسيحيون، وبالاخص الموارنة، النفوذ والأرض في جبل لبنان. وقد عزّز العثمانيون هذا النظام لأنه خدم مصالحهم، وسهّل عليهم جباية الاموال التي لا يطمعون بسواها من حكم لبنان. وهكذا اصبحت السلطة في البلاد بيد هؤلاء الاقطاعيين الذين حكموا الشعب عشائراً. ولم يزل لبنان يعاني من هذه الاقطاعية حتى اليوم، لأنها مكّنت طبقة معيّنة من الاستئثار بالاملاك وبالاحكام، وحرمت الكثيرين من أصحاب الكفاءة والمؤهلات من المشاركة في حمل المسؤوليات، وجعلت طبقة من المواطنين تستغل معظم أفراد الشعب، وتمتص دماءهم، وتأكل عرقهم، وجنى أتعابهم، ولا تقدّم شيئاً للوطن، بحيث أصبح الشعب، والأرض التي عليها، بتصرّف الاقطاعي، واصبح الإنسان اللبناني من تابعية هذا الشيخ او ذاك، وهو يسعده إن حصل على رضاه، ويشقيه إن خالف أمره، ويتصرّف به كأي سلعة على هواه دون حسيب او رقيب. والخطر الوحيد على نفوذ هذه الطبقة المتحكّمة بالشعب وبالاملاك، كان يأتي من جانب الولاة العثمانيين ومن يمثّلهم من الجباة والملتزمين، الذين يضاعفون الضرائب ويلاحقون المتقاعسين او المتهربين من جمعها وتقديمها لهم في اوقاتها المعيّنة.

## مهام المدبّر او الشيخ أو المقدّم او الامير

حسب العرف الاقطاعي الذي أفرزته معركة عين داره، كان المدّبر هو قائد عسكر الأمير الحاكم، ومستشاره، ورئيس ديوان كتبته وجباته، وحامل أختامه. يأمر وينهي، وأحياناً كثيرة يكتب الرسائل والاوامر ويوقعّها بدون علم الأمير. وكل من الأمير المحلي، او الشيخ، او المقدّم، يتولّى بدوره جباية الضرائب والرسوم، ويستنفر الرجال ويقودها، تلبيةً لأوامر الولاة والأمير الحاكم إلى أماكن التجمّع لخوض المعارك التي يؤمرون بها، تحت سلطة "بيرق دار" يتولّى القيادة في الحروب، وكثيراً ما شغل هذه المهمة مدبّرو الأمير الحاكم. ويتقدّم الصفوف حملة البيارق الملوّنة، وعلى الأخصّ الأبيض والأخضر والأحمر، إذ لكل حزب شعاره. والمشاركون في الحروب كان لهم معاشاتهم، فالواحد منهم كان يقبض "خمسة قروش من خزانة الامير، او من مخصصات الشيخ... فكان الفريق الجنبلاطي هو التابع للشيخ بشير جنبلاط، واليزبكي هو التابع للشيخ يزبك" (٣٨).

وقد "وصلت قوة الدروز، والقول للمؤرخ الكولونيل تشرشل، إلى أدنى درجات الضعف، بل تحطمّت كلياً إبّان الحكم المصري في لبنان (١٨٣٠-١٨٤٠)"(٣٩). ولم يلبث الفلاح اللبناني أن تملّك أرضه سواء أكان بالمشاركة، او بالشراء، وبدأ نفوذه يتصاعد بحيث اصبح له حق الاحتجاج للأمير على معاملة المشايخ له، وكثيراً ما كان يلقى الاذن الصاغية التي تقتصّ له من الاقطاعي، لا سيما في عهد الأمير بشير الثاني الذي عمل جاهداً لدكّ معاقل الاقطاعيين وخفض نفوذهم. وقد أقدمت للسكن في لبنان قبائل عربية من الجوار، فحملت معها سمات نظام عشائري مشابه للنظام الاقطاعي. وأبرز هؤلاء الوافدين: بنو حماده الذين تحولوا مشايخ من كبار الاقطاعيين واصحاب النفوذ الممتدّ من كسروان الى عكار. وآل عمّار في طرابلس، والامراء البحتريون في جهات بيروت والشوف وكانوا أبرز العشائر الوافدة الى جبل لبنان، ثم المعنيون والشهابيون الذين تولّوا حكم البلاد، ووزّعوا المقاطعات على معاونيهم من بني الدحداح، وحبيش، والخازن، والضاهر، وغيرها من الأسر المارونية. وقد انتقلت ملكية البحتريين لاحقاً الى عائلات درزية جنبلاطية ويزبكية، كان أبرز قادتها نفوذاً وغنىً، كما أشرنا، الشيخ بشير جنبلاط الذي كان يملك خمس مقاطعات تضمّ نحو مئتي قرية، ويقطنها نحو ثلاثين ألف درزي. والنكديون يملكون ٣١ قرية ويقطنها ١٣ ألف درزي. والارسلانيون ملكوا سبعين قرية يسكنها أربعة آلاف إنسان. وامراء بني اللمع المتمورنون وقد ملكوا نحو أربعين قرية كبيرة و٤٧ صغيرة. هذا بالاضافة إلى ملكيات صغيرة تتمثّل بقرية واحدة او ثلاثة قرى يملكها مشايخ من الطوائف المسيحية، ولا سيما الموارنة الممثلون بأكبر مشايخهم نفوذاً بني الخازن الذين حكموا منطقة امتدت من كسروان إلى جبة بشري، ولكنهم لم يكن لهم منها أكثر من نحو ثلاث قرىً كأملاك خاصة بهم. ومشايخ بني حبيش في غزير، والضاهر في الزاوية، وأبي صعب في الجبة، والعازار في الكورة، وغيرهم.

ومن ذلك الوقت بدأت مشاكل "القضية اللبنانية" تتفاعل وتتمثل بالتعايش المختلط في مناطق يسكنها أقليات، وأكثريات، من مذاهب مختلفة، ومتصارعة. ويعود الفضل للأمير بشير الثاني، رغم مساوئ حكمه واستبداده، في كبح جماح

الاقطاعية، والفرز الطائفي، ومحاولة ضبط جميع هؤلاء المتنفذين الاقطاعيين، وجعلهم مجرّد وجهاء يسيرون تحت جناحه ويخضعون هم ورعاياهم لأحكامه. ولكنه وقع فريسة ابتزاز الجزار والي عكا، وشهية الامراء الآخرين للحكم، مما عطّل مسيرته للقضاء النهائي على الاقطاعية التي استمرّ نفوذها حتى عهد الاستقلال، وراح يتضاءل حتى اصابته رصاصة الرحمة في الاحداث اللبنانية الأخيرة التي أفرزت طبقة رأسمالية جديدة حاكمة ومتنفّذة.

## الولاة والباشوات ودوائرهم

كي ندرك تماماً أبعاد النظام الاقطاعي الذي ساد البلاد منذ مطلع القرن الثامن عشر حتى الربع الأخير من القرن العشرين، لا بدّ من إلقاء نظرة أخيرة على النفقات التي كان يتكبّدها الولاة والباشوات للحصول على مناصبهم، والمصاريف التي تفرضها عليهم طبيعة عملهم. فمن المعروف أن ديوان الوالي كان يضمّ ما لا يقلّ عن مئتي موظف عامل، عداالحرّاس، والعساكر، او جيش الدولة، والحاشية. فهناك "الجوخدار (ناظر الثياب)، والمطرجي (حامل الأبريق)، وصولاً إلى الصوباشي (قائد الحرس)... ولفظة "جي" التركية تعني صاحب. مثلاً: الطنبرجي (صاحب الطنبر، والعربية عربجي)، والبوياجي (ماسح الاحذية)، والقهوجي (صانع القهوة)... الخ. ولكلّ عملٍ في ديوان الباشا موظف مسؤول مهما كان هذا العمل تافهاً، ولا يجوز جمع الموظف الواحد بين عملين أو أكثر. بحيث لا يُسمح للمطرجي أن يكون قهوجياً، هذا بالاضافة إلى حشود من الحرّاس والانكشارية، والخدم والحشم، والموالي والعبيد، والفرقة الموسيقية، والجواري والحريم، وعددهم جميعاً بالمئات. وللحريم اجنحتهّن وخصيانهن في قصور الباشوات، ويقوم على خدمتهن عشرات الموظفين والخدم. وجميع هؤلاء يتقاضون رواتبهم من عائدات الضرائب التي تُفرض على عامة الشعب والفلاحين. لذلك تتضاعف هذه الرسوم الاميرية، وتتكاثر مواعيد جمعها حسب الحاجة. ويذهب القسم الكبير منها إلى خزينة السلطان. وقد تصل في غالب الأحيان إلى نصف مداخيل أصحاب الامـلاك والموظفين"(٤٠).

وإذا كانت هذه حاشية الوالي، فتصوّر حاشية الصدر الاعظم رئيس الوزراء،

والسلطان الاعظم!

وهكذا تصبح الدولة العثمانية، على حدّ تعبير الأب بطرس ضو في "تاريخ الموارنة" في المجلّد الرابع: "تنّيناً، أو غولاً ضخماً ينهش الشعب، ويمتصّ دماءه باستمرار، بدون تأدية أية فائدة له. فلا عجب إذا عمّ البؤس، والجوع، وبلغ الناس حدّ اليأس والنقمة الكبرى" (٤١).

وقد عبّر مؤرخون كثيرون عن حالة الشعب التعيسة في السلطنة العثمانية، حتى أن الناس نتيجة هذا الجور على حدّ قول أحدهم "طلبوا الموت لذواتهم". وقد روينا سابقاً أن أحد ولاة حلب، عندما بلغ تمرّد شعبه وامتناعهم عن دفع الضرائب، حدّاً لا يُطاق "ادخلهم إلى غرفته وأراهم صندوقاً مملوءاً حتى نصفه بالذهب، وأعلن أمامهم أنه لن يكفّ عن ابتزازهم حتى يمتلئ هذا الصندوق ذهباً. وفي حال استبداله بوالٍ جديد فسيصحب معه صندوقاً فارغاً، وسيعمل على تعبئته...". وعندها أخلد القوم إلى السكينة، كي لا يضطروا إلى مضاعفة ضرائبهم لملء صندوق الوالي الجديد.

# ٢- تنصّر الامراء وبروز معالم الكيان اللبناني

## بروز دور الموارنة الحضاري والسياسي في القرن الثامن عشر

أخذ دور الموارنة، منذ مطلع القرن الثامن عشر يزداد لمعاناً وبروزاً، باتجاه تكوين مجتمع مستقلّ نوعاً، داخل التركيبة الطائفية اللبنانية، بمقابل دور الدروز البارز أساساً بفضل كونه صاحب الاقطاعيات الكبيرة، ومنه الامراء المعنيون الحاكمون. وبانتقال الحكم إلى الشهابيين، أخذ الدور الماروني يتقدّم تدريجياً على دور الدروز بفضل مدبّري الموارنة الذين تولّوا تدبير شؤون معظم حكام الجبل وامرائه وكبار شيوخه من الطوائف غير المسيحية، وبفضل بروز أُسر مارونية إقطاعية لها دورها، ولا سيما آل الخازن الذين تولّوا المقاطعات الكبيرة التي امتدّت من كسروان إلى عكار، فوّحدت بين مناطق التواجد الماروني، واصبح الامير لعبةً بين أيدي مدبّريهم، فصاروا يولّون من بين الشهابيين من يرون فيه القدرة على تعزيز نفوذهم، لا سيما بعد تنصّر جماعة كبيرة من هؤلاء الامراء، وراحت تعمل بإشارة من مدبّريها لتعزيز ارتباطها بالغرب وممثليه، وبالبطاركة الموارنة، ولا سيما بالكرسي الرسولي.

وكان الموارنة آنذاك، حسب تقرير قنصل فرنسا في صيدا جان باتيست: "من خمسة إلى ستة آلاف رجل ما عدا النساء والشبان الذين هم دون العشرين في جبّة بشرّي. وفي كسروان عشرون ألف رجلٍ ومائة قرية". هذا عدا سكان جبيل والبترون وبقية المناطق. وقد بلغت الضرائب التي يدفعها الموارنة حسب تقرير

الشيخ ناصيف الخازن إلى الملك لويس الرابع عشر: "مال كسروان ١٨ ألف قرش، وبلاد جبيل ١٣ ألف قرش. وبلاد البترون ٧ آلاف، وبشري ٦ آلاف" (١).

وقد وصف المستشرق الايطالي كبرياني دور الموارنة الحضاري بقوله: "الموارنة تراجمة البشرية. هضموا الحضارة الاغريقو- الرومانية من جهة، والحضارة السريانو- عربية من جهة ثانية، فكانوا سفراء البلاد الاوروبية في الشرق، ومعلّمي اللغات الشرقية في الغرب. وكوّنوا الخطّ الواصل بين الشرق والغرب" (٢). والمستشرق شافليه (Chevalier) درفيو وصف أساقفة الموارنة بقوله: "هؤلاء الاساقفة عصيّهم من خشب، أما هم فمن ذهب" (٣). ورغم بشاعة هذه الحقبة المدموغة بتعدّيات العثمانيين على الكرامات، وخنق الحرّيات، وابتزاز الاموال، فقد برز خلال القرنين السابع والثامن عشر عدة كتّاب ورجال دين موارنة، كان لهم دورهم الفاعل في النقلة النوعية التي خطاها الموارنة ولبنان والشرق من عصر الظلمة والفقر والتشرذم، إلى عصر النور، والتطوّر، والمجتمع الواحد. وربما يعود الفضل الأكبر في هذه النقلة إلى خرّيجي معهد روما الماروني، وتنصّر بعض الاسر الحاكمة. وقد استحق خرّيجو الموارنة من مدارس وجامعات الغرب عن جدارة لقب "منارة الشرق". وكان ابرزهم في تلك الحقبة: القس يوسف الباني الحلبي الذي وصفه العلاّمة جرمانوس فرحات "بالأب الفاضل، والعالم العامل، ذخيرة ملّته المارونية، وسراج الكنيسة الرومانية...". وقد ترجم عدة كتب من اللاتينية إلى العربية، وترك بعده عدة رسائل فلسفية وروحية، ومجموعة تفاسير للأناجيل والتوراة.

والأب بطرس مبارك اليسوعي الذي تخرّج عام ١٦٦٠، وكان يتقن سبع لغات. عمل وكيلاً بطريركياً للدويهي في روما. وله عدة ترجمات شهيرة، باللاتينية والعربية، ولا سيما حول تاريخ الموارنة، وسيرة بطاركتهم نقلاً عن كتابات الدويهي والمستشرقين، لا سيما لكويان والسمعاني وغيرهما. كما عيّنه أمير توسكانا مترجماً له، وكلّفه طباعة الكتب الشرقية. ومن أعماله إنشاء مدرسة عينطورة ووضعها بتصرّف الآباء اللعازاريين. وقد انتمى إليهم، وصار من كبار علمائهم.

والعلاّمة بطرس التولاوي المولود في تولا البترون سنة ١٦٥٧ من أسرة زيتو.

وهو خرّيج مدرسة الموارنة في روما. اشتهر بمواعظه التي كان يلقيها بصفته رئيس كهنة حلب الموارنة. جُمعت هذه المواعظ في كتاب واحد ثمين للغاية. والعلاّمة التولاوي شهير بفتاويه في الفقه الاسلامي. لذلك كان مسلمو سوريا يستفتونه في كثير من أمورهم الدينية لسعة إطّلاعه. أنشأ مدرسةً في حلب خرّجت الكثير من العلماء بينهم: عبد الله زاخر الموهوب في الطباعة وصكّ الحروف، ويعود الفضل إليه في تطورّ الطباعة ولا سيما العربية منها في الشرق. والاديب نقولا صايغ، والمطران عبد الله قرألي، والمطران جبرائيل او جرمانوس فرحات، قطبا الرهبانية الحلبية التي تأسست في لبنان سنة ١٦٩٥ بتشجيع من البطريرك الدويهي الذي منحهما ورفيقيهما جبرائيل حوا ويوسف البُتن ديري مارت موره إهدن، وقزحيا، فنمت هذه الرهبنة وتطوّرت كما أشرنا سابقاً، واصبحت تُعرف بالرهبانية اللبنانية المارونية التي خرّجت هي الأخرى عدداً كبيراً من المثقفين وكبار رجال الدين الذين كان لهم دور بارز في إعلاء الشأن الثقافي والوعي في الاوساط المارونية. هذا بالاضافة الى الخوري وهبه الدويهي، والمطران اغناطيوس شرابيه، والخوراسقف السمعاني والمطران اسطفان عواد، والقس اسطفان ورد، وغيرهم.

هذه نماذج من الاعلام الموارنة في تلك الحقبة، عدا الأسماء الشهيرة التي أتينا على ذكرها في الحديث عن المعهد الماروني في روما، هذا المعهد الذي خرّج الصهيوني والحاقلاني، والسمعاني، ومرهج بن نيرون الباني، وجمهرة من كبار علماء الطائفة الذين أسهموا في النهوض بأمّتهم المارونية، وشعبهم اللبناني، ومحيطهم الشرقي إلى ذرى التقدّم والنهضة لمواكبة ركب التقدّم والحضارة في العالم.

## تنصّر الامراء والاسر الحاكمة

عندما طلب العبّاسيون العرب إلى اللمعيين والشهابيين والمعنيين، الدخول والسكن في لبنان لمناصرة الارسلانيين وامراء الغرب في حربهم ضدّ المردة الموارنة، لم يكن يدر في خلدهم إطلاقا أن هؤلاء الامراء سيتحولّون يوماً الى النصرانية، ويقودون الموارنة في نضالهم للتحرّر من الامم الغريبة، والوطن اللبناني وشعبه بأسره، الى السيادة والاستقلال.

وأول المتنصّرين من الاسرة الشهابية العريقة، كانت الاميرة سحر الندى، أرملة الامير بشير شهاب الأول سنة ١٧١٠، مع ولديها يوسف وافندي واختهما. وفي العام ١٧٦٥ نصّر الخوري ميخائيل فاضل الماروني البيروتي الأمير علي حيدر. ثم تبعهم أكثر الامراء الشهابيين واللمعيين، لا سيما الأمير حيدر شهاب المؤرخ الذي اعتمدنا على مدوّناته في هذه الدراسة، والامراء الشهابيون: سيّد أحمد، وقاسم، ولدا الأمير ملحم بن حيدر، اخوة الأمير يوسف شهاب. وقد تنصّر هؤلاء على يد الخوري مخايل فاضل المذكور أيضاً، حسب المؤرخ طنوس الشدياق في "أخبار الاعيان في جبل لبنان"، والخوري بطرس غالب في كتابه ""صديقة ومحامية"(٤). وعلى يد الخوري انطون القيّالي حسب رأي المطران يوسف الدبس في كتابه "الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل" (٥).

وفي العام ١٦٦٣، كان المطران يوسف اسطفان حسب المطران الدبس"، قد نصّر الامير قاسم عمر شهاب والد بشير الثاني الكبير، مع ولديه فخر الدين وحسن في سيدة الابراج" (٦). وقد انتمى معظم الامراء المتنصّرين الى الطائفة المارونية بينما انضم بعضهم الى طائفة الروم الكاثوليك، والبعض القليل الى طائفة الروم الارثوذكس. في حين ظلّت أقليّة منهم، من غير اللامـعين، على دينها الاسلامي.

وبالنسبة للأمراء المعنيين فيحكى عن تنصّر كبيرهم الأمير فخر الدين الثاني الكبير على يد الراهب الكبوشي والطبيب دي لابروس، كما اشرنا سابقاً، الذي أسماه في دفتر العماد "لويس فرنسوا" سنة ١٦٣٣، قبيل اغتياله من العثمانيين، وأقسم على كتمان السرّ، على الرغم من معارضة المدبّر ابو نادر الخازن تعليم أبناء الامير وتنصيرهم على يد فرسان مالطه خوفاً من ردّات الفعل الاسلامية (٧). وقد ركع الامير فور تلقيه الحكم باعدامه وراح يصلّي، ولما خُلعت ثيابه ظهر صليب معلّق بسلسلة ذهبية على صدره، كما أشار المطران بطرس ديب، فعُجّل بإعدامه.

وبعد المعنيين تنصّر امراء آل حرفوش الشيعة اصحاب مقاطعة البقاع، وآل الهاشم السنّة مقدّمو العاقورة.

اما الامـراء اللمـعـيـون الذين ينتمـون الى "قـبـيلة نبـا المتنصّرة"، فـأصلـهم نصـارى من ذرية الملك النعمـان بن المنذر، ملك الحـيـرة. وقـد أكـرهـهم الخـليـفـة العباسي المهدي سنة ٧٧٩ على اعـتناق الاسـلام. وكـان عددهم خـمسة آلاف رجل عدا النسـاء. اول من تنصّر منهم هو الشيخ عبد الله بن قيدبيه بعد معركة غزير ضد آل علم الدين اليمنيين سنة ١٧٠٩. ومن بعد مـعركة عين داره التي وقعت سنة ١٧١١، تنصّر مـعظم اللمـعـيـين بعد حـصـولـهم على لقب الامـارة من الامـيـر حـيـدر شـهـاب، وصاروا موارنة، ما عدا أقلّيةً منهم انضمّوا الى طائفة الروم الكاثوليك (٨).

وعندما تنازل الامير منصور شهاب عن الحكم عام ١٧٧٠ خلفه الأمير يوسف (١٧٧٠ ـ ١٧٨٨) الماروني المذهب، ومع هذا الأمـيـر بدأ الحكم يتـحـوّل الى مـصلحـة النصـارى، وخاصـة الموارنة منـهم، لا سـيـمـا بعـدمـا كـانوا قـد انتشـروا في مـعظم المناطق اللبنانية، وجاوروا الطوائف الاسلامية دون سواهم من طوائف لبنان التي لم تتجاور حتى مع بعضـها البعض. ومع بداية حكم شـهابي نصـراني ماروني اخـذت العلاقـات بين الحـكام والكرسـي الرسولي تزداد وثوقـاً، ومـركز البطريرك الماروني، تبعاً لذلك، يزداد بروزاً، وتأثير رجال الدين يتضاعف وينمو باضطراد. وخاصة بعد أن عيّنت فرنسا قناصل لها من آل الخازن والخوري الموارنة ابتداء من ٢٨ حزيران سنة ١٦٥٥. لكن استلام الجزار الحكم أضعف حكم امـراء لبنان، ولا سيما الحـاكم الأمير بشـيـر الثـاني الذي راح يخـفي مارونيته خوفاً من نقمـة الاتراك عليه، مع إنه كـان قـد اقتـبل سرّ العـمـاد مع أخويه ووالده الأمـيـر قـاسم على يد المطران يوسف اسطفان الغسطاوي "في كنيسة سيّدة الأبراج التي أقامها لأبناء ملّتهم المشايخ آل حبيش (في غزير حيث كان يقيم الأمير بشـير ووالـده قبل أن ينتقل الى بيت الدين)، ولا تزال الى الآن معروفة بهذا الاسم" (٩).

وفي العـام ١٨١١، حـسب قـول المؤرخ طنوس الشـدياق، توفي الامـيـر علي حيـدر (الشـهـابي) في وادي شـحـرور، ودفن فـي كفرشيـمـا، وعـمره خمس وثمـانون سنة. وهو "اول مـاروني من الامـراء الشـهـابيين الموارنة". ثم تبـعـه مـعظم الامـراء الشـهـابيين، لـكن الكثـيـرين منـهم لم يعلنوا تنصّرهم على الملأ خـوفـاً من فـقدانهم كـرسي الولاية. وهـذا مـا دفـع الأمـيـر بشـيـر الـثـاني الكبـيـر الى المراوغة في هذا

الموضوع، وظهوره بمظهر المسلم الذي يساهم في بناء المواقع، والدرزي الذي يعقد الاحلاف مع قادة الدروز من الجنبلاطيين، لا سيما مع الشيخ بشير جنبلاط مستشاره الأول، والمسيحي الذي يلازمه في أسفاره كاهن (الخوري اسطفان)، ويموت في منفاه بين يديه. وقبل وفاته ترده بركة قداسة البابا باعتباره أميراً مسيحياً، ولو متخفّياً لدواع سياسية وأمنية. وكان المطران يوسف أسطفان قد اتّفق مع الكرسي الرسولي على إخفاء مارونية الأمير بشير لدواع سياسية وأمنية.

ولم يكن التنصّر مقصوراً على الامراء، بل شمل أيضاً عامة الشعب، ولهذا نجد في بعض الاسر كآل حرب، وشهاب، وعبد الساتر، والحسيني، والحسامي، وشمعون، وغيرها، جماعات من كل الطوائف. وآخر المتنصّرين من آل شهاب كان الأمير بشير الثاني الكبير الذي أخفى تنصّره خوفاً من العثمانيين. وقد راح السفراء يتندّرون حول طائفة المير، وقال أحدهم أن "ثلثه ماروني، والثلث الثاني سني، والثالث درزي". كما اتصل به يوماً أن شخصين تناقشا في مكان عام حول طائفة الأمير، فاستدعاهما وفرض عليهما عقوبة كي يمنع تداول الناس لهذا الموضوع باعتبار الدين انتماءً شخصياً لا شأن للآخرين به. ولعلّ هذه النزعة العلمانية تأثّر بها الأمير من علاقاته بالمصريين، وعزيزهم محمد علي المشهور بتطلعاته العلمانية في مقابل التعصّب الطائفي العثماني.

وبين العصبية الطائفية من جهة، والانتماء الطائفي من جهة اخرى، عاش اللبناني حائراً، موزّع الولاء بين قيادتين كثيراً ما كانت تختلف احداهما مع الأخرى: القيادة الاقطاعية والقيادة الطائفية. فالشيخ بصفته زعيم المقاطعة وسيّدها، كان يرى نفسه في مواجهة الاسقف الذي بيده أمور الدين، وفي الوقت نفسه يطمح الى تسلّم زمام أمور الدين. وقد ادّى هذا الصراع مراراً كثيرة الى احداث شرخ كبير في بعض المناطق، وعلى صعيد بعض الطوائف، وأحياناً على صعيد الوطن ككل، حتى بين الرهبانية والكرسي البطريركي، او بين الرهبان والاساقفة حيث حدث تناقض ومواجهات عنيفة لجأ فيها الاساقفة، كما يحدّثنا المؤرخون، الى السلطات الحاكمة غير المسيحية لخفض سلطة الرهبان الذين نزلوا الى الساحة، بدورهم كطرف جديد من أطراف القيادات الزمنية والروحية معاً.

ولم يزل اللبناني حتّى اليوم موزّع الولاء بين قياداته الروحية والمدنية، متأثّراً بالانتماءين الاصيلين في تقاليده: الانتماء الطائفي والانتماء العشائري. ولا خلاص للبنانيين من الطائفية، على اختلاف أشكالها، سياسيةً كانت، ام غير سياسية، إلاّ باقتفاء أثر الغرب في تحرير المواطن من التمييز الطائفي بين المواطنين، والتوجّه مدنيّاً إلى الانتماء الوطني المتحرّر من كل قيد او توجّه، طائفيّاً كان، أم عقائدياً، ام فئوياً، ام عشائرياً، ام منطقيّاً، او حتّى قومياً... فالولاء الصحيح والكامل هو للوطن الذي ينتمي إليه المواطن ليس إلاّ.

# ٣ - المجمع اللبناني والاصلاحات الكنسية المارونية

## الحاجة الى اصلاحات كنسية

بعد مرور عدة قرون كثر فيها توافد المرسلين لدراسة اوضاع الطائفة المارونية، على أثر الاشاعات التي وصلت الى مسمع الغرب، ولا سيما الكرسي الرسولي، حول المبادئ اليعقوبية التي أخذت تتسرّب الى الايمان الماروني، وبعد تخرّج دفعات كبيرة من علماء معهد روما الماروني الذين عادوا الى الوطن يحملون في قلوبهم نهجاً جديداً، وفي انظارهم رؤية متقدّمة حول ما يجب أن يكون عليه رجل الدين، والانظمة الكنسية الملائمة لتطوّر العصر، كان لا بدّ من عقد مجمع ماروني طائفي تلتقي فيه وتتشاور كل القيادات المارونية الروحية والزمنية، التقليدية والمستجدة، لوضع نظم حديثة ترعى أمور الطائفة المارونية، وتدفع بها لتواكب التطوّر والمدنية، وتنسجم مع مفاهيم الكثلكة التي التزم بها الموارنة، لا سيما بعدما توثّقت روابطهم بالكرسي الرسولي، واخذ المجتمع الماروني يبرز ككيان مستقلّ داخل المجتمع اللبناني، وسط الملل والمذاهب الأخرى، فبات على حدّ تعبير البابا بولس الخامس "كالوردة بين الأشواك". هذا بالاضافة الى إشراق نجم بعض الأسر المارونية الذي ازداد لمعاناً بفضل مدبّري الموارنة الأقوياء الذين كانت تربطهم بامراء البلاد وحكامها روابط حميمة. وبفضل بطاركة عظماء ساعدوا بحكمتهم وثقافتهم، وحسن تدبيرهم، على فرض احترامهم واحترام الطائفة التي ينتمون إليها، وفي طليعتهم: البطاركة الرزيّون، وموسى العكاري، والسبعلي، والدويهي، ولا سيما البطريرك الخازني الاول، يوسف ضرغام الخازن الذي عُقد المجمع اللبناني في

مطلع عـهـده. وإن ننسَ، لا ننسى دور العـلاّمـة السـمـعـاني في الدفع لإجـراء الاصلاحات الكنسية المطلوبة، وهو الشخص المؤهّل لجمع الكلمة وتولّي قيادة مثل هذا العمل الكبير الذي يتطلّب المعرفة، والجرأة، والاقدام لكسر تقاليد عمرها قرون، ولم يعد جائزاً أن تستمرّ.

### ● ٥٩ ـ البطريرك التـاسع والخـمـسـون يوسف ضـرغـام الخـازن الريفوني (١٧٣٣ ـ ١٧٤٢)

نظراً لازدياد نفوذ اسرة الخازن المارونية، كان من الطبيعي أن يتمّ إختيار أكثر من اسقف واحد منها، وبالتالي، أن تتسلّم الكرسي البطريركي، بعدما مرّ عليها أكثر من قرن ونصف القرن في تولّي الزعامة المارونية بشخص المدبّر الكبير ابي نادر الخازن، وذريّته من بعده، والقناصل الخازنيين الذين كانوا جسر اتصال بين الموارنة و"الأم الحنون" فرنسا.

وقبل أن يصير انتخاب ضرغام، أو الاسقف يوسف ضرغام الخازن بطريركاً، قاد حملة نظّمها اخوه حصن الخازن لردّ إعتداء بني حماده عن البطريرك اسطفان الدويهي سنة ١٧٠٤. وفي الخامس والعشرين من شباط سنة ١٧٣٣ تمّ انتخابه "بالصوت الحيّ" (١)، على حدّ تعبير المطران بطرس ديب، بطريركاً على الكرسي الانطاكي الماروني، فكان أول البطاركة الخازنيين الثلاثة. والجدير ذكره ان الاسرة الخازنية، نظراً لدورها القيادي في الطائفة، أُعطيت حقّ إختيار ثلاثة أساقفة دفعة واحدة. وقد توازت أسرة الخازن مع اسرة الرزّي في عدد البطاركة.

تلقّى البطريرك الخازني الاول درع التثبيت في ١٨ كانون الأول سنة ١٧٣٣ على يد رسوله الى الكرسي الرسولي القس عبد الله سرور، من قداسة البابا كليمنت الثاني عشر. ويعزى الإجماع على إنتخابه الى شخصيته التي تتميّز بالغيرة، وحبّ الاطّلاع، ولا سيّما الى الحضور الخازني الكبير على الساحة اللبنانية، بصفتهم مدبّري الامراء الشهابيين، والأمراء اللمعيين، وقناصل فرنسا على الصعيد الخارجي. وقد باشر عهده بالدعوة لعقد "المجمع اللبناني"، الذي تمنّى الأساقفة الموارنة في رسالة الى الكرسي الرسولي ومجمع "نشر الايمان" ان يكون

برئاسة وتحت إشراف، العلاّمة السمعاني. وكان عَقْدُ هذا المجمع نتيجةً حتميةً للصراعات التي استمرّت طيلة عهد البطريرك يعقوب عوّاد، والتي ادّت الى عزله عن كرسيّه من قبل الأساقفة، واضطرار الكرسي الرسولي الى اتّخاذ قرار بعودته. وهذا التجاوز للصلاحيات حمل الكرسي الرسولي الى استعجال انعقاد مثل هذا المجمع لتطوير النظم الكنسية التي آن للطائفة ان تستبدلها بنظم جديدة تواكب روح العصر، ومتطلّبات الطائفة المتنامية، وعلاقاتها بالملل الأخرى.

## المجمع اللبناني

في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٧٣٦ توجّه القاصد الرسولي يوسف سمعان السمعاني، خرّيج المعهد الماروني في روما، الشهير بثقافته العالية، ومعارفه، ودوره في الفاتيكان وروما، إلى لبنان حاملاً أربع براءات بابوية في جيبه تثبّت إحداها البطريرك يوسف الخازن، والأخريات تتوجه الى غبطته والاساقفة والشعب، لإجراء اصلاحات كنسية جذرية في الطائفة من خلال عقد مجمع طائفي عام. وقد رافقه في رحلته الى قنوبين عدد كبير من مشايخ الجبل واكليروسه من جميع الطوائف، وبينهم الشيخ أبو جنبلاط، وبعض المشايخ الحبيشية (٢). وصل الوفد في اليوم الثاني الى قنّوبين حيث استقبله مقدّم الجبة الشمالية بالخيّالة "واستمرّت الوادي برعد القواص، حسب الأباتي فهد، حتى بعد الظهر، الى أن مضى ساعتان من الليل". وفي الثلاثين من ايلول سنة ١٧٣٦ عقد المجمع، وحضره مئة وتسعة أشخاص من الاكليروس والأعيان واعتبر هذا المجمع "أوفى مجمع شرقي إقليمي"(٣).

وفي هذا المجمع الذي لن نتحدّث عنه بالتفصيل، مع أنه اهم المجامع المارونية، لأننا خصّصنا الجزء الرابع من هذه الدراسة للحديث عن المجامع المارونية، ومن ضمنها المجمع اللبناني العام. في هذا المجمع دُرست مختلف القضايا الكنسية العالقة، لا سيما إتهام الموارنة بتحريف التعاليم الكاثوليكية، وصلاحيات البطريرك الماروني وطريقة إنتخابه، والابرشيات والاساقفة، والطقوس. لكنّ البطريرك الخازني عارض بعض المقترحات التي قدّمها السمعاني، والمقررات التي صدرت عن المجمع، لا سيما ما يختص منها بصلاحيات البطاركة. ورفع الأمر

الى الكرسي الرسولي لدراسة هذه المقررات، فما كان من البابا بناديكتوس الرابع عشر إلاّ أن أصدر براءة مؤرخة في ١١ أيلول سنة ١٧٤١ بتثبيت هذه المقررات. وعبثاً حاول البطريرك العودة للمطالبة بتعديلها، إذ أعادها قداسته مرة ثانية للتنفيذ بعد وفاة البطريرك بسنتين.

وعاد المونسنيور السمعاني الى روما وبعد إنجاز قرارات المجمع اللبناني، جامعاً بتكليف من الحبر الاعظم "ستمئة ألف مخطوطة وستين ألف مطبوعة" سريانية حسب المؤرخ بيار روفايل في كتابه "معهد روما الماروني" (٤). وهذا الإرث الماروني الضخم الذي أوصينا به طوعاً، بدون مقابل، للكرسي الرسولي، بقصد حمايته من التلف والضياع، أسهم في تخليّنا نهائياً عن تراثنا السرياني الأصيل، وبتخلّينا عن الهوية السريانية، وإن كنّا قد ساعدنا السمعاني نفسه على إنارة ظلمات تاريخنا الماروني، لا سيما لجهة سيَر بطاركتنا، بما نقله من مؤلفات ومعلومات، أصبح بفضلها من "أعظم مستشرقي اوروبا" (٥). هذا المستشرق الماروني او المستغرب إذا صحّ التعبير الذي قيل عنه في صحف اوروبا تعليقاً على وفاته "مات العالم الكبير يوسف سمعان السمعاني الماروني، وأخذ معه أسف روما، واوروبا العالمة" (٦). وعنه قال البابا بناديكتوس الرابع عشر: "أحد رؤساء بلاطنا، وأخصّ المقربين الينا، والمعروف عندنا من نحو ٣٠ سنة، وله عندنا جزيل الاعتبار" (٧).

وكان قداسة الحبر الاعظم المذكور، قد أبلغ السمعاني في رسائله السابقة أنه يثني على حكمته ومعارفه، ويبلغه أنه لا يمكنه قبول اي اعتراض على عمله وقراراته في المجمع المذكور (٨)، ويبلغه رسائل للبطريرك الماروني يوسف الخازن بهذا الخصوص، والبطريرك الملكي كيرللس.

وفي عهد البطريرك الخازني جدّد الملك الفرنسي لويس الخامس عشر، في براءة مؤرخة في ١٢ نيسان سنة ١٧٣٧ الحماية التي تعهّد بها اسلافه ملوك فرنسا للموارنة، وخاصة البراءة التي أرسلها والده للموارنة في ٢٨ نيسان ١٦٤٩، والملك لويس التاسع عام ١٢٤٩.

وتوفي البطريرك يوسف الخازن في دير مار سركيس ريفون في ١٣ ايار سنة ١٧٤٢، ودفن في كنيسة مار الياس غوسطا.

## تجدّد الخلاف حول تطبيق قرارات المجمع اللبناني

بعد ثمانين سنة من انعقاد المجمع اللبناني، ابتدأ الاخذ والردّ بين الفاتيكان وبكركي، حول تطبيق مقررات المجمع المذكور. وشارك في المداولات، وتبادل الرسائل والموفدين، أكثر من بطريرك وقاصد رسولي، الى أن حُسم الامر في عهد البطريرك بولس مسعد في أول آب سنة ١٨٨٤ برسالة من رئيس المجمع المقدّس في الكرسي الرسولي الى القاصد لودفيكس يخبره فيها بمقررات المجمع من حيث الفرق بين النسخة العربية التي كان يطبّقها البطاركة الموارنة، والنسخة الاصلية اللاتينية المحفوظة في الفاتيكان. وطلب المجمع من القاصد الرسولي إبلاغ البطريرك مسعد أن الكرسي الرسولي قد درس النسخة اللاتينية بدقّة، وصادق عليها البابا بناديكتوس الرابع عشر شخصياً، ولا يجوز اعتماد سواها، لأن في النسخة العربية بعض القضايا تختلف عن النسخة اللاتينية، وهذه الامور هي التالية:

١ ـ الكتب الليتورجية والطقسية كافة لا يمكن طبعها إلا بإذن من السلطة البابوية.

٢ ـ القضايا التي تقام على الأساقفة لا يمكن البتّ فيها إلا بعد موافقة الكرسي الرسولي.

٣ ـ الامور المستعصية المنوّه عنها في الصفحة ٢٦٣ عدد ٣ يجب درسها في النسخة اللاتينية.

٤ ـ صلاحيات تفسيح الموانع الزواجية في الدرجة الثانية (أبناء العم والخال والخالة والعمة) تعطى من الكرسي الرسولي (صفحة ٨٤).

٥ ـ وجوب تنظيم المرسوم المتعلّق بالتفسيحات المذكورة التي اعلنها البابا اكليمندوس.

٦ ـ وجوب إصلاح وترتيب قضية فصل المتزوجين في حالة الزنى حسب النص اللاتيني.

٧ ـ بالنسبة للخلاف حول صلاحية البطريرك لجهة زيادة مداخيل الكاتدرائية والرعايا، هذا يعود إليكم (الى القاصد الرسولي).

٨ ـ وبخصوص انتخاب الاساقفة يجب مراعاة السؤال والجواب حسب النص اللاتيني.

وينهي المجمع رسالته الى القاصد الرسولي لودفيكس بتوصيته بوجوب التشاور مع البطريرك حول إمكانية عقد مجمع جديد لاقرار هذه القضايا. وتشدّد الرسالة في الحاشية على القاصد من "لفظ أي كلمة يُشتَمّ منها سوء نية في كل ما يتعلق بالمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦" (٩).

وقد حسم البطريرك بولس مسعد هذا الأمر بردّ مسهب الى المجمع المقدّس في ٣ اذار سنة ١٨٨٥، يذكر فيه أن هذا الأمر قد حُسم في عهود سابقة، بعد مراسلات طويلة عدّدها غبطته، وفيها تأكيد على صحة تطبيق النسخة العربية المعتمدة من قبل الموارنة. لكن لا مانع، كما يقول البطريرك مسعد، من الاعلان "أننا قابلون بكل خضوع حكم "المجمع المقدّس" المشار إليه، ومستعدّون للسلوك بمقتضاه من الآن فصاعداً، معتمدين نسخة مجمعنا اللبناني في اللاتينية دون سواها" (١٠). ووقّع البطريرك، والاساقفة، والقاصد الرسولي لودفيكس بيافي، وارفق البطريرك هذه الرسالة بعدّة رسائل في الموضوع نفسه، وهي كلّها مدوّنة وموجودة في جارور البطريرك مسعد، و"مفكّرته التاريخية" ـ مجلّد ٣ ـ صفحة ٤٠٩ ـ المكتبة البطريركية ـ بكركي.

وكان البطريرك مسعد، قد وجّه نداء الى الكرسي الرسولي في ٢٩ كانون الأول سنة ١٨٨٢ يناشد فيه المسؤولين بقوله: "إن لبنان بفضل حريّته الكنسيّة المستقلّة، بقي حتى الآن ملجأ الكاثوليك في الشرق، فلا تسمحوا نيافتكم بأن ينهار هذا الملجأ الحصين، ولا تتأثّروا بأية إعتبارات خارجية، او إيعازات مهما كانت سامية، وأن تستعملوا كل الوسائط الممكنة على اختلافها لتبعدوا عنّا عناء

الخنق، وهذه الكأس الكليّة المرارة..."(١١)

ولا عجب إذا وقف البطريرك مسعد مثل هذا الموقف الصلب والعنيد والمقدام، فهو من رافق الثورات العامية في لبنان، وقادها دفاعاً عن الحريات، بوجه الاقطاع الماروني الممثّل بالخازنيين، فلم تسمح له نشأته في بيت فلاّح أن يسكت عن سلب الحقوق والحريات، من أي جهة أتى، حتّى ولو كان من جانب أعلى سلطة كنسية كاثوليكية في العالم، من "المجمع المقدّس"، وبابا روما بالذات.

ولم يكفّ البطريرك مسعد عن الدفاع عن حقوق طائفته، والتقاليد والاعراف والاستقلالية المارونية، بوجه روما وغيرها، بل شدّد في رسالته المؤرخة في ٣ ايار سنة ١٨٨٩ حول قداسة يوحنا مارون لأنها "ظاهرة تمنع كل ريب وتحول دون اختلاف الناس في هذا الموضوع". وكثير من الامور حسمها البطريرك مسعد بقوة شخصيته وإقدامه، مع تأكيده دائماً، في رسائله الى المرجعية المارونية العليا الممثّلة بالكرسي الرسولي "على خضوعه التام الكامل، وغير المتزعزع" لقداسة البابا الذي يسأل رئيس مجمع الايمان أن يتوسّل الى قداسته "ليشمله بعطفه، ومحبّته الابوية، وبركته الرسولية... ولنا الشرف العظيم بأن نكون خادماً أميناً لكم": جبل لبنان في ١٥ شباط سنة ١٨٩٠ - الحقير بولس بطرس مسعد البطريرك الانطاكي... ولنا عودة الى هذا البطريرك بعد الحديث عن بقية بطاركة القرن الثامن عشر التالية اسماؤهم:

### ● ٦٠- البطريرك الستون سمعان عواد الحصروني الثاني (١٧٤٣-١٧٥٦)

انتُخب الاسقف سمعان عواد، إبن اخي البطريرك يعقوب عواد الحصروني اسقف دمشق، بطريركاً في عين ورقة سنة ١٧٤٢، فصار خريج معهد روما الماروني، البطريرك الثاني من اسرة عواد الحصرونية. لكنه اعتذر عن قبول هذا المنصب تعفّفاً وزهداً، كسالفه الاسقف جرجس حبقوق البشعلاني. عندئذٍ انتخب الاساقفة المطران الياس محاسب بطريركاً مكانه، فاحتجّ المطران طوبيا الخازن على هذا الانتخاب، وادّعى أنه لم يتبلّغ موعده؛ ثم "اتفق مع المطران جبرايل من طائفة السريان الكاثوليك، ونزلا معاً إلى دير سيدة اللويزة في زوق مصبح كسروان.

وهناك رقيًا إلى الاسقفية راهبين من رهبان دير اللويزة، وهما القس عبد الله حبقوق... والقس جرمانوس صقر حلب، وانتخبا هذا الأخير(طوبيا) بطريركاً إنطاكياً جديداً، أيضاً في سيدة اللويزة بكسروان" (١٢).

ثم رفعت القضية إلى "المجمع المقدّس" الذي حكم بعدم شرعية الانتخابين معاً في ١٥ شباط سنة ١٧٤٣ وكان البابا بناديكتوس الرابع عشر قد استشار العلاّمة السمعاني في هذا الأمر، فأشار أيضاً ببطلان الانتخابين معاً، فأصدر قداسته براءةً في ١٣ اذار سنة ١٧٤٣ ألغى بموجبها الانتخابين. ثم أرفقها ببراءة ثانية يعيّن فيها المطران سمعان عواد المذكور بطريركاً في ١٦ اذار من السنة نفسها، لكونه أقدم الاساقفة وأكثرهم علماً وتقوىً. واوفد البادري يعقوب دي لوقا من رهبان مار فرنسيس بصفته قاصداً رسولياً، ليُحِلّ الوفاق بين الموارنة، وزوّده ببراءة يفوّضه فيها بحلّ الراهبين المسقفين بصورة غير شرعية من الاسقف طوبيا، من الحرم والرباط، والمطران السرياني الذي رسمهما. وكتب براءةً رابعة في ١٦ اذار سنة ١٧٤٣ بالغاء انتخاب البطريركين، وتعيين الاسقف سمعان عواد بطريركاً، ومنحه درع التثبيت تلبيةً لطلب السمعاني الذي قدّم رسائل الطاعة والخضوع نيابةً عن البطريرك سمعان. وقد استلم غبطته درع التثبيت هذا في ١٣ تموز سنة ١٧٤٤.

وكان السمعاني قد ألقى في المجمع المقدّس خطاباً مسهباً حول الطائفة المارونية وبطريركها الجديد، فمنح قداسته غفراناً إستناداً لما نقله السمعاني عن تأييدهم الاجماعي وخضوعهم لقرارات الكرسي الرسولي، بمناسبة عيد مار مارون، للذين يزورون كنائس القديس مارون، وذلك في ١٢ آب سنة ١٧٤٤(١٣).

ولكي يكون قريباً من دير القمر، مركز الأمير الحاكم، حسب عادة البطاركة، جعل البطريرك سمعان عواد مقرّه في الشوف، حيث لم يشر أي من المؤرخين الذين عدنا إليهم بالتحديد الى المكان الذي اختاره في الشوف لإقامته. وربما كان في المجدل المقرّ الذي اعتمده الدويهي وغيره من البطاركة. ثم بنى ديراً في مشموشة، قضاء جزين، وأقام فيه. وكان البطريرك متضلعاً في علم اللاهوت، وله فيه عدة مؤلّفات.

وتوفي البطريرك سمعان عواد، الحصروني الثاني في ١٢ شباط سنة ١٧٥٦ في دير مشموشة في جنوب لبنان، ودُفن هناك.

### ● ٦١- البطريرك الواحد والستون طوبيا الخازن العجلتوني (١٧٥٦-١٧٦٦)

ولم يطل انتظار الاسقف طوبيا الخازن كثيراً، فقد منّ الله عليه بالبقاء ليشهد انتخابه للمرة الثانية بطريركاً في ٢٨ شباط سنة ١٧٥٦، ولكن هذه المرة انتخاباً شرعياً من قبل جميع أساقفة الموارنة والاعيان، في اجتماع عُقد في كنيسة عينطورة الكسروانية، بين أحضان الاسرة الخازنية الحاكمة، واصبح بذلك اسقف نابلس، ثم قبرص، البطريرك الماروني الثاني من الاسرة الخازنية العريقة. ويسبب إنتمائه إلى هذه المنطقة جعل مقرّه في مسقط رأسه عجلتون، في دير مار روحانا. ووافاه درع التثبيت بواسطة موفده الى روما الاسقف ارسانيوس الحلبي، في ٢٨ اذار سنة ١٧٥٧. وقد أخرّ قداسة البابا إرسال براءة ودرع التثبيت ليتسنى له مراقبة أعمال البطريرك، وتلاحمه مع شعبه الماروني، هذا بالاضافة الى وجوب تلاوة فعل الايمان من قبل البطاركة انفسهم في حضرة البابا، أو بواسطة ممثلين عنه، مع ما كان في السفر إلى روما من مخاطر. لذلك كانت براءات التثبيت لا تصل الى اصحابها قبل سنة من تاريخ انتخابهم او أكثر.

ومن أبرز الاعمال التي قام بها البطريرك الخازني الثاني إنشاء دير للرهبان في بلدة بقعاتا الكسروانية.

وفي عهده تمّ تعيين الأمير يوسف شهاب حاكماً على منطقتي جبيل والبترون المارونيتين، بوساطةٍ قام بها مدبّره الماروني الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٦٣ مع والي دمشق، وهو في السادسة عشرة من عمره. بعدما قام بالواجب المطلوب لنيل المناصب. ثم واصل سعيه حتى نجح بتعيينه اميراً على البلاد (١٧٧٠-١٧٨٩). وقد توطّدت علاقات هذا الأمير بالموارنة، لكونه قد تنصّر واختار المارونية مذهباً له، كمعظم الشهابيين، وللإخلاص الذي أبداه نحو شخصه مدبروه الموارنة أمثال الشيخين سعد الخوري وسمعان البيطار. والمحبة والالتزام والولاء الذي أحاطه به

واولاده من بعده شعب الموارنة، وخاصةً أبناء جبيل والبترون، رغم دفع هؤلاء ثمناً باهظاً لهذا الولاء. فالمدّبران رافقاه حتى الى سجنه في عكا، ومرضا بسبب ذلك، وقضيا وفيّين لشخصه. وأبناء البترون وجبيل حصدوا الضغط والتعديات من قبل مزاحمه على الحكم، ومزاحم أولاده من بعده، الأمير بشير الثاني. ولكنه لم يبخل على هاتين المنطقتين بمحبته وتقديره، إذ منح شعبهما الاملاك الواسعة، كما وزّع على اديرتهما في جبيل وكفيفان وحوب وميفوق وكنيسة بندي ليمون في بجدرفل، وغيرها، الكثير من الهبات والاملاك الواسعة، بعد نجاحه بمساعدة مدبّريه المذكورين، في طرد بني حماده من هذه المناطق التي عاثوا بها اعتداءً وتخريباً، وكبّدوا أهلها ثأر الولاة، لكسرهم اموالها الأميرية والضرائب المفروضة عليهم.

وتوفي البطريرك طوبيا الخازن في ١٩ ايار سنة ١٧٦٦، قبل أن يشهد إنتصار الأمير يوسف على الحماديين، وطردهم من المناطق المارونية. ودُفن في كنيسة السيّدة الخاصة بعائلته في عجلتون، بعدما أمضى في خدمة الطائفة عشر سنوات مليئة بالتحدّيات والتعدّيات.

# ٤- العلاقات المارونية واللبنانية - الفرنسية عبر الاجيال

## بداية العلاقات بين فرنسا ولبنان

قبل متابعة الحديث عن البطاركة خلفاء البطريرك الخازني، ونظراً للعلاقات المميزة التي كانت تربط الأسرة الخازنية بفرنسا، نعطي لمحة تاريخية حول نشوء العلاقات اللبنانية الفرنسية وتطوّرها عبر العصور.

فأول اتصال تمّ بين الموارنة والفرنسيين كان عن طريق المشاركة المارونية في الحملة الصليبية الاولى التي اجتاحت الساحل اللبناني سنة ١٠٩٩ في طريقها لاحتلال القدس. وقد هبط الموارنة، على حدّ ما ذكر المؤرخون من الجبال المشرفة على طرابلس، وساروا في مقدّمة الجيش الصليبي ليرشدوه الى الطريق الأقوم. ولم يكتفوا بذلك بل حملوا إليه الزاد، والخمور، والعلف، وشاركوا في بعض المعارك. وراحت القرى المارونية تستقبل الحملة المذكورة بمراسم التكريم، والابتهاج، والتأييد لجامع الدين بينهما على حدّ ما ذكر العلاّمة الدويهي وغيره.

ولما تمّ للصليبيين احتلال القدس، وتأسيس مملكة لاتينية فيها، عادوا لاحتلال مدن الساحل اللبناني التي كانت بيد المسلمين الفاطميين، فحارب الموارنة الى جانبهم أملاً برفع التضييق عنهم، وإبعاد أخصامهم عن تخومهم البحرية، ورغبة في الاستقلال الذي كان هاجس الموارنة مذ اختاروا هذه الجبال العاصية موطناً لهم. لكن أملهم خاب، بعدما ارتاح الصليبيون الى وضعهم، ودانت لهم هذه الشطوط، فتجاهلوا الحليف الماروني، وراحوا يتصرّفون كأنهم اصحاب هذه البلاد.

وبعد مـرور قـرنين من الزمن على الوجـود الصـليـبي في هذه المنطقـة توتّرت عـلاقـات الموارنة بـهم. وبعدمـا كـانوا يـهبّون للدفـاع عنهم كلمـا داهمـهم الخطر، أصبـحوا يقفون منهم موقف المتفرّج بسبب التـعدّي على حرياتهم والانتقـاص من استـقلالهم. وكان الموارنة طرفـاً في صـراعـات الصليـبيين الداخلية، فسـاندوا آل لوزينيـان، حكام طرابلس وجبيل، ضدّ حكام القدس. كما حـدثت مصـاهرات بين الفـريقين، وابرزهـا زواج إبنة كـامل مـقـدّم لحـفـد من الامـيـر هوغ. ومع أن مـجيء الصليـبيين الى الشـرق كـان نتيـجـة الحـاح مـسـيـحـيّي الشـرق، وبناء لنداءاتهم المتكرّرة(١)، فـخروجـهم من هذه البـلاد كان بسـبب خيـبـة الأمل المارونيـة من جـرّاء معاملتهم المشابهة لكل المستعمرين.

وقد ذكر غليوم (Cuillaume) أسقف صور اللاتيني الصليبي الذي لم يكن يحب الموارنة أنه "بأرض فينيقيا، بين قمم لبنان، ومدينة جبيل، أنـاس سريـان... على قدر كبير من الشجاعة والبراعة في الحرب والفروسية. وقد كانوا عوناً كبيراً جداً لجيوشنا في معاركهم ضدّ الاعداء" (٢). كما ذكر المستشرق ميشـو (Michaud): "ان هذا الشـعب البـاسل في الحـرب، المؤلف من الرجـال الأقـوياء، الأشـداء، كـان حرسـاً هائلاً للبنان. وكثيراً مـا صـدّ غـارات غير المؤمنين" (٣). امـا المؤرخ اللبنـاني طنوس الشدياق، فيشـيـر في كتابه "تاريخ الاعيـان في جـبل لبنان" الى "انه سنة ١٠٩٩ قدمت الافـرنج من إنطاكية الى القدس؛ فلما وصلوا الى عـرقا، وفد اليهم أناس من المردة من جبل سير وصـقع الضنيّة وجبيل، وتلك التـخوم، وترحّبوا بهم، وسـارع بعـضـهم وهدوهم الى الطرقـات والمسـالك حـتى بلغـوا القـدس. وكـانوا ينجـدونهم في الوقـائع والمعـارك، ويمدّونـهم بالميـرة. وسنة ١١١١ قـدم من العـجم وبغداد، جيوش كثيرة، فزحف المردة الى قتالهم عند شيزر (في العراق) فـانكفأوا إلى العـجم (ايران) ناكصين" (٤). وإبن الأثيـر يجـعل للمـوارنة دوراً بارزاً في فـتح طرابلس، ويقول: "وأتى ريمون دي صانجيل سكان الجبل المجاور، وأهالي الارياف الذين كانوا بمعظمهم مسيحيين " (٥).

ونكتفي بهذا القدر من الشواهد والشهادات على التضحيات التي قدّمها الموارنة للصليـبيين، فكانت فـاتحة، ولو غيـر مشـرقـة جداً، لعلاقـات ستتـواصل

وتتنامى بين الموارنة خاصة، واللبنانيين عامة، والفرنسيين وملوكهم.

## وضع الموارنة تحت الحماية الفرنسية

وقبل أن يغادر الصليبيون لبنان، نتيجة لهجمات المماليك المتكررة عليهم، وصل الملك الفرنسي لويس التاسع المعروف بالملك القديس، الى عكا، فأوفد اليه البطريرك الماروني شمعون الثاني، الأمير سمعان على رأس خمسة وعشرين الف مقاتل، واضعاً نفسه بتصرّفه للمحاربة بقيادته، وفي صفوف جيشه. فاستكبر الملك هذه الاريحية. وردّ عليها برسالة شكر ضمّنها شكره، واستعداده لحماية الشعب الماروني، وقال: "من لويس التاسع ملك فرنسا، الى أمير الموارنة بجبل لبنان، والى بطريرك وأساقفة الطائفة المارونية الموقّرة "إن قلبنا امتلأ فخراً لما رأينا ولدكم الأمير سمعان قد اتى مع ٢٥ الفاً، حاملاً الينا شهادة حماستكم الحبيّة، ومقدّماً لنا الهدايا الفاخرة. وبالحقيقة إن محبتنا الخالصة التي بدأنا نستشعرها نحو امة الموارنة ايام حلولنا في قبرص" (وقد حرص ملوك الغرب وبابوات روما على اطلاق لفظة الأمة على الطائفة المارونية، بينما يشيرون الى الطوائف الأخرى بلفظة "الملّة"). وتابع الملك لويس قائلاً: "وقد تضاعفت محبّتنا، ونحن موقنون أن هذه الامة التي قامت تحت إسم القديس مارون، هي قسم من الأمة الفرنسية، لأن محبتها للفرنسيين شبه محبّة الفرنسيين لبعضهم البعض. فيجب من قبل العدل، أن تتمتعوا أنتم، وجميع الموارنة، بنفس الحماية التي يتمتّع بها الفرنسيون من جانبنا وأن تُقْبَلوا في الوظائف كما هم يُقبَلون... أما نحن، وجميع الذين يخلفوننا على عرش فرنسا، فنعد بأننا نوليكم أنتم، وجميع شعبكم، حمايتنا الخاصة، كما نوليها للفرنسيين بعينهم. ونسعى في كل وقت فيما يكون آئلاً لسعادتكم...

"عكا في ٢١ ايار سنة ١٢٥٠، وهي السنة الخامسة والعشرون لملكنا: لويس التاسع ملك فرنسا" (٦). هذا مع العلم ان حماسهم للصليبيين، والمواقف الداعمة لهم، هي سبب تهجير الموارنة وهجرتهم الى قبرص، ولم يقفوا عند هذا الحدّ، بل رافقوا الملك الآنف الذكر لويس التاسع الى مصر حيث من أصل الالوف الذين رافقوه لم يعد الى قبرص حياً سوى "مئة وشخصين فقط" (٧).

وكان البطريرك شمعون الثاني المذكور، قد تلقى كتاباً من البابا اسكندر الرابع "يوصيه بأن يعتبر هؤلاء الفرنجة (الهاربين من المعارك مع المماليك واللاجئين الى جبل لبنان) كأولاده، وأولاه من التفويضات ما يلزم لخدمة هؤلاء اللاجئين" (٨).

وفي القرن السادس عشر، ثلاثة من كبار علماء لبنان، هم السمعاني، والصهيوني، والحاقلاني، ومن خرّيجي معهد روما الماروني، كلّفوا بالتعليم في المعهد الملكي الفرنسي المعروف بـ " Collège De France" ، ولا تزال أسماؤهم منقوشة بماء الذهب على لوحة في مدخل هذا الصرح العريق.

## البطريرك موسى العكاري والملك شارلمان

وفي ٢٥ اذار سنة ١٥٢٧، بعدما دخل العثمانيون الى الشرق، ووقع لبنان تحت حكمهم، كتب البطريرك موسى العكاري الى امبراطور فرنسا شارلكان (Charlemagne) قائلا: "منذ أربع سنوات ونحن نترجّى جلالتكم لكي تهتمّوا بمساعدتنا على نيل استقلالنا، وعندنا خمسون ألف من الرماة، مدربون أحسن تدريب، وعلى أتمّ استعداد لخدمتكم في الحرب الاستقلالية..." (٩).

ولما كانت اوروبا مشغولة بحروبها الأهلية، فقد بقيت هذه الرسالة بدون ردّ. لكن العلاقات بين فرنسا والموارنة لم تفتر أبداً، بل استمرّت في تصاعد، جيلاً بعد جيل. وفي ٢٨ نيسان سنة ١٦٤٩ جدّد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر عهد الحماية الذي قطعه لويس التاسع سنة ١٢٥٠ للموارنة، من خلال مرسوم قال فيه: "ننهي الى سفيرنا في الشرق، والى الذين سيخلفونه أن يسعفوا الموارنة لدى صديقنا المعظّم (سلطان العثمانيين) لينجزوا أعمالهم، ويتصرّفوا بمقتضيات مراتبهم الروحية بتمام الحرية. ونأمر قناصل دولتنا في كل موانئ الشرق بأن يساعدوا السيّد البطريرك، وكلّ أبنائه الموارنة. ونطلب من السادة الكبار، باشاوات ومأموري الحضرة السلطانية العلية أن يعاونوا البطريرك (الصفراوي)، ورئيس أساقفة طرابلس (اسحق الشدراوي)، وجميع الاكليروس الماروني، وكل أبناء الطائفة المارونية" (١٠). وكان البطريرك الصفراوي، قد اوفد الاسقف الشدراوي ليطلب بالنيابة عنه القنصلية الفرنسية للشيخ نادر الخازن الملقّب بأبي نوفل،

فاستجيب طلبه.

**اتصالات فخر الدين الثاني بملوك الغرب واحباره**

وضع الامير فخر الدين الثاني نفسه بتصرّف ملوك الغرب عن طريق السفير الحاقلاني لدى روما وتوسكانا وغيرهما، وبواسطة السفير الآخر الاسقف عميرة، للقيام بعمل مشترك يحرّر من خلاله لبنان والقدس من النير العثماني. وقد اعترف الكرسي الرسولي بأنها المرة الثانية التي تصله مثل هذه المبادرة من الأمير اللبناني. لكن حرب الثلاثين عاماً بين دول الغرب حالت دون استجابة هذا الطلب، لكنها لم تحل دون إعدام الأمير بسبب تعامله مع الغرب.

**تجديد الحماية العربية للبنان وتعيين ابنائه قناصل للفرنسيين**

منح السلطان سليمان القانوني فرنسا حق حماية مسيحيي الشرق في العام ١٥٣٥، فجدّد الملك الفرنسي فرنسوا الاول عهود الحماية للطائفة المارونية ثم جاء بعده لويس الرابع عشر الذي نفّذ هذه العهود المقطوعة من قبل فرنسا بحماية الموارنة، بتسليم الشيخ نادر الخازن المكنّى بابي نوفل قنصلية فرنسا في بيروت سنة ١٦٥٩ تلبية لالتماس البطريرك الصفراوي ومن ثم أصبح المشايخ الخازنيون يتوارثون هذا المنصب طيلة نحو مئة عام. كما منحت البندقية أيضاً، القنصل ابي نوفل وكالة قنصليتها في بيروت حتى وفاته في العام ١٦٦٣ (١١). ونعتقد شخصياً، مع المؤرخين صقر وشمالي اللذين اوردا مرسوم تعيين تاريخ ولاية القنصل ابي نوفل، أن التاريخ الصحيح، كما هو مدوّن في المرسوم الملكي، يبدأ في أول كانون الثاني سنة ١٦٦٢ لغاية العام ١٦٧٩ (١٢).

ثم تولى القنصلية الفرنسية في بيروت بعد أبي نوفل، ابو قانصوه فياض من العام ١٦٧٩ الى العام ١٦٩١، والشيخ حصن ابي قانصوه من العام ١٦٩١ الى العام ١٧٠٧ . والشيخ نوفل إبن حصن (١٧٠٨ ـ ١٧٥٣). وهذه التواريخ ذكرها أيضاً المستشرق ريستلهوبر في كتابه "تقاليد فرنسا في لبنان" صفحة ٢٠٤، بالاضافة الى المؤرخين صقر وشمالي وغيرهما.

وكان الشيخ ابو نوفل قد عيّن نائب قنصل فرنسا في بيروت من قبل

القنصل الفرنسي في حلب المسيو بيكات بتاريخ ٢٨ حزيران سنة ١٦٥٥. ولما توفي الشيخ نوفل إبن حصن بدون عقب سنة ١٧٥٣، طالب البطريرك سمعان عواد الحصروني بأن يتولّى هذا المنصب الشيخ غندور إبن الشيخ سعد الخوري فاستجيب طلبه.

اما الملك الفرنسي لويس الرابع عشر فقد أصدر مرسوماً ملكياً يوم تعيين الشيخ نوفل قنصلا، بأن "لا يكون قنصلاً لدولة فرنسا رجل أجنبي إعتباراً لخاطر الأمير نوفل المذكور، لا لغيره، وهذه إرادتنا... أعطي في فونتنبلو (Fontainbleau) في ٤ تموز سنة ١٧٠٨، وهي السادسة لملكنا. التوقيع: لويس" (١٣).

## يوسف بك كرم والفرنسيس ونجدة سنة ١٨٦١

من القيادات اللبنانية المارونية التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ العلاقات الفرنسية اللبنانية، البطل يوسف بك كرم الذي اقترحه مساعد قائد الحملة الفرنسية التي هبّت لنجدة الموارنة بعد مجزرة سنة ١٨٦٠. والتي دخلت لبنان سنة ١٨٦١، الكولونيل ديكرو (Ducrot) ليكون حاكماً على لبنان. لكنه اصطدم بمعارضة قائد الحملة والجنرال دو هوتبول (De Hout Poul) الذي كان على خلاف معه. وقد اضطر كرم لشهر السيف عليه وتهديده في الصرح البطريركي في بكركي بسبب مواقفه منه. واضطرّ كرم في النهاية إلى اللجوء الى فرنسا سنة ١٨٦٧ بناء لاقتراح القنصل الفرنسي حتى وفاته سنة ١٨٨٨. وكانت الحملة الفرنسية المذكورة قد لعبت دوراً حاسماً في محاكمة مسبّبي احداث الستين التي ذهب ضحيتها آلاف المسيحيين، والتعويض على المتضررين، والمساهمة في نقل الحكم من "القائمقاميتين" الى "المتصرفية". ومن المعلوم أن المندوب الفرنسي داخل لجنة التحكيم الاوروبية التي وضعت نظام بروتوكول سنة ١٨٦١ كان يتبنّى اقتراحات الموارنة، ورأي بطريركهم مسعد في إسناد الحكم لأمير شهابي ماروني، إلاّ أنه اصطدم بأكثرية أعضاء اللجنة المعارضة، فلم ينجح الاقتراح.

## اول بطريرك ماروني يزور فرنسا

لم يشهد تاريخ العلاقات الفرنسية المارونية أي فتور، بل استمر في تصاعد

حتى الدخول المصري الى لبنان سنة ١٨٣٠، وتحوّل المصريين المؤيّدين من الفرنسيين الى غزاة محتلّين رغم الحلف الذي كان قائماً بينهم وبين أمير لبنان بشير الثاني. فقد اضطر الموارنة حفاظاً على كرامتهم، وحرياتهم، وشغفهم بالسيادة والاستقلال الى الوقوف ضدّ المصريين حلفاء الفرنسيين. لكن هذا الموقف لم يؤثّر على العلاقات الفرنسية اللبنانية، بل على العكس من ذلك، وقف الفرنسيون في نهاية تلك الحقبة في العام ١٨٤٠ على الحياد، ولم يواجهوا الثوّار الموارنة على الحكم المصري وحليفهم بشير، واكتفوا بالتمنّي عليهم عدم المشاركة في الثورة عليها، في حين كان سفيرهم يتفهّم الموقف الماروني ويؤيّده ضمناً، لكنه مضطرّ للسير في خط معاكس للخط الماروني كرهاً بالانكليز المساندين للخط العثماني المضاد.

ولكي تعود المياه الى مجاريها بين الموارنة وفرنسا، قام البطريرك بولس مسعد في العام ١٨٦٧ بزيارة فرنسا، وقابل الامبراطور نابوليون الثالث في باريس، مفتتحاً على حدّ تعبير الأب الدكتور بولس صفير في كتابه "بكركي في محطاتها التاريخية" تقليداً جديداً سار عليه خلفاؤه. وصار التقليد بعد ذلك، أنه كلما زار البطاركة روما، يعرّجون على باريس لمقابلة حكامها. هذا الى جانب تقليد آخر، هو تقديم ذبيحة الهية على نية فرنسا، في بكركي يحضرها أركان السفارة الفرنسية في لبنان، كل عام، ترسيخاً للعلاقات الفرنسية اللبنانية.

ولم يكتف البطريرك مسعد بزيارة روما وباريس، بل عرّج على الآستانة في طريق عودته الى لبنان، حيث جرى له استقبال حار، ومُنح أرفع الاوسمة. ونزولاً عند طلبه أُعفي مسلمو لبنان من الخدمة العسكرية، فأصبح بطريرك الموارنة بعدها "بطريرك لبنان" او "بطريرك العرب" و"ملجأ لكل طوائف لبنان المسيحية والمحمدية"، حسبما أشار المؤرخون اللبنانيون والاجانب. كما أصبحت بكركي منذ ذلك الحين محطّ انظار جميع القادة اللبنانيين والعرب، بها يُستجار، وعند رأيها يقف الجميع، لأنها تضع دائماً نصب أعينها مصلحة البلاد العليا، لا مصلحة الشعب المنتمي اليها. وبدأ البطاركة يعيّنون ممثّلاً لهم في باريس، على غرار ممثّليهم في روما. وكان أول من شغل مثل هذا المنصب المطران بولس بصبوص في عهد البطريرك

حويك، ابتداءً من مطلع القرن العشرين.

## موقف الموارنة من حملة نابوليون بونابرت

إبّان الحملة التي قام بها نابوليون بونابرت، الامبراطور الفرنسي، يوم كان قائداً للجيش الفرنسي في مصر، على عكا سنة ١٧٩٩، وقف البطريرك الماروني يوسف التيان الى جانب القائد الفرنسي وأيّده، رغم مواقفه العدائية من الكنيسة الكاثوليكية، كما جاء في الرسائل المتبادلة بين القائد الفرنسي والبطريرك. وقد وصل عدد المتطوّعين الموارنة للمشاركة في حملة نابوليون الى ٢٥ الف متطوّع. لكن فشل القائد الفرنسي في احتلال عكا زاد من نقمة الجزار على امير لبنان بشير الثاني، وأدّى الى دفع الموارنة ثمناً باهظاً لصداقتهم للفرنسيين مرّة جديدة، علاوة على الدفعات التي كانوا قد سدّدوها في عهد المماليك منذ العام ١٣٠٥ عند فتوح كسروان واحراقها، وبقائها خراباً وأرضاً محروقة طيلة قرنين من الزمن. هذا بالاضافة الى تخريب الجبّة الشمالية، وغيرها من المناطق المارونية. بعد كل هجوم فاشل كانت تقوم به بعض السفن الغربية بقصد القرصنة والاعتداء على المرافئ اللبنانية التي كانت قد اصبحت بعد رحيل الصليبيين بيد المماليك. هذه الاعتداءات التي لم تسلم منها بيوت الموارنة ولا كنائسهم أو أرزاقهم وقادتهم الروحيون والزمنيون.

## إعلان دولة لبنان الكبير في عهد الانتداب الفرنسي

ثم بلغت العلاقات اللبنانية ـ الفرنسية الذروة، في العام ١٩١٨، بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، ودخول لبنان تحت الانتداب الفرنسي. في هذه المرحلة توجّه اللبنانيون الاحرار الى الفرنسيين، وعلى رأسهم البطريرك الياس الحويك، مطالبين بإعطاء لبنان استقلاله، وتوحيد أراضيه التي كان قد سلخها الولاة السابقون منذ ايام المماليك والعثمانيين. ولما كان الانتداب الفرنسي لا يحبّذ الحركات الاستقلالية، ككل مستعمر، فقد شاب هذه العلاقة بعض التوتّر، والاصطدام. وكانت ذروة الخلافات الفرنسية اللبنانية في العام ١٩٤٣، بعدما عاشت عهدها الذهبي بين العام ١٩١٨ و١٩٤٣ التي أعلن خلالها "لبنان الكبير" من قبل الجنرال غورو في

العام ١٩٢٠ بحضور البطريرك الماروني ومفتي الجمهورية وشخصيات البلاد. ثم اخذت هذه العلاقة بالتوتّر تدريجياً بسبب التدخّل في شؤون البلاد المحلية، وانتهاك السيادة اللبنانية والحريات العامة رغم وضع نظام انتخابي، وإقرار الحكم الجمهوري سنة ١٩٢٦. وقد لجأ الفرنسيون لوقف المحاولات الاستقلالية الى تعطيل الدستور أكثر من مرة في تلك الفترة المشحونة بالمتغيّرات والمواقف المتشنجة حتى تمّ اعلان الاستقلال سنة ١٩٤٣، وجلاء اخر جندي فرنسي عن هذه البلاد في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٦.

## خلافات ما بعد الاستقلال والجلاء

ولم يطل الأمر حتى اسفرت المواجهة الأخيرة بين اللبنانيين المطالبين بالاستقلال، والسلطات الفرنسية الراغبة في مدّ فترة الانتداب، عن إعلان استقلال لبنان الكامل سنة ١٩٤٣. وبداية نوع جديد من العلاقات بين لبنان وفرنسا، يقضي باحترام سيادة واستقلال لبنان، والتعاون المثمر لتحصين العلاقات بينهما، وتنميتها باستمرار. وأصبح للدولة الفرنسية بفضل العلاقات التاريخية التي تربط بين الشعبين الفرنسي واللبناني، ولا سيما بالموارنة، منزلة "الأم الحنون"، إليها يعود القادة اللبنانيون في الشدائد لطلب الدعم، وتنسيق المواقف، ومن مناهل حضارتها ينهل طلاب لبنان بأكثريتهم الساحقة، من خلال المعاهد التي أنشأتها في هذه البلاد الارساليات الفرنسية، ولا سيّما الكبوشية، واليسوعية، واللعازارية، وغيرها من الجمعيات، ولا سيما جامعتها اليسوعية الزاهرة التي خرّجت جيلاً كاملاً من الحكام والشخصيات، ورجال الفكر والقانون. وبالاضافة الى ذلك يرتبط لبنان اليوم بالفرنكوفونية التي تضم عدة دول تتكلّم الفرنسية، وقد أُعطي لبنان رئاسة هذه المنظّمة، بشخص أحد رؤساء جمهورية لبنان، الاستاذ شارل حلو، تدليلاً على ما بين الدولتين من روابط ثقافية، وعلاقات تاريخية حميمة.

وهكذا اصبحت العلاقات الفرنسية، اللبنانية تحكمها المصالح المشتركة للبلدين، وبحكم الروابط التاريخية القديمة ولا سيما بين الموارنة والحكام الفرنسيين، اصبحت اللغة الفرنسية لغة الصالونات الراقية، ولغة العامة من الناس، بها يتداولون، ومن معينها، وبواسطتها ينهلون العلوم والمعارف، سواء في المدارس

التابعة للفرنسيين في لبنان، او في المدارس والجامعات الفرنسية بالذات، إذ ما يزيد على الخمسين بالمئة من مجموع متخرّجي لبنان في الخارج، يتخصصون في الجامعات الفرنسية. كما أصبح سفراء فرنسا ولبنان، وبعثاتهما الثقافية تلعب دوراً هاماً في تعزيز الروابط بين البلدين. وهذا ما جعل بكركي مركز تشاور وتنسيق، وجسر اتصال بين الشرق والغرب، من خلال الدور الذي تلعبه باعتبارها "فاتيكان" الشرق المسيحي الراعي لمصالح الاقليات المسيحية المنتشرة في هذه المنطقة من العالم. وقلّما يزور مسؤول فرنسي لبنان، ولا يعرّج على بكركي لمقابلة البطريرك الماروني والعكس أيضاً صحيح، فلا يزور بطريرك ماروني الكرسي الرسولي في روما، إلاّ ويعرّج على فرنسا لزيارة حكامها والتشاور معهم في القضايا الهامة.

ومن الأخبار التي تروى أن احد المتصرّفين زار إهدن، ولاقى استقبالاً عادياً، وأثناء وجوده فيها، دخلها المستشرق الكونت دي باري، وقد أشرنا الى ذلك سابقاً، فأجرى له الاهدنيون استقبالاً حافلاً، تضايق منه المتصرّف وتساءل عن السبب، فأجابه أحد الاقطاب الإهدنيين: "لا تنس أننا فرنسيون، ونحن نحتفي بأميرنا". وبالفعل هناك الكثير من الأسر اللبنانية، والمارونية على الاخص، تحمل أسماء فرنسية، إما لكونها من بقايا الصليبيين في هذه البلاد، وإمّا تيمّناً بالشخصيات الفرنسية التي أحبّها اللبنانيون.

ونغتنم هذه المناسبة لنشدّد على وجوب تدعيم هذه العلاقات المميّزة بين لبنان وفرنسا، لأنها لا تخدم لبنان، والمسيحيين فيه كما يخال البعض فحسب، بل تخدم القضايا العربية والشرقية معا، باعتبار لبنان وقياداته الزمنية والروحية صلة الوصل بين الشرق والغرب. وقد استفاد العرب كثيراً من هذه العلاقات لخدمة قضاياهم. ولا نزال نذكر يوم كُلّف رئيس لبنان الماروني سليمان فرنجيه في السبعينات بأن يتحدّث باسم العرب مطالباً بانصاف الفدائيين الفلسطينيين والاعتراف بمنظمة فتح ناطقة رسمية باسمهم. فألقى من على منبر هيئة الامم المتّحدة كلمة العرب، وفتح المجال امام الفلسطينيين للخروج من عزلتهم، وقبولهم من العالم كطرف مفاوض لتقرير مصير بلادهم. وكانت تلك المبادرة الخطوة الاولى

لمسيرة سلمية اوصلت الفلسطينيين اليوم الى تأسيس دولة لهم في غزة والضفة الغربية. فمن مصلحة العرب، ومصلحة اللبنانيين عامة، والمسيحيين في الشرق خاصة، العمل على ترسيخ العلاقة بين المسيحيين واللبنانيين الممثّلين بالموارنة، ومسيحيّي فرنسا ودول الغرب الممثلين بالفرنسيين، ليبقى هذا الجسر الذي لا بدّ منه لاستمرار الاتصال والتواصل بين الشرق المسلم والغرب المسيحي. وفي ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٩٦، زار رئيس دولة فرنسا جاك شيراك مقرّ الرئاسة اللبنانية في بعبدا، ومقرّ البطريرك الماروني في بكركي، توطيداً لهذه العلاقات التاريخية المميّزة بين لبنان وفرنسا. وبعض المؤرخين اللبنانيين والأجانب يردّون اصل البطريرك الماروني الاول، يوحنا مارون، مؤسس الكنيسة المارونية في العام ٦٨٥، إلى الاصل الفرنسي، وينسبونه إلى عائلة كارلومانيو او شارلمان الفرنسية. وعلى هذا الأساس يمكن القول أنه منذ اواخر القرن السابع حتى اليوم، والعلاقات الفرنسية اللبنانية تنمو وتزدهر باضطراد، وفي ذلك النفع الكبير للشعبين الصديقين، اللبناني والفرنسي بصورة عامة، وللموارنة و"أمّهم الحنون" فرنسا، بصورة خاصة.

# ٥ - الراهبة هندية وتطوّر
# الحياة الرهبانية

**● ٦٢ - البطريرك الثاني والستون يوسف اسطفان الغسطاوي (١٧٦٦ - ١٧٩٣)**

كانت أيام هذا البطريرك حافلة بالاحداث الجسام نظراً لتفجّر أكثر من حدث هام في أيامه، واول تلك الاحداث: الصراع الشيعي الماروني في الشمال. والثاني: ظهور الراهبة هندية وما سببته للبطريرك من الاضطرابات. والثالث بروز معالم النهضة العلمية والثقافية في البلاد.

انتُخب الاسقف يوسف اسطفان الغسطاوي، خرّيج معهد روما الماروني، اسقف أبرشية بيروت، شقيق اربعة بنين آخرين انجبهم الخوري جرجس اسطفان، وكلّهم صاروا كهنة، واحدهم هو الاسقف بولس، بطريركاً في ٩ حزيران سنة ١٧٦٦، في دير مار شليطا مقبس الكسرواني، بعدما كان قد شغل رئاسة دير ومدرسة عين ورقة الشهيرة.

نال درع التثبيت على يد الراهب الكبوشي عبد الاحد لوكا او لوقا من قداسة البابا كليمنت الثالث عشر في ٦ نيسان سنة ١٧٦٧. وبنى دير مار يوسف الحصن في غوسطا، وجعله مقرّاً أسقفياً، ثم مقراً بطريركياً، بعد انتخابه. وقد بنيت كنيسة هذا الدير من إحسان قدّمه ملك فرنسا لويس الخامس عشر سنة ١٧٦٩ (١).

وفي عهد البطريرك الغسطاوي عُقدت أربع مجامع مارونية: الأول في غوسطا في ١٦ ايلول سنة ١٧٦٨. وقد صدر عنه قرار بكفّ يد الاسقف يوحنا

اسطفان عن رئاسة دير مدرسة عين ورقة بعدما استأثر بها طويلاً، وتسليمها لسلطة البطريرك. والثاني في ميفوق في ٢١ تموز سنة ١٧٨٠. والثالث في عين شقيق كسروان في ٦ ايلول سنة ١٧٨٦. والرابع في بكركي في ٣ كانون الاول ١٧٩٠. وقد دُرست في هذه المجامع الثلاثة الأخيرة الإصلاحات المارونية الكنسية، وصلاحيات الأساقفة، وعدم جواز إشراك الرهبان والراهبات في أديرة واحدة بسبب اللغط الذي دار حول قضية الراهبة حنّة عجيمي المعروفة باسم "هندية"، والتي شغلت معظم سنوات عهد البطريرك الغسطاوي.

## قضيّة الراهبة حنّة عجيمي المعروفة بهندية

تقدّمت الأخت حنّة عجيمي بطلب من البطريركية لتأسيس جمعية رهبانية نسائية باسم "جمعية قلب يسوع". وبعد الموافقة على طلبها ووضع دير بكركي بتصرّفها، أخذ اللغط يدور حول تصرّفاتها الغريبة، مما استدعى الكرسي الرسولي الى تكليف موفد يحقق معها فتبيّن من "التحقيق الأخير أنها مغرورة، متمسّكة باعتقادات باطلة. فألغى الحبر الاعظم مؤسستها الرهبانية. واقتضى أن يرجع البطريرك عن اعتقاده بقداستها. وأن ينفّذ المرسوم القاضي بملاشاة جمعيتها..." (٢). وقد أنهت الراهبة هندية، بعد إلغاء جمعيتها (بسبب تصرّفات مشبوهة واعمال منافية للاخلاق)، حياتها بالتقشّف والتوبة في دير سيدة الحقلة، حتى وفاتها سنة ١٨٠٢، بعدما ورّطت الرهبان، والطائفة، والبطريرك الماروني، في امور ساذجة اوصلت الى حدّ الركوع أمامها واعتبارها قديسة.

وقد تم استدعاء البطريرك الغسطاوي ليمثل أمام "المجمع المقدس" في الكرسي الرسولي والادلاء بافادته حول هذا الموضوع المختص بالراهبة هندية، وما يشاع حولها، بعدما كُفّت يده عن التصرّف بالصلاحيات البطريركية الممنوحة له. لكنه مرض في طريقه الى روما، مما اضطرّه للتحوّل الى دير مار الياس الكرمل في القدس. حيث أقام زهاء سنتين مقدّماً رسائل الطاعة الى قداسة البابا، ومعتذراً عن متابعة سفره بدواعي المرض. وبعد اجراء التحقيقات في هذه القضية ثبتت براءة البطريرك، فأُعيد مكرّماً الى كرسيّه، بعد تدخل الأمير يوسف شهاب، ومدبّره الشيخ سعد الخوري الذي كتب عدة رسائل الى قداسة البابا بيوس السادس

لتبرئة البطريرك، نظراً لما يلحقه هذا الأمر من ضرر على صعيد الطائفة ككل، وعلى سمعة البطريرك البريء. وقد ردّ البطريرك الجميل بسعيه لدى الملك الفرنسي لويس السادس عشر لتعيين الشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري قنصلاً لفرنسا في بيروت، فانتقل بذلك هذا المنصب من آل الخازن الى آل الخوري ابتداء من العام ١٧٨٧.

## انقسام الرهبانية المارونية الى رهبانيتين : حلبية وبلدية.

وقد حوّل البطريرك يوسف اسطفان معهد عين ورقة الى مدرسة اكليريكية عالية خرّجت خمسة بطاركة وثلاثين اسقفاً. كما رمّم دير مار يوحنا مارون في كفرحي ليصبح مدرسة هو الآخر في عهد البطريرك يوحنا الحلو سنة ١٨١٢. ثم اقام في دير مار يوسف الحصن الذي بناه في أملاكه الخاصة بغوسطا، ومن ماله الخاص. وفي أيامه تمّ انقسام الرهبانية اللبنانية الى رهبانيتين: بلدية وحلبية، بعدما كان الخلاف قد وقع بينهما في أيام سلفه البطريرك طوبيا الخازن. وأقر هذا الانقسام رسمياً في ٨ كانون الاول سنة ١٧٦٨ في دير حاريصا بحضور البطريرك، ورئيس الرهبنة اليسوعية، ورئيس الرهبان البلديين الأب عمانوئيل الرشماوي ومدبّريه، والأب لويس الحلبي رئيس الرهبان الحلبيين ومدبّريه. وقد أصدر قداسة البابا كليمانت الرابع عشر براءة تثبت هذه القسمة بينهما في العام ١٧٧٠.

## الرسائل المتبادلة بين الكرسي الرسولي والبطريرك يوسف اسطفان

تبادل البطريرك يوسف اسطفان والكرسي الرسولي عدة رسائل أبرزها، بعد براءة التثبيت، رسالة مؤرخة في ١٢ آب سنة ١٧٦٧ من قبل البابا اكليمندوس الثالث عشر باسم الكرادلة الى البطريرك يوصيه فيها العمل بموجب أحكام المجمع اللبناني، وإخضاع "الأديار كلها، والرهبان، والنسّاك أيا كانوا للبطريرك الذي يكون وللأساقفة رؤسائهم المحليين". واضطر البطريرك لعقد أربعة مجامع تنفيذاً لهذه التوصية.

وقد استغاث البطريرك الغسطاوي في رسائل موجهة الى ملوك فرنسا العظام " انصار الدين الكاثوليكي على حدّ تعبيره، وحماة الطائفة المارونية"، لردّ

الهجمات والمظالم عن الموارنة. كما أوفد البطريرك وكيله الخوري يوسف مارون الدويهي لمقابلة الملك لويس الخامس عشر، وتسليمه رسالة يطالب فيها غبطته بتجديد الحماية الفرنسية للموارنة، وهي مؤرخة في ١٣ حزيران سنة ١٧٦٧ (٣).

كما زار الوكيل البطريركي الأب الدويهي أيضا روما وسلّم "المجمع المقدّس" رسالة من غبطته توكل الى ممثله شرح الاوضاع في البلاد، " وطلب المساعدة لأننا غارقون في الديون، وأملاك الكرسي خرّبها المسلمون في معاملة طرابلس، والأزيد من ذلك هو دفع الخراج الذي هو فوق الطاقة" (٤).

وفي رسالة ثانية الى البلاط الفرنسي، طلب غبطته تعيين مخايل طربيه "باش ترجمان في طرابلس، ليعمل على حماية كرسيّنا وديرنا وأملاكنا وذاتنا، والله يؤيّدكم بالنصر على الدوام" (٥).

كما عقد الأساقفة الموارنة بناء على دعوة من المطران مخايل الخازن في مقرّه بديره في محلّة رام بو دقن (عجلتون) لقاء أقرّوا فيه بعض القضايا المخالفة للمجمع المقدّس في ٢٩ تشرين اول سنة ١٧٦٩، خلافاً لرأي البطريرك، ورفعوا بها طلباً الى المجمع المقدّس لأقرارها. واهم ما جاء فيها: رفض تدخّل البطاركة في رعاياهم. ووجوب إقامة البطريرك في دير قنوبين، وتقديس الميرون بدون بدل يفرض عليهم من البطاركة... وقد أرفقوا هذه المطالب برسالة ثانية. فلقوا جواباً على رسالتيهما يندّد فيه المجمع بمداخلات البطريرك المفرطة في شؤون الابرشيات، وصرامته في جباية العشور والمعونات، وتركه السكن في المقرّ البطريركي الرسمي في قنوبين. كما وجّه المجمع تأنيباً للأساقفة، أصحاب الرسالة "لأجل المغايرة والاخصام غير اللائق بدرجة الاسقفية، والمضاد للخضوع القانوني، والطاعة الحقيقية الملتزمين بها تحت الحلف لراسهم، وللايمان نفسه". وهي مؤرخة في ١٧ آب سنة ١٧٧١.

كما أوفد قداسة الحبر الاعظم قاصداً من قبله هو الأب فالاريانو (Valeriano) دي براتو رئيس الآباء الفرنسيسكان في القدس، للفصل في هذه الشكاوى. فاحتج البطريرك والاساقفة في غوسطا في تموز سنة ١٧٣٠، ولكنه لم ينجح في مهمته (٦). وعندها، قام تسعة أساقفة بالكتابة من جهتهم الى الكرسي

الرسولي في ١٠ ايلول سنة ١٧٧٣. يخطّئون زملاءهم السبعة اصحاب الشكوى المناهضين للبطريرك، ويطلبون حسم القضية بدعم البطريرك "ليكون حجة ساطعة على اضداده". فأرسل المجمع المقدّس قاصداً جديداً هو الأب الفرنسيسكاني بطرس دي مورونه، فقابل البطريرك في اواخر العام ١٧٧٥، ويظهر أن غبطته رفض التسليم والقبول بأحكام المجمع المقدّس، قبل استنفاد ممثّله الشخصي شروحاته للكرسي الرسولي، في حين ألحّ أمير لبنان يوسف شهاب، ومدبّره الشيخ سعد الخوري والاساقفة المناوئون، والرهبان البلديون، على وجوب الاذعان والرضوخ. وتوالت الشكاوى على البطريرك، وبعضها يتهمه بقبض العمولة والانحراف، وبالخضوع لتعاليم الراهبة هندية، وبغيرها من القضايا... مما دفع بالامير يوسف شهاب، حاكم البلاد، الى دعوة البطريرك الى بيروت حيث اجتمعا، فأقنع البطريرك الأمير بصوابية تصرّفاته. وفي عيد الفصح أعلن المطران مخايل فاضل اسقف بيروت الاحكام الصادرة عن الكرسي الرسولي و"سمى بها البطريرك وثنياً وعشاراً"(٧)، فحرمه البطريرك، ولم يرجع عن حرمه رغم اصرار القاصد الرسولي الذي كتب بشدّة الى روما مجرّماً البطريرك. وسلّم الأب إرسانيوس عبد الأحد مندوب البطريرك، قداسة البابا رسالة من غبطته تصف مشقّات البطريرك من جرّاء تجنّي اخصامه عليه.

وفي الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٧٧٩ عُقدت جلسة حافلة في الفاتيكان لدراسة الشكاوى المتبادلة بين أنصار وخصوم البطريرك يوسف اسطفان، والدفوعات المقدّمة من قبله، واصدر المجمع المقدّس قراراً بكفّ يد البطريرك واستدعائه الى روما لمحاكمته، وتعيين الاسقف مخايل الخازن وكيلاً للبطريركية، ليدير الأعمال في غيابه. وكان ذلك في ١٧ تموز سنة ١٧٧٩.

وعندها كتب مشايخ آل الخازن الى ملك فرنسا لويس السادس عشر، باعتباره محامي الطائفة المارونية، يطلعونه على ما حدث ويطلبون تدخّله لدى الكرسي الرسولي ليعاد البطريرك الى كرسيه، ولا يفرض عليهم قائد روحي من الخارج، ولو أن هذا الخارج هو الكرسي الرسولي بالذات، ووجوب حفظ حقوق الموارنة في اختيار بطريركهم بأنفسهم، لا سيما وان البطريرك "بريء من كل ما

تجنّوا عليه". وفي هذا الوقت كان البطريرك قد رفع رسالة الى رئيس المجمع المقدّس في ١١ حزيران سنة ١٧٨٠ يبلغه فيها طاعته، واستعداده للسفر الى روما، رغم المرض الفتّاك الذي ألمّ به، بشهادة قنصل فرنسا المسيو أرزاس "الذي زارني مع طبيب الامة الفرنسية" في صيدا، بالاضافة الى شهادة ثلاثة أطباء آخرين فرنسيين في بيروت وطرابلس. و"هكذا تراني مستعدّ لانفاذ كل ما تأمرون به في المستقبل، فعسى هذا التسليم يحرّك قلب نيافتكم بالشفقة على شيخ تعذّبه الكروب..." حيفا في ١١ حزيران سنة ١٧٨٠ (٨). واتبع البطريرك رسالته هذه بعدّة رسائل أخرى الى الكرسي الرسولي، وفيها يبلغ غبطته الكرادلة تعذّر امكانية سفره بسبب سوء صحته، ونصح الجميع له بخطر السفر على حياته، واستعداده القبول باحكام المجمع وطاعة قداسته. وقرأ رئيس المجمع المقدّس هذه الرسائل في جلسة ١٨ ايلول سنة ١٧٨١، والشهادات التي تبيّن صدق البطريرك، ولا سيما شهادة قائد السفينة التي نقلت غبطته من صيدا الى حيفا.

وأثناء وجود البطريرك يوسف اسطفان في دير الكرمل بحيفا عقد المدبّر البطريركي الاسقف مخايل الخازن، والقاصد الرسولي موروته مجمعاً طائفياً في ميفوق في ٢١ تموز سنة ١٧٨٠ حضره معظم أساقفة الطائفة ورؤساء الرهبانيات والأديار وبعض الكهنة والرهبان تقرّر فيه "الخضوع للكرسي الرسولي وإثبات بعض الاحكام، وإبلاغ ثنائهم على القاصد الرسولي وغيرته". اما الذين لم يحضروا هذا المجمع وهم الأساقفة: انطون مطران لوسطرا، وبولس مطران قورش، ويوسف نجيم، فكتبوا الى الحبر الاعظم في ٢ ايلول سنة ١٧٨٠ يلتمسون من حلمه الأبوي" إعادة السلام والنظام الى طائفتهم، ويشكون من الأب دي موروته لأنه أراد أن يتوّج قصادته بهذا المجمع الذي عقده بالاكراه والقوة من غير رضاهم، ورضى رؤساء الأديار، واعلام الطائفة، ولم يوقّعه ما خلا الاعوان أحد إلا مكرهاً، وخوفاً من الحاكم غير المؤمن (المقصود هنا أحمد باشا الجزار والي عكا ووالي صيدا المشرف على جبل لبنان)، اما البطريرك فقد احتجّ بأعلى صوته على هذا المجمع... ثم بيّنوا في تقرير مسهب مؤلف من ٤٧ سنداً و٢٥ صفحة كبيرة، بطلان هذا المجمع"(٩). وردّ مجمع الايمان على رسالة المشايخ الخازنيين، برسالة تعد بوضع

حدّ "للضيّقات" التي تلمّ بهم.

وبعد أخذ وردّ، عاد البطريرك الى جبل لبنان في حزيران سنة ١٧٨٢. ولدى وصوله الى صيدا أبلغ الرهبان الفرنسيسكان رسائل من الكرسي الرسولي تطلب بعض الاعترافات، وتوقيعها، وإعادتها، وهي مؤرخة في ٢٩ ايلول سنة ١٧٨١، فتعجّب غبطته لتأخير تسليمها إليه، وقصد الأمير يوسف في دير القمر فرثى الأمير لحاله، واجاب طلبه لجهة وجوب طلب حضور بطريركي الأرمن الكاثوليك، والروم الكاثوليك، وقضاة متنزّهين لإعادة استجواب الراهبة هندية، في دير القمر. وكتب بطريرك الروم الكاثوليك رسالة بيّن فيها التجنّي على البطريرك، ووجهها الى الكرسي الرسولي في ٣٠ تموز سنة ١٧٨٢. وبعدها أرسل المجمع المقدّس القاصد الرسولي السابق موروته، بعد أن رفعه الى درجة الاسقفية ليعيد درس القضية، وحمّله رسائل الى الاساقفة، والى أمير لبنان يوسف شهاب من قداسة البابا بيوس السادس، فجعل الخوري يوسف التيّان كاتماً لأسراره، واوفده من قبله الى لبنان ليمهّد له السبيل. فما كان من الأمير يوسف ومدبّره سعد الخوري إلاّ أن دبجّا رسالتين جوابيتين على رسائل قداسة البابا يظهران فيها براءة البطريرك، وتظلّم المدبّر البطريركي مخايل الخازن له. وردّ قداسته برسالة حمّلها لقاصد جديد عنه الاسقف أنوش يبرئ فيها البطريرك ممّا نسب اليه، ويعيده الى كرسيّه وصلاحياته في ٢٨ ايلول سنة ١٧٨٤. وابلغ الكردينال انطونللي، رئيس المجمع المقدس المدبّر مخايل الخازن أوامر قداسته بإعادة البطريرك، و"بالبراءة التي أصدرها بهذا الخصوص، وتتضمّن ١٦ بنداً، أبرزها: حصر الابرشيات بثمان فقط، وبتعيين نائبين للبطريرك يعاونانه في إدارة البطريركية، وبتحويل دير بكركي وأرزاقه، حيث كانت تقيم الراهبة هندية الى الطائفة المارونية، وبجمع كتب هذه الراهبة، بعد فصلها وزميلتها كاترينا، الى ديرين منفصلين، وبإقامة البطريرك في دير قنوبين"، وغيرها من الأمور. ويعود الفضل في الوصول الى هذه النتيجة الى مندوب البطريرك الخوري يوسف التيان الذي نجح في إقناع المجمع المقدّس بصحة تصرّفات البطريرك، مما دفع الكرسي الرسولي الى تحميله الرسائل والبراءات التي أعادت الحقّ الى نصابه، والعودة الى دير غوسطا في كسروان حيث كان يقيم غبطته، فتمّ

الاحتفال بوضع حدّ لهذه القضية التي استمرّت تشغل الطائفة، وحكام البلاد نحو سبعة عشر عاماً، وزرعت الشقاق بين الشعب والأساقفة. وكان الانتهاء على الوجه الذي ذكرنا من هذه القضية في ١١ شباط سنة ١٧٨٥.

وكانت فرحة البطريرك المغلوب على أمره، يوسف الغسطاوي كبيرة يوم تسلّم براءات إعادته الى كرسيّه وتبرئته مما وصم به، فصاح بالسريانية ما معناه: "إفتح يا لبنان أبوابك التي أُقفلت في وجهي".

وتوالت رسائل الشكر الى الكرسي الرسولي من مشايخ آل الخازن، وفيها يلاحظون أن عدوّ البطريرك هو المدبر مخايل الخازن. كما كتب البطريرك الغسطاوي، والامير يوسف شهاب، رسائل مماثلة شاكرين التدابير المتّخذة لأعادة الاحوال الى طريق الصواب.

واول عمل قام به البطريرك إثر عودته الى كرسيّه هو عقد مجمع طائفي في كنيسة عين شقيق، بالقرب من وطا الجوز في كسروان في ٦ ايلول سنة ١٧٨٦ حضره الأساقفة والمشايخ والاعيان، وكبار رجال الدين. وأبلغت مقرراته الى الكرسي الرسولي. وأبرز ما جاء فيها: إصلاح بعض الامور الكنسية التي رأى الكرسي الرسولي في قسم منها إجحافاً بحق الاساقفة وصلاحياتهم، فلم يثبتها. واضطرّ البطريرك لعقد مجمع آخر في بكركي في ٣ كانون الاول سنة ١٧٩٠ اعتبر من أهم المجامع الطائفية المارونية، بعد المجمع اللبناني. وأهم ما جاء فيه: جعل بكركي مقرّاً بطريركياً، ووجوب التشدّد في تطبيق مقررات المجمع اللبناني.

## تعيين الشيخ غندور سعد الخوري قنصلاً لفرنسا في بيروت

ولما كان مدّبر الامير يوسف الشيخ سعد الخوري قد توفي في عكا، فقد رفع البطريرك التماساً الى البلاط الفرنسي لتعيين إبنه الشيخ غندور قنصلاً لفرنسا في لبنان، فاستجيب طلبه، واصدر الملك لويس السادس عشر مرسوماً يقول فيه: "ان جدّنا وسلفنا السلطان المعظم، والسعيد الذكر، اقتداء بسلفه وجدّه المظفّر، قد انعطف لمنح حمايته الملوكية للبطريرك والطائفة المارونية، وشرّف أيضا بقنصلية فرنسا على مدينة بيروت بعض أشخاص من هذه الطائفة، ولأجل توسّلات

الاكليروس والأعيان، قد صدرت عواطفنا بإظهار ميلنا العظيم نحوهم، وحمايتنا لهم، مانحين شرف قنصلية فرنسا في بيروت لحضرة الشيخ غندور سعد الخوري، أخصّ أعيان هذه الطائفة المارونية، وصاحب الغيرة الفعّالة في خدمتنا، وخير رعايانا ونجاحهم... وبواسطة هذه القنصلية يحصل، ويملك، ويباشر، مدّة أيام حياته، مستمراً على تلك الشرافة، والمقدورية، والتقدّم والاختصاصات التي يتمتّعون (يتمتّع) ويتصرفون (يتصرّف) بها القناصل الفرنسيون في مدن الشرق..."(١٠). وقد أرّخ هذا القرار في الرابع من آب سنة ١٧٨٧.

كما حوّل البطريرك يوسف اسطفان، بعد عودته لممارسة صلاحياته البطريركية، دير عين ورقة الى مدرسة سنة ١٧٨٩، فغدت منارة من منائر العلم اللبنانية، وأشهر مدارس عصرها. وكان هذا التحويل بإشارة من القنصل الشيخ غندور الخوري. وجعل رئيس الدير المذكور أحد ابناء اسرته الأب جرجس اسطفان أسقفاً على بيروت، ثم خلفه في رئاسة الدير المذكور الاسقف يوحنا اسطفان إبن شقيقه الذي تخلّى بدوره عن رئاسة الدير لابن شقيقه الأسقف والبطريرك يوسف اسطفان.

## وفاة البطريرك يوسف اسطفان

وبعد جهاد طويل، صارع فيه البطريرك يوسف اسطفان المرض من جهة، وحسّاده واعداءه من جهة ثانية، توفي في ٢٢ نيسان حسب الخوراسقف داغر سنة ١٧٩٣ في دير مار يوسف الحصن وفيه دفن (١١). وحسب المطران الدبس في "تاريخه" كانت وفاته في ١٢ نيسان من العام نفسه. وهكذا انضمّ رفات البطريرك الكبير الى رفات أجداده، وابناء بلدته في مسقط رأسه غوسطا، تاركاً بعده عدداً كبيراً من المؤلفات حول قداسة مار يوحنا مارون، والمحاماة عن الموارنة، ورسالة في تربية الاولاد، والرتب والمقالات الكنسية، وغيرها من المؤلفات التي تعنى بالأمور اللاهوتية والفلسفية، مما يضعه في مصاف كبار البطاركة الموارنة.

## مدرسة عين ورقة والازدهار الثقافي والنسكي

من أهم، وأقدم، واعرق المدارس الوطنية في الطائفة المارونية، مدرسة عين

ورقة التي أسسها البطريرك يوسف اسطفان الغسطاوي سنة ١٧٨٩ في دير عين ورقة الذي بناه القس خير الله اسطفان سنة ١٦٩٠. ثم جدّد بناءه عندما صار اسقفاً باسم جرجس بعدما خرّبته العاديات، وأقامت فيه الراهبات. واعتبر هذا الدير وقفاً خاصاً بأسرة اسطفان الغسطاوية. وعندما أوقف نابوليون بونابرت مدرسة روما المارونية لخلافه مع قداسة البابا سنة ١٧٨٩، وحوّلها الى ملكية جمعية محليّة، ربما نكاية بالموارنة وامير لبنان بشير الثاني الذين تلكأوا عن نجدته عندما كان يحاصر عكا، فحوّل البطريرك يوسف اسطفان هذا الدير الى مدرسة لتحلّ محل معهد روما المذكور تلبيةً لحاجات الطائفة الى كهنة متعلّمين، وذلك بتشجيع من الشيخ غندور سعد الخوري، قنصل فرنسا في لبنان الذي بعث برسالتين موجّهتين الى البلاط الفرنسي (١٢). وكان البطريرك اسطفان، كما أشرنا سابقاً، قد بعث هو الآخر برسالة الى الملك الفرنسي لويس السادس عشر سنة ١٧٨٧ مطالباً بإعطاء منصب قنصلية فرنسا في بيروت الى الشيخ غندور المذكور. ثم عهد البطريرك بإدارة هذه المدرسة الى إبن اخيه المطران يوسف اسطفان. وبفضل الاهتمام الكبير الذي منحه أعيان الطائفة لهذه المدرسة، ازدهرت كثيراً، وكان لها الفضل الأول في رفع المستوى الثقافي لدى رجال الدين الموارنة الذين نقلوا بدورهم معارفهم الى الشعب الماروني وطلاّبه في كافة المناطق، وفي وقت كانت فيه المدارس تكتفي بتعليم القراءة والكتابة وقليل من الحساب تحت سنديانة القرية، بجوار الكنائس والجوامع. راحت مدرسة عين ورقة تخرّج عشرات المتضلّعين في اللغات العربية، والسريانية، واللاتينية، والعلوم، والفنون، من نصارى لبنان وسوريا.

وتناوب على رئاسة مدرسة عين ورقة عدد من الأساقفة الأجلاّء في طليعتهم البطريرك يوسف اسطفان، وابن شقيقه الاسقف اسطفان، والاسقف يوسف رزق الجزيني الذي زاد على بنيانها، ووسّع كنيستها. ثم الخوري يواكيم اسطفان، والخوري بولس اسطفان... وكبار رجال الفكر والدين. وأبرز البطاركة الذين خرّجتهم هذه المدرسة: يوسف حبيش، يوسف الخازن، بولس مسعد، ويوحنا الحاج، والاساقفة: عبد الله البستاني، بطرس بوكرم، جبرائيل الناصري، يوسف رزق، نقولا

مـراد، يوسف جـعـجع، يوسف المريض، يوحنا حـبـيب، بطرس البـسـتـانـي، يوسف مسعد، نعمة الله سلوان، يوسف الدبس... وغيرهم.

ولم يقـتصـر عمل هذه المدرسة على تـخريج رجال الدين، بل فـتحت أبوابها للعلمانيين، فاشتهر منهم المعلم بطرس البستاني، وأحمد فارس الشدياق، والشيخ بشـارة الخوري، وشـاهين المزرعـاني. وغيـرهم، بالاضـافة الى كـهنة كبـار، أمـثـال: يوسف الرزي، يوحنا الصـائغ، ويوسف الفـاخوري وسـواهم، ممّن لا يتسـع المجال لذكرهم جميعاً.

وفي القـرنين السـابع والثـامن عـشـر نشّطت الارسـاليـات الأجنبـيـة دورها، وأخذت توسّع نطاق مـدارسـهـا، وتعمّـمـهـا على كافـة المناطق اللبنانية. كمـا نشط الكرسـي البطريركي بدوره في مطلع القرن التـاسـع عشـر، وفـتح عـدة مـدارس في مناطق اخرى من لبنان، وكان أبرزها مدرسـة يوحنا مارون كفرحي، ومدرسة سيدة النصر كفيفان.

وهكذا بعـدمـا انتشـرت في لبنان مـدارس الفـرنسـيسكان، اول الارسـاليـات الأجنبية التي دخلت في عـهد الصليبيين، ومدارس الكبوشيين الذين أتوا بعدهم في اواخر القرن السـادس عشر، واليسوعيون الذين أمّوا لبنان في مطلع القرن السابع عشر وكانوا أكثر المرسلين اهمية على الصعيد الثقـافي والتعليم الجامـعي العالي، وخاصة على صعيد الطبّ والاستشفاء، واللعازاريون، ثم أقبل المرسلون الاميركيون الذين راحوا يزاحمون اليسوعيين في نطاق التعليم العالي والعلوم الطبية والطباعة ونشر الكتب. كما ازدهرت الحياة النسكية في هذه الفترة حتى لقّب لبنان من قبل المستشرقين "بجبل النسّاك والقديسين"، وسمّاه العرب "بجبل الاولياء والابدال". وعـاد الى قنوبين والوادي المقـدّس إزدهارهمـا النسكي، وراح يؤمّـهـا اللبنانيـون والأجـانب للخلود الى هدأة وسكينة الوادي المقـدّس حـيث الاتّصـال بالله أمـتـع وأسـهل. وكـان دخـول أربعـة فـرنسـيين في العـام ١٦٦٨، هو المظهـر الاول لازدهار الحركة النسكية في لبنان، بعد انقطاع دام عدة قرون بسبب وقوع البلاد تحت حكم المماليك والعثمانيين. وقد اوصت البطريركية المارونية "بتكريمهم كما لو كانوا من اولاد الطائفة واكثر" (١٣). وكان اشـهرهـم الفرنسـي غالوب دي شاسـتويل الذي دخل

لبنان سنة ١٦٣٢ واستحبس في دير حوقا، ثم انتقل الى دير مار يعقوب الحباش في إهدن، ومنه انتقل الى دير مار سركيس الراس في عهد البطريرك عميرة. وأخيراً استقرّ في دير مار ليشع في وادي قاديشا "فعمل المعجزات، وتنبّأ عن المزمعات"(١٤).

وقد انضمّ بعض اللبنانيين الى المرسلين الفرنسيسكان، وأبرزهم الأب جبرائيل بن القلاعي المؤرخ الشهير بزجليته. وأشهر اديارهم: دير المخلّص في بيروت، ودير في طرابلس. وفي العام ١٦٤٣ دخل راهب كرملي هولندي الى بشرّي وأقام في دير مار ليشع، ثم تبعه كرمليون فأسّسوا على غرار الكبوشيين مدرسة زاهرة في طرابلس لا تزال الى أيامنا الحاضرة. والى جانب هؤلاء المرسلين، قامت عدة جمعيات اخرى محلية وطنية، وأجنبية، بفتح المدارس والمياتم، وبناء الكنائس والأديار، وانضمّ إليها الكثير من الشبان اللبنانيين بقصد التحصيل العلمي، وبقي بعضهم في سلك الإكليروس، حتى كثر اعداد اللبنانيين في الجمعيات والرهبانيات الأجنبية، فتولّوا رئاستها وإدارة شؤونها فتلبننت، وإن احتفظت بأسمائها الأجنبية. وكان لدخول مطبعة دير قزحيا سنة ١٦١٠ على يد خرّيجي روما من الاكليريليين الموارنة، ثم دخول المطبعتين الاميركية واليسوعية في اواخر القرن الثامن عشر، تأثيره البالغ، الى جانب عمل الجمعيات والأديار، والمدارس، في بعث نهضة ثقافية شاملة انطلقت من لبنان، وعلى ايدي اللبنانيين الى الدول العربية والشرقية المجاورة، فجعلت لبنان منارة تستضيء بها كل الشعوب في البلدان المجاورة.

ولبنان الذي عانى كونه كان ممّراً للغزاة في هذا المشرق، لم يسلم من المعاناة بفضل كونه ممّراً للتيارات الفكرية والثقافية للبلدان الأجنبية المتضاربة المصالح والوسائل والاهداف. واليوم بعدما تلبننت هذه المؤسسات الثقافية، ورغم قطعها صلاتها بدولها، فقد تركت بصماتها في نهج خرّيجيها وتفكيرهم وتربيتهم، فتعدّدت الاتجاهات السياسية داخل المجتمع اللبناني، وتعارضت الأهداف، وطرق العمل، والولاء الوطني، ممّا شكل خطراً على وحدة الصف اللبناني، وسلامة الكيان والهوية.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول في نهاية هذه اللمحة السريعة حول

الانطلاقة الثقافية في القرن الثامن عشر، أن الارساليات الأجنبية، هي كالامتيازات الأجنبية التي مُنحت لدول الغرب في أيام المماليك، قد ساهمت الى حدٍّ كبير في إرساء النهضة الحضارية والتقدّم، لكنها في الوقت ذاته زعزعت الولاء الوطني، والوحدة الوطنية، وشرذمت الميول والتطلّعات، فتضاربت المصالح، والأهداف والمبادئ، والارتباطات السياسية والفكرية. ورغم توزيعها بذور التحرّر والثورة على الاقطاع، عملاً بشعائر الثورتين الفرنسية والاميركية، إلاّ أن الاقطاعية اللبنانية بقيت سليمة تفعل فعلها، وتقود المجتمع اللبناني نحو مزيد من التمسّك بالعائلية والعشائرية، على صعيد الارتباط السياسي، وتوزيع المناصب العليا في البلاد، بانتظار نقلة نوعية جديدة، في الجيل القادم على يد حملة المشاعل الحضارية في هذا الشرق، ونعني بهم موارنة لبنان.

# ٦ ـ طرد الحماديين من الشمال وتوزيع الاملاك على الاديار والفلاحين

## انتهاء الوجود الحمادي في الشمال على يد الامير يوسف شهاب ومدبّريه المارونيّين

في تاريخ لم يحدّده المؤرخون بالضبط، ونعتقد شخصياً انه في العام ١٧٧١، وجّه الأمير يوسف شهاب حملة لتأديب بني حماده الشيعة، ملتزمي بلاد جبيل والبترون، وبعض مناطق الشمال، بسبب تمنّعهم عن دفع الضرائب المترتّبة عليهم، وتعدياتهم المتواصلة على الفلاحين الموارنة في مقاطعاتهم، وكان آخرها تعدّيهم على الأمير بشير شهاب الملقّب بالسمين، عم الأمير يوسف، ووكيله على مقاطعة بلاد جبيل والبترون سنة ١٧٧١.

قاد الأمير يوسف الحملة بنفسه يرافقه مدبراه سعد الخوري وسمعان البيطار، على رأس جيش من المغاربة. وقد انضمّ الى المهاجمين أهالي منطقتي جبيل والبترون، وبعض موارنة الجبل واعيانهم. وبالوصول الى بلاد جبيل توجّه الأمير يوسف برفقة مدبّره الشيخ سمعان البيطار نحو جبّة المنيطرة حيث للحماديين مقرّات في أفقا ووادي علمات وصولاً الى ميفوق صيفاً، وجران في بلاد البترون شتاءً (١). فيما توجّه الشيخ سعد الخوري على رأس القسم الآخر من الحملة نحو الساحل باتجاه ساحل البترون. وراح الحماديون يفرّون من طريقه مهزومين حتى وصلوا الى القلمون، حيث أدركهم، وكانوا بحدود الألف شخص، فقتل شيخهم وزعيمهم أبا نصر حماده، ونحو مئة شخص منهم، فتدخل أهل

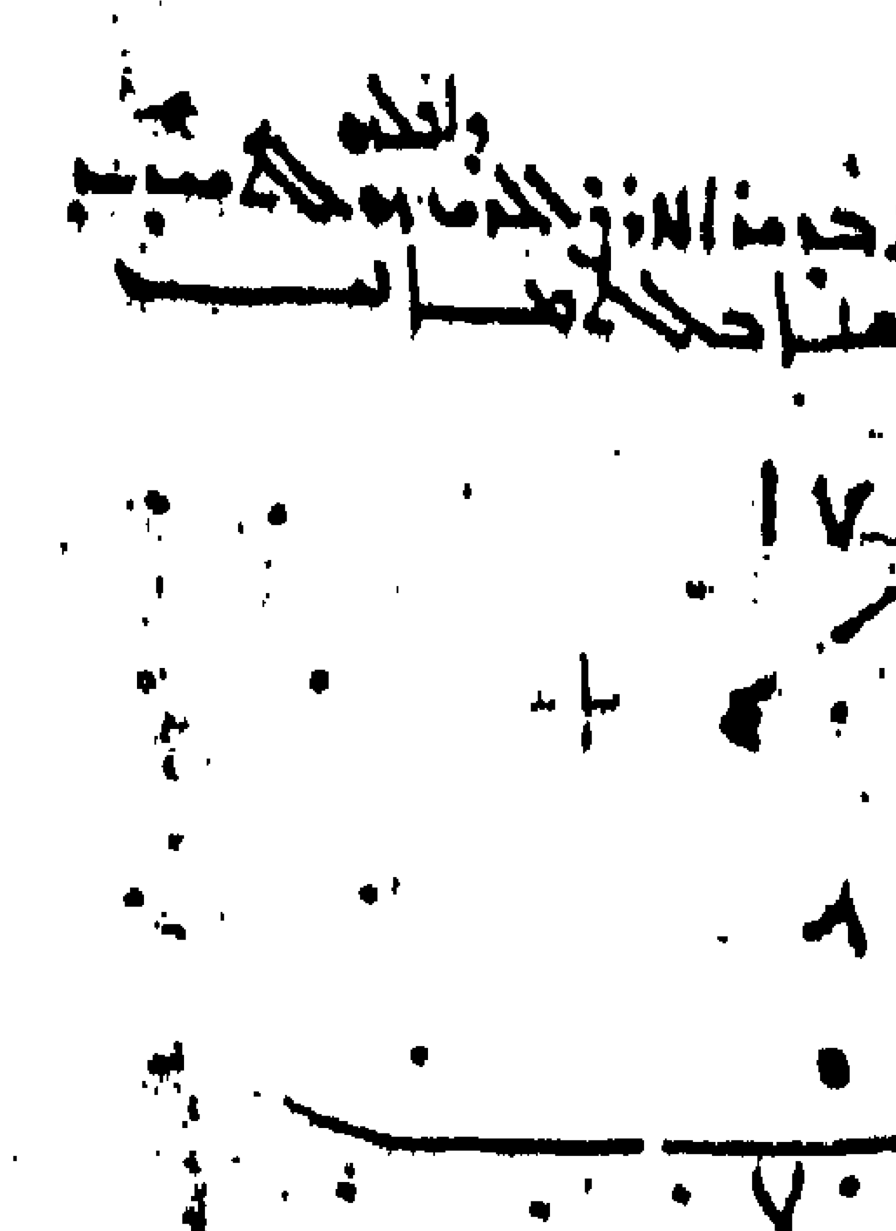
القلمون متشفّعين ومسترحمين الشيخ سعد ليكفّ عن قتالهم مكتفياً بقتل من قتل وسجن من سجن، وترك الاخرين يفرّون الى الهرمل للانضمام الى عشيرتهم الحمادية هناك، متعهّدين بعدم الرجوع بعد اليوم الى هذه المناطق. وقد أتى على ذكر هذه المعركة الأمير حيدر شهاب في كتابه "الغرر الحسان"، وجعلها تتمّ في العام ١٧٧١(٢).

وعاد الشيخ سعد الى افقا حيث كان ينتظره الأمير يوسف برفقة الشيخ سمعان البيطار للتداول بشأن المقاطعات المحرّرة ، حيث تمّ الاتفاق على توزيعها بين الفلاحين الذين شاركوا في الزحف، ومن يشاء غيرهم من فلاحي الجبل، بأسعار رمزية، بالاضافة الى إعطاء حصص لا بأس بها للرهبان القاطنين في اديار منطقتي جبيل والبترون، فنال دير ميفوق، وكفيفان وحوب حصة الأسد منها، بالاضافة الى أهالي قرى بجّة، معاد، غلبون، فغال، وسواها من قرى جبيل والجبل(٣).

وقد استقرّ الشيخ سمعان البيطار لاحقاً في مزرعة بسبينا من بلاد البترون، حيث أخذ يملّك الفلاحين الاراضي المتروكة عن الحماديين في بلادي جبيل والبترون، نيابة عن الأمير يوسف، ولدينا الكثير من هذه الصكوك، ولا سيما في دير كفيفان وميفوق وحوب. وكادت الأديار تتحوّل بفضل هذه الاملاك، على حدّ تعبير الأب لامنس الى "مستعمرات رهبانية"، و "تمتلك آلاف الهكتارات من الاراضي، وتصبح أكبر قوّة إقتصادية في جميع المجالات" (٤).

ولولا مساعدة الأمير يوسف، والشيخين سعد الخوري وسمعان البيطار، لفلاحي هذه المناطق لأفرغت من سكانها بسبب عزم الفلاحين، وكافة المواطنين فيها على الهجرة، هرباً من تعدّيات الحماديين.

اما الخوري بولس روحانا (من مسرح البترون) فيحاول تبرئة الأمير يوسف من تهمة اغتصاب المقاطعات الحمادية بسرد قصة تفيد أن "الشيخ منصور حماده تنازع مع أنسبائه على الحكم فصمّموا على اغتياله. ولكنه شعر بذلك، ففرّ الى وادي شحرور مستغيثاً بالأمير يوسف شهاب، ومستنصراً إياه عليهم. وعرض عليه



حجة حكر دير كفيفان (من أرشيف الدير - بالكرشونه).

بيع حقوقه بالحكم في المقاطعة التي انتزعوها منه، وهي جبيل والبترون والجبّة. فقبل الأمير منه ذلك. واستكتبه صكّاً موقّعاً بإمضائه. وعلى الاثر جرّد الأمير عسكراً لمحاربة الحماديين، وانتزاع الايالة منهم. وكان النصر حليفه. فاستظهر عليهم، وقبض على ٣٥ شيخاً منهم واعدمهم شنقاً..." (٥).

وعلى أثر هذه المعركة شهدت بلاد جبيل، وكافة قرى الجبل، حركة نزوح هائلة باتجاه المقاطعات التي كانت بيد بني حماده. وأكبر تلك النزوحات أربعة:

### ١ ـ النزوح المعادي

بعد تهجير الحماديين سنة ١٧٧١ عبر الفلاحون الموارنة وادي حربا والمدفون، الفاصل بين بلادي جبيل والبترون، باتجاه الضفة المقابلة من الوادي المذكور، من معاد في بلاد جبيل الى راشانا، غوما، جران، مراح الزيات، سغار، جريتا، بالاضافة الى العلالي كفيفان، البترون، الكورة، بشرّي، عكار... عدا القرى الجبلية والكسروانية وحيث قطن الفلاحون التابعون للحماديين. ثم انطلق المعاديون من هذه القرى باتجاه كافة المناطق اللبنانية الأخرى.

### ٢ ـ النزوح البجّاني

أما أهالي بجّة، فقد استفادوا أيضاً من تهجير الحماديين، وانطلقوا الى الجانب الآخر المواجه لبلدتهم من وادي المدفون، حيث استقرّوا في تولا، ضهر ابي ياغي، حدتون، مارماما، دريا، شبطين، العلالي، أصيا، كفيفان، بقسميّا، وسواها من قرى بلاد البترون، وصولاً الى بقية المناطق اللبنانية الأخرى.

### ٣ ـ النزوح الغلبوني

اما الغلبونيون، فقد انطلقوا من قريتهم غلبون في بلاد جبيل الى جهات مسرح، الدوق، مار ماما، اجدبرا، كفيفان، البترون، بسبينا، من بلاد البترون، وغيرها من المناطق والقرى، وصولاً الى بقية المناطق اللبنانية.

### ٤ ـ النزوح الفغالي

ومن قرية فغال في بلاد جبيل القريبة من ساحل البحر، والمشرفة على وادي

المدفون، انطلق الفغاليون، وانتشروا في المناطق الساحلية المقابلة لبلدتهم، في البترون وكفر عبيدا وسلعاتا، وتحوم، ومراح شديد، وصولاً الى وادي شحرور وبدادون، وغيرها من القرى اللبناية.

وبالاضافة الى الاسر المذكورة التي اصبحت اليوم تعدّ عشرات الالوف من المواطنين، بينما لا يزيد سكان قراهم الاصلية، ومسقط رأسهم، على المئات، هناك افراد وجماعات من أسر مختلفة أمّت كافة مناطق الشمال، من غوسطا، وجاج، وقرطبا، وترتج، وحاقل، ولحفد، والعاقورة التي يعدّ النازحون منها فقط نحو الثمانين بالمئة من الشعب الماروني. وعلى سبيل التوضيح، فهذه الاسر التي ذكرنا مواطنها، كلّها انتقلت في نزوح اول الى قرى معاد وغلبون وفغال وبجّة من العاقورة، ناهيك عن اسر من هذه البلدة ومن غيرها، تركت انتماءها الديني الأساسي، واعتنقت مذاهب مختلفة بحيث نجد الهاشمي العاقوري الماروني، والهاشمي المسلم في الجنوب او بيروت او البقاع. وهكذا قل عن الشهابي او الحربي، او النجمي، أو غيرهم من العائلات التي تنتمي الى مختلف الطوائف اللبنانية. فقلّما تجد اليوم بلدة في لبنان، او طائفة من طوائفه، ليس فيها حربيون اصلهم من تنورين، أو جاجيون. وهكذا دواليك، فما يصحّ قوله عن جاج وتنورين يصحّ أيضاً على بشري، والعاقورة، وغوسطا، وبسكنتا، وبكفيا، ومعظم القرى المارونية المنتشرة في جبل لبنان، وفي مدنه الساحلية والداخلية.

وقد نحت هؤلاء النازحون من الفلاحين، الصخور، ونقبوا الأرض، وشيّدوا الجدران، والبيوت المتواضعة، وسط هذه الجلول الضيّقة المتراكية في جبال البترون، وغيرها من الجبال والتلال اللبنانية. فكانوا يحملون زادهم وينطلقون صباحاً من قراهم الأصلية، الى القرى التي مُلّكوا فيها الاراضي، فيعملون بكدّ وجدّ لعزق الحصى، وتمهيد الأرض، وغرس كروم التين والعنب والزيتون والتوت، ثم يعودون مساء الى مساقط رأسهم، حتى تمّ لهم إنشاء البيوت والمزارع والقرى والحقول، الصالحة للسكن، وفيها تزوّجوا وربّوا العيال، وتكاثروا، وانتشروا منها، في المناطق الأخرى، وفي بلاد الاغتراب، تارة طوعاً، وبارادتهم، ومراراً كثيرة رغماً عنهم، إما بتهجيرهم من قِبَل الامم الغريبة، وقد شاهدنا نماذج من التهجير

[illegible]

وثيقة عماد أولاد فدعوس (بالكرشونه) - (من ميشال فدعوس: دفتر الخوري بطرس خيرالله).

المملوكي إبّان فتح كسروان، او بسبب جرائم يقترفها افراد من هذه الأسر فتصدر الاحكام بحقّهم نفياً الى مناطق أخرى، أو عن طريق حكام ظالمين، وملتزمين طغاة لا يرحمون، فيضاعفون عليهم الضرائب، ويمعنون بالتعدّي عليهم، وعلى حرماتهم، وممتلكاتهم، حتى يجبروهم على الهجرة والرحيل. إنه قدر اللبناني، وخاصة إبن القرية اللبنانية، أن يحمل بيته على ظهره، ذوداً عن كرامته وحريّة العمل والرأي والقرار. وما همّ، فحيثما حلّ وارتحل، ملك البيوت والاملاك والمؤسسات، فبزّ المواطنين الاصليين علماً وثروةً وجاهاً.

## ● ٦٣ - البطريرك الثالث والستون مخايل فاضل البيروتي (١٧٩٣ - ١٧٩٥)

بعد وفاة البطريرك يوسف اسطفان الغسطاوي، تأخّر انتخاب خلفه الاسقف مخايل فاضل البيروتي بطريركاً، بضعة أشهر بسبب تفشّي الطاعون في كسروان، وعدم تمكّن الأساقفة من الاجتماع في بكركي. كما تأخّر طلب درع التثبيت للسبب ذاته. وتمّ انتخاب الاسقف مخايل فاضل، اسقف بيروت، بطريركاً في ١٠ ايلول سنة ١٧٩٣.

ولما كان الطاعون قد تفشّى في كسروان، فلم يستطع ممثّل البطريرك مخايل فاضل، الخوري جرجس غانم السفر الى روما، والمثول في حضرة البابا، وتسليمه اوراق الانتخاب، إلاّ بعد وفاة البطريرك في ١٧ ايار سنة ١٧٩٥، ودفنه في دير حراش كسروان. وهذا ما جعل قداسة الحبر الاعظم، بيّوس السادس، يقول عند تسلّمه اوراق الانتخاب بحضور الكرادلة في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦، ما ترجمته عن اللاتينية "بما أن غيَر الزمان لم تسمح لنا بمنحه درع التثبيت، وهو حيّ، نمنحه إيّاه وهو ميت، ونريد أن يحصى في عداد بطاركة الموارنة، ولو حرمته المنية من قبول زينة درع الرئاسة" (٦).

ورغم أن البطريرك مخايل فاضل لم يقض في البطريركية سوى سنة وثلاثة أشهر، إلاّ انه لُقّب "بكوكب الشرق" لغزارة علمه (٧). ومن اعماله أيضاً تسقيفه الخوري جرمانوس الخازن في عجلتون سنة ١٧٩٤.

● ٦٤ـ البطريرك الرابع والستون فيليبّوس الجميّل البكفيّاوي (١٧٩٥ ـ ١٧٩٦)

كان العام ١٧٩٥، كالعامين السالفين، مشؤوماً على الطائفة المارونية التي شهدت موت بطريركين خلال نحو سنتين، والثالث مات ايضاً بعد أقل من سنة. والبطريرك فيليبوس هو من أسرة الجميّل العريقة في بكفيا. شغل قبل انتخابه بطريركاً منصب اسقف قبرص. وتمّ انتخابه بطريركاً على كرسي "إنطاكية وسائر المشرق" في ١٣ حزيران سنة ١٧٩٥، في دير سيدة بكركي المقرّ المؤقت الجديد للبطريركية، عن طريق القرعة حسبما اتفق الأساقفة والاعيان الحاضرون. وكان ينافسه على السدّة البطريركية الاسقف يوحنا الحلو الذي كتب أتباعه الى الكرسي الرسولي عرائض احتجاج على طريقة الانتخاب فلم يكترث بها المجمع المقدّس. ولم يلبث البطريرك الجميّل أن توفي في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦، بعد عشرة أشهر من انتخابه. ووصلته هو الآخر براءة التثبيت بعد وفاته، على يد رسوله الأب ارسانيوس القرداحي، فتلقّاها بالنيابة عنه خليفته البطريرك يوسف التيّان في ٢٧ حزيران سنة ١٧٩٦. وكانت وفاة البطريرك الجميّل بسبب داء الفالج الذي داهمه في عجلتون. وقد تمّ دفنه في دير سيدة بكركي.

وكان البطريرك الجميّل قد تسلّم عدة رسائل من الكردينال جردل رئيس المجمع المقدّس في الكرسي الرسولي، تتناول مجمع بكركي، وعملية الانتخاب التي جرت فيه واعتراضات من المطرانين نجيم والحلو، خصمي الجميّل. وبانتهاء عهده، وبدء عهد البطريرك التيّان يبدأ قرن جديد آخر، حافل كسابقه، بالايلام والضيق على الموارنة ولبنان معاً، وهو القرن التاسع عشر، القرن الأشدّ اسوداداً وقهراً على الموارنة في تاريخهم الطويل وقد اقفلت صفحة القرن الثامن عشر التي فيها، على سوادها، إشراقات أمل على الصعيد الثقافي، والاصلاحات الكنسية المارونية، والتوسّع الماروني في امتلاك الأرض، وتبوّؤ المناصب، والقنصليات، والانتشار في كافة مناطق البلاد؛ حيث لم يشهد هذا القرن أي صراع بين الطوائف؛ بل على العكس من ذلك، كان الوئام سائداً بين الجميع، والتهافت على استخدام الموارنة كمدبّرين، وشركاء في الأملاك، على قدم وساق، بين امراء وشيوخ الطوائف

الأخـرى، مما دفع بـالكثـيـر من هؤلاء الحكام والاقطاعـيين الى التنصّر والتـمـورن فـزادت مكانة الموارنة وبطاركتـهم ومشايـخهم عـزّة وسـمّواً. وفي الصـفـحات التالية نلقي الضـوء على احداث القرن التـاسع عـشر، في الفـصل الثـالث من مـوسـوعتنا هذه، لنـعطي شـهـادةً جـديدة عن غنى وعظمـة الدور الماروني الكبـيـر في دفع لبنان والشرق إلى معارج التقدّم والازدهار.

# الفصل الثالث

## بطاركة القرن التاسع عشر
## و"العاميّات"

# ١ـ بطاركة القرن التاسع عشر والجزار والامير بشير الثاني

## الموارنة وإمارة الجبل اللبناني

في ترجمة لحياة البطريرك العلاّمة اسطفان الدويهي الصادرة في بيروت سنة ١٩١٣، يشير المطران بطرس شبلي، في معرض حديثه عن موارنة الشمال، الى طرد الحماديين سنة ١٧٧١ من قبل الأمير يوسف شهاب "أول أمير ماروني للجبل". وهكذا تتصل حلقة الحكم الماروني لهذا الجبل منذ "الملك يوسف في بداية الفتح العربي"، على حدّ ما جاء في مخطوطة دمشق لداود بن ابراهيم في العام ١٣١٣ التي اكتشفها البطريرك الدويهي، واعتمد عليها في كتابه "تاريخ الطائفة المارونية"، و"سلسلة البطاركة" الموارنة، منذ يوحنا مارون البطريرك الاول، الى آخر الامراء والمقدّمين المردة، يوسف العبدللي... إلى الشدايقة من بني يعقوب، مقدّمي فخر الدين الثاني الكبير الذي عمّده طبيب كبوشي، ومات شهيد وطنيته، وكاثوليكيته، معتمداً حتى نهاية عمره على كبير مشايخ الموارنة ومدبّريهم أبي نادر الخازن، الى الأمير يوسف المذكور "أول امراء الجبل الموارنة"، الى الامير بشير الثاني الكبير الذي مات بين يدي مرافقه الخاص الماروني، الخوري اسطفان، ولم يجرؤ على إعلان طائفته التي يقال انها، على غرار طائفة كل الشهابيين الذين أتوا الى الحكم، ومعظم الذين ظلّوا خارجه، هي مارونية صافية، بشهادة بابوات روما الذين وافقوا على استمرارها سريّة ومكتومة، كي لا يثير نقمة العثمانيين عليه، الى المتصرّفين الذين، وإن لم يكونوا موارنة لبنانيين، إلاّ أنهم كانوا مسيحيين حافظوا على سيادة

الموارنة على هذا الجبل المتواصلة بشخص رؤساء مجالس الادارة الموارنة؛ وصولاً الى رؤساء الجمهورية في عهدي الانتداب والاستقلال، وإن خرج بعضهم عن دائرة الاختيار الماروني لهم، إلاّ أنهم عملوا على استمرار "المارونية السياسية" قوية، ومتماسكة خدمة للبنان وللمسيحيين على السواء.

ونحن اليوم في أواخر القرن العشرين، ومع أن الموارنة في "عصرهم الذهبي"، بفضل إمساكهم بالحكم اللبناني من خلال رئاسة الجمهورية، وصلاحياتها، وباقي الموارنة الموزّعين في أعلى مناصب الدولة، هذه المارونية السياسية اليوم، قيد المحاكمة والاعتقال، فيما يسعى الغرب والكرسي الرسولي، لاخراجها من سجنها بكفالة، هذه المارونية السياسية اليوم التي حكم عليها العرب بالاعدام في محكمة "الطائف"، يحاول الموارنة استئناف حكمها هذا لدى الأميركيين والفرنسيين وبانتظار الحكم الغربي الجديد يبقى الخطر كبيراً على المارونية التي جُرِّدت من صلاحياتها ورتبها عدا الرتبة الرئاسية الشكلية غير الجوهرية، الأخيرة؛ فترى الى أين المصير؟

## الصراع بين امراء البلاد وتسلّم الامير بشير الثاني الحكم

تسلّم الحكم في مطلع القرن التاسع عشر رجل قوي الشكيمة، شجاع، بعيد النظر، طموح، مستبدٌ عادل، حازم متسلّط، إنه الأمير بشير شهاب الثاني الكبير. وكثرت في وجهه العقبات التي تمثّلت بأطماع ولاة صيدا وعكا، وأقربائه من الامراء الشهابيين، وخاصة الأمير يوسف واولاده، فوقع فريسة جشع الحكام الغرباء، واوقع شعبه وبلاده بالفقر والحاجة لفرط ما فرض عليهم من الضرائب الفادحة، وحمّلهم من الأثقال والمشقّات. ولعلّ سواد طالعه، كان في معاصرته لأحمد باشا الجزار والي عكا، الذي لا يُشبع نهمه الى المال والتسلّط شيء، أو يقف بوجهه دون طلبهما عائق.

وقع الأمير شهاب فريسة جشع الجزار، فراح يبتزّه، ويثير شهية الامراء اللبنانيين الآخرين الى الحكم حتى يتسنّى له مضاعفة المطالب والضرائب لتوليتهم الحكم، مما أثار الشقاق، والمجاعة، والثورات، في صفوف الشعب، وفي كافة أنحاء

البلاد. ومن فتن داخلية بين الشعب والحاكم، انتقلت البلاد الى حروب وثورات أهلية وحروب كانت الأخطر في تاريخها، لا سيما في أواخر أيامه، إذ أدّى به الانزلاق الى طلب الغرباء للاستقواء بهم، وعبثاً حاول البطريرك الماروني يوسف التيّان ثني الأمير عن نهجه، وإنقاذ الموقف. ولما فشل في وقف العذابات والقهر عن شعبه استقال من البطريركية كما سنفصّل ذلك في حديثنا عنه.

## ● ٦٥ . البطريرك الخامس والستون يوسف التيّان (١٧٩٦-١٨٠٩)

انتُخب اسقف دمشق الشاب يوسف التيّان، خرّيج معهد روما الماروني، إبن الستة والثلاثين عاماً، بطريركاً على الطائفة المارونية في ٢٨ نيسان سنة ١٧٩٦، فكان على حدّ تعبير قداسة البابا بيوس السادس في براءة التثبيت التي تسلّمها غبطته في ٢٤ تموز سنة ١٧٩٧ على يد ممثّله الأب لويس بليبل الراهب البلدي "شاباً في سنّه، وشيخاً في حكمته". وكان القاصد الرسولي بطرس دو مورّوته قد اختاره ليعاونه في مهمّته، وسافر وإياه من مرفأ ليفورنو في ايطاليا الى الاسكندرية في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٧٨٤. واشترط القاصد لدخوله الى لبنان ومباشرة عمله أن يحمل اليه معاونه التيّان العالي الثقافة، من بيروت وعكا وجبل لبنان، تصريح من حاكم البلاد والجزار وقنصل فرنسا تتعهّد بعدم التعرّض له بشيء. وعند وصوله الى لبنان، توجّه الى جبيل حيث قابل البطريرك الماروني وبعض الأساقفة، ومدبّر الأمير يوسف الشيخ سعد الخوري، وسلّمهم الرسائل التي بحوزته من الكرسي الرسولي والقاصد مورّوته، حول قضية البطريرك يوسف اسطفان، وفيها تلويم لكل منهم عمّا يجري في البلاد، فاستاء الحاضرون، وطلبوا اليه العودة الى روما مصحوباً برسائل توضح موقفهم من هذه القضايا التي أثارها المدبّر البطريركي الأسقف مخايل الخازن. ثم قصد التيّان بكركي، واجتمع بالمدبّر البطريركي، وأطلعه على ما يحمله إليه من رسائل وتوجيهات الكرسي الرسولي. وأثناء الاجتماع ورده خبر بأن المدبّر مورّوته قد انتقل من الاسكندرية الى قبرص هرباً من مرض الكوليرا الذي ضرب المدينة، فانتقل فوراً لمقابلته حاملاً معه رسائل المسؤولين اللبنانيين، والبطريرك المعزول. وسافر من قبرص الى الفاتيكان حيث اجتمع بالحبر الاعظم والكرادلة وسلّمهم ما معه من رسائل وتوضيحات، شارحاً ما عرفه من ملابسات

هذه القضية، فنجح في إقناع المسؤولين هناك بوجوب إعادة البطريرك الى مهامه لأنه بريء مما نسب اليه. وعاد الى البلاد، فاستقبل بحفاوة وفرح لنجاحه بمهمته، وسامه البطريرك يوسف اسطفان اسقفاً على دمشق في ٦ آب سنة ١٧٨٦، فدبّر الأبرشية لمدة سنتين ثم استقال ليحل محلّه المطران مخايل الخازن المدبّر الرسولي، وكُلّف أن يكون نائباً بطريركياً.

## نابوليون في حصار عكا والبطريرك التيان

وبعد انتخاب التيان بطريركاً، غادر القائد الفرنسي نابوليون بونابرت مصر متوجّهاً لاحتلال عكا. وكان الجزار قد حصّنها وامتنع فيها يساعده في الدفاع عن المدينة الاسطول الانكليزي المرابط قبالتها. وأثناء الحصار تبادل البطريرك والقائد الفرنسي عدة رسائل، تمّ على أثرها استنفار المتطوّعين الموارنة بقيادة الشيخ يوسف حمزه حبيش للدعم والمساندة "حبّاً بإخوتنا الفرنسيين، كما جاء في رسالة البطريرك التيان الى نابوليون، لا حبّاً بك أنت الذي اضطهدت الكنيسة الفرنسية"(١). وكان نابوليون أثناء هجومه على روما، قد اضطهد الحبر الاعظم، واقفل معهد روما الماروني بسبب طلاقه الذي لم يوافق عليه قداسته، بالاضافة الى ميوله العلمانية، وطمعاً بتوسيع الامبراطورية الفرنسية، وضرب أخصامها الذين تحالفوا ضد الثورة الفرنسية خوفاً من امتدادها الى بلدانهم، وقد وصل عدد المتطوّعين الموارنة الى ٢٥ ألف متطوع. وردّ نابوليون على رسالة البطريرك قائلاً: "أنا كاثوليكي أيضاً، وسترى أن الكنيسة ستنتصر بشخصي في الاراضي النائية...". وفي رسالته المؤرخة في ٢٠ آذار سنة ١٧٩٩ يقول الجنرال بونابرت للأمير بشير: "إن انتصاراتي هذه قد قضت على طغيان رجل وحشي (الجزار)، كان شراً على الجنس البشري، وعلى الامة الدرزية الشجاعة. وفي نيتي أن أحقق استقلال الامة الدرزية، وأخفّف الجزية المفروضة عليها، وأعيد اليها مرفأ بيروت والمدن الأخرى التي هي بحاجة اليها لتؤمن حرية تجارتها واتّساعها. وإني ارغب إليك أن تحضر شخصياً في أقرب وقت ممكن، او ان ترسل من ينوب عنك للاجتماع بي هنا أمام عكا، ووضع التدابير اللازمة لانقاذك من عدوّنا المشترك. وفي استطاعتك أن تعلن على جميع القرى الدرزية أن كل من يريد أن يحمل الى

جيشي المؤن، وخصوصاً النبيذ والعرق، ستدفع له أثمان بضائعه بكل دقّة..."(٢).

لكن الأمير بشير بحنكته، وبعد نظره، أدرك أن الانتصار على الجزار المحمي من الانكليز، ليس بالسهولة التي يتصوّرها القائد الفرنسي، فاكتفى بغضّ النظر عن القوافل التي كانت تنقل الى جيشه المؤن والمشروبات. وصدق حدسه، وفشل القائد الكبير في احتلال "العش" العكاوي، وتخريبه، على حدّ ما ذكر هو نفسه.

وفي رسالة الى الصدر الاعظم في ١٧ آب سنة ١٧٩٩ كتب نابوليون مراوغاً يقول: "إني لاتساءل عن العقول الخفية التي دفعت للاقتتال بين الباب العالي وفرنسا... لقد كان الباب العالي صديقاً لفرنسا لما كانت فرنسا دولة مسيحية، ثم ناصبها العداء، وشنّ عليها الحرب لما اصبحت، بفضل ثورتها وتحرّرها، أقرب الى الاسلام منها في الماضي... إن المسلمين ليسوا الاعداء الذين يطيب للجيوش الفرنسية أن تقابلهم بفنونها الحربية وشجاعتها، لكنهم الاصدقاء الذين ترغب في انضمامهم إليها لتقوم وإياهم في يوم ما، كما كان الأمر في الماضي، بطرد العدوّ المشترك (ويقصد الروس والانكليز)..." (٣).

ومن النموذج المذكور أعلاه، يتبيّن لنا النفاق السياسي على صعيد الدول التي تتخلى عن كل المبادئ والقيم التي تنادي بها لقاء مصالح وأغراض آنية استعمارية. ويكفي أن نقرأ ما جاء في رسالة مساعد الجنرال برون، سفير فرنسا في مصر جون مورير الشهير بأنه "صاحب خدعة الحرب"، بتاريخ ٧ تموز سنة ١٨٠١، وفيها يقول: "إن سكان المستعمرات مخلوقات أقرب الى الحيوان منها الى الانسان... وإذا بدا لنا الاحتفاظ بمصر يفوق طاقتنا، فعلينا أن ندمّرها، او نغرقها في الماء... ونكون قد قطعنا الطريق على مطامع دولة تزاحمنا (انكلترا)، ونخشى أن تستولي على مصر فتغنم ارباحاً تجارية لا حدّ لها...". وكان قد سبق مشروع تدمير مصر، مشروع استعماري آخر يعرف بمشروع البوكيركي القاضي "بتحويل مجرى النيل الى البحر الاحمر لتصبح مصر صحراء قاحلة فيموت أهلها جوعاً وعطشاً" (٤).

والامبراطور نابوليون الذي كان يطمع بتوسيع امبراطوريته، وجعل البحر

المتوسط بحيرة فرنسية، كان مستعداً للوصول الى أهدافه بتدمير أي عقبة تعترض سبيله، ولو اضطرّ الى إهلاك شعب بكامله.

ولم تنفع مؤن الأمير بشير وخموره الدرزية، ولا المتطوّعين الموارنة استطاعوا الوصول الى عكا لإنجاد القائد الفرنسي الصديق الذي تفشّى الطاعون في جيشه، واضطرته الاحداث الداخلية التي اندلعت في باريس للعودة الى بلاده خائباً مهزوماً. وككل مرة سيدفع لبنان ثمن حروب الآخرين في هذه المنطقة دماراً في أرضه وبلاء على شعبه.

غضب الجزار من الأمير بشير لأنه لم يهبّ لنجدته، وغضّ النظر عن المتطوّعين الحاملين المؤن من شيعة وموارنة لبنان للجيش الفرنسي. كما أغضب موقف الأمير القائد الفرنسي لغضّه الطرف عن السوريين العابرين في أرضه لنجدة الجزار.

ويعود الفضل في منع سقوط عكا، الى إقدام الجزار، وفعل الاسطول الانكليزي بقيادة الاميرال سميث الذي ما انفك يضرب الجيش الفرنسي بمدافعه من عرض البحر. وقد أشار الى ذلك الاميرال سميث في رسالة الى شقيقه سفير انكلترا لدى الآستانة الذي يفيد "أنه يخرج من سفائنه لادارة المدافع والهندسة دفاعاً عن بعض البلاد المهمة... وحضر مشايخ المتاولة وسلّموا لبونابرت مقاطعاتهم في بلاد بشارة. وجاء أيضاً الشيخ صالح بن ظاهر العمر وسلّمه بلاد صفد. وكان أهل لبنان قد سرّوا بمجيء الفرنساويين لعلّهم يتخلّصون من سلطة الجزار، فشرعوا يأتون إليه بالمأكل والمشرب... أما مشايخ الدروز وعقّالهم فرحلوا الى بلاد حلب، والجبل الأعلى، وجهات حوران، خوفاً من استيلاء الفرنسيين على عربستان... اما بونابرت فأعطى ابن ظاهر لعمر منشوراً بأن يكون متصرّفاً في بلاد أبيه. واعطى مشايخ المتاولة بلادهم، فساروا الى صور، وشرعوا يقدّمون الذخائر والمؤن الى الفرنسيين... وكتب الجزار أمراً الى الامير بشير يستدعيه الى نجدته، فاعتذر الأمير بخروج اللبنانيين عن طاعته، فاغتاظ الجزار وأضمر له الشرّ... وكتب بونابرت رسالة الى الامير بشير مخصوصة (خاصة) فلم يجبه. وكتب ثانية اليه، فوقعت الرسالة بيد متسلّم صيدا، فنقلها الى الجزار... فانشرح

صدره، وارتاح الى عمل الأمير، فكتب يشهره. وعلم بعد حين أن الامير يساعد عسكر الاسلام الواردة من الشام لإعانة عكا، ويعطيهم ما يلزمهم من الذخائر والزائد (الزاد)، فبعث يستنجده ثانية، فأجابه الأمير معتذراً كالأول فتجدّد غيظه..."(١).

وهكذا حاول الأمير بشير، بفضل دهائه، اللعب على الحبلين، فلم يردّ على رسالتي بونابرت، وغضّ النظر عن الموارنة الحاملين اليه الزاد والخمور، وذلك احتراماً لبطريركهم ومشايخهم الراغبين في ذلك. كما غضّ النظر عن السوريين الراغبين في مساندة الجزار، ومدّهم بالمساعدة. وكان ينتظر أن تميل الكفّة الى أحد الجانبين لينحاز اليه. لكنه لم ينجح في استرضاء الجانبين، وعلى العكس من ذلك حصد حقد الإثنين معاً: الجزار وبونابرت. وحاول استرضاء السرعسكر العثماني الاميرال ضيا باشا، بعدما رحل بونابرت عن أسوار عكا، طالباً توسّطه لدى الجزار، فنجحت الوساطة، وأرسل الى الأمير "خلعة الامارة، وقرر عليه إمارة جبل الدروز، ووادي التيم وبعلبك، والبقاع، وجبيل. وأمر بعدم مداخلة ولاة صيدا في جبل لبنان. وأن تتقدّم الأميرية من هذه المقاطعات، في كل سنة، راساً الى خزينة الدولة، من طرف حاكم الجبل، كما كان الأمر جارياً من أيام اولاد معن..." (٦).

وبالطبع، لم يتمّ إعطاء الأمير بشير هذه المقاطعات الواسعة مجاناً، بل مقابل ثمن باهظ، وبأموال مضاعفة عن السابق. ولتأمين المبالغ المطلوبة، اضطرّ الأمير مضاعفة الضرائب على الشعب، إذ في النتيجة الشعب هو الذي يدفع الثمن. وهذا ما دفع باللبنانيين، من كل الفئات والمذاهب، للتشاور والاتفاق على المقاومة، ورفض دفع هذه الضرائب المجحفة.

**انتقال مقرّ السلطة من دير القمر الى بيت الدين**

وبانتهاء العمل في تشييد قصر بيت الدين الذي انفق عليه الأمير بشير الاموال الطائلة، انتقلت الامارة من دير القمر الى بيت الدين، وقد وصف السائح الأب جيران قصر الأمير بالقول: "كان قصر بيت الدين الذي شيّد على الطراز المغربي بأعمدته الرشيقة، وسقوفه وجدرانه المحلاّة بالرسوم المذهّبة، وادراجه

الرخامية، وحرّاسه الزنوج المدججين بالسلاح، واسطبلاته الفسيحة، يضاهي على حدّ تعبير السائح داكين (J.B. D'AQUIN) "قصر الحمراء" الشهير الذي شيّده ملوك بني الأحمر في الاندلس" (٧).

وكان الأمير بشير حسب قول الشاعر الفرنسي لامرتين الذي زاره ونزل في ضيافته "يدين في آن واحد بكل الاديان، وينتحل جميع المذاهب، فهو مسلم مع المسلمين، درزي مع الدروز، ومسيحي مع المسيحيين. وما يؤكد ذلك وجود مسجد وكنيسة وخلوة في قصره. لذا فقد كان هذا الأمير، بنظره، يوحي لجميع الطوائف الخاضعة لسلطته بالثقة والاحترام" (٨).

## الضرائب وانواعها

كانت الضرائب التي فرضها الأمير بشير على مواطنيه فئتين: "مال الاعناق"، او "الفريضة"، وهي بمعدّل خمسة قروش سنوياً على العازب، وسبعة على المتزوّج، وتسعة على من يسكن في ضواحي بيروت. والثانية "الأموال الأميرية"، وكانت تفرض على العقارات وهذه الضرائب كانت تؤخذ من غير المسلمين، من العائشين تحت سلطة الباب العالي، وقد أضاف عليها المصريون ضريبة "الفروة" التي وصلت الى خمسماية قرش. وكان على الفقير المعدم أن يدفع بحدود الأربعين والخمسين قرشاً، حتى ولو بعد الموت. وهذه الضرائب تجنى تحت أسماء مختلفة، نحو ست عشرة مرة في السنة منها: البزرية، الطرح، الشاشية، الفردة... وقد بلغ مجموع هذه الضرائب سنوياً بحدود المليونين وستماية وعشرة آلاف قرش، تُجمع من ثمانية وخمسين ألف مكلّف، فيصيب الواحد نحو خمسة واربعين قرشاً سنوياً.

وهذا ما دفع الشعب للتذمّر، والقيام بعدة حركات عُرفت بالعاميّات، وكان أبرزها عاميّتي لحفد وانطلياس. والملفت للنظر أن الغرباء، وبينهم التجار الاوروبيون، كانوا لا يدفعون الضرائب.

## البطريرك التيّان والأمير بشير

بالرغم من رعاية البطريرك يوسف التيان للأمير بشير وشقيقه الأمير حسن، اللذين تربّيا في كنف الشيخ بطرس ابو نوفل الخازن (في غزير) صديق البطريرك

ويطلب منه لاعتذار الشيخ منصور الشدياق مدبّر والدهما عن ذلك، لم تكن العلاقات بين البطريرك والأمير بشير على ما يرام، بسبب ميل البطريرك، وغالبية الموارنة، الى الأمير يوسف الشهابي واولاده. وقد زاد هذا الميل ترسيخاً بعد الضرائب التي فرضها الأمير على الشعب برغم تقديم البطريرك النصح له بوجوب التخفيف عن كاهل الموطنين قبل الانفجار المحتمّ.

ويظهر أن الأمير بشير كان له نفس الشعور نحو البطريرك، ولا يكن له مودة صافية؛ لذلك استدعى القاصد الرسولي غوندولفي وطلب اليه إبلاغ البطريرك أنه لم يعد بوسعه الصبر حيال مواقفه العدائية، والمناهضة له. وردّ البطريرك على رسالة الأمير قائلاً: "قد بذلت ما بوسعي لأجل الاتفاق مع حاكم البلاد، فأشرت عليه بأن يصالح أبناء عمّه أولاد الأمير يوسف، فضرب بنصحي عرض الحائط، وكانت الحروب بينهما والفتن. ثم طلبت منه أن يعدل عن رفع قرش الميري الى ستة قروش، فلم يجب طلبي؛ فكانت الثورة المعروفة بعاميّة لحفد، فجرّت الخراب والدمار على البلاد. وتدخّل في الشؤون الروحية، فأحدث ذلك تشويشاً في الادارة حملني على إعتزام رفع عريضة الاستقالة الى الحبر الاعظم. وهذه عريضتي قد نظمتها منذ مدّة، أرجوك، موجّهاً كلامه الى القاصد الرسولي غوندولفي، الاسراع بإرسالها الى الكرسي الرسولي" (٩). وهذه النبذة موجودة في مخطوط الخوري بطرس الحكيّم أمين سرّ البطريرك التيان الى جانب اوراق كثيرة تتضمّن الكثير من أخبار البطريرك، ولا سيما وثيقة الصلح المعقود بين الأمير بشير ومدبّره جرجس باز بحضور وشهادة البطريرك سنة ١٨٠٠، ولكن لا الحضور ولا الشهادة اوقفت الأمير عن قراره بالتخلّص من مدبّره لأنه كبر واستعصى أكثر مما يقبل به الأمير.

### استقالة البطريرك التيّان

وقد تمّ بالفعل رفع استقالة البطريرك التيان الى الحبر الاعظم في ٣ تشرين الاول سنة ١٨٠٧ (١٠). وعبثاً حاول الاساقفة، برسائلهم المتواصلة، حضّ البابا على عدم قبول هذه الاستقالة التي أخّرها قداسته بعض الشيء لانتخاب خليفة له، على الرغم من الخلاف الذي كان قائماً بين البطريرك وبعض الأساقفة، وربما هذا ما دفع غبطته لتقديم إستقالته أكثر مما دفعه خلافه مع الأمير بشير، او للسببين معاً.

وبعد سبعة أشهر دعا القاصد الرسولي لانتخاب خليفة للبطريرك المستقيل، فتمّ إختيار الاسقف يوحنا الحلو سنة ١٨٠٩ الذي ثبّته الحبر الاعظم في ١٩ كانون الاول سنة ١٨١٤ مشيراً في براءة التثبيت الى "تنزّل البطريرك التيّان برضاه من البطريركية، كما ظهر لنا من رسالته، ورسالة الابن الحبيب غندولفي القاصد الرسولي" (١١).

## إقامة البطريرك التيّان في كفرحي

بعد استقالته من البطريركية، وهي ليست المرة الاولى بين البطاركة، وعودته من زيارة للقدس، انتقل للإقامة في دير مار يوحنا مارون كفرحي، حيث يقيم شقيقه من أمه، أسقف البترون جرمانوس ثابت. وكان البطريرك التيّان قد سام الاسقف ثابت على هذه الابرشية، واسقفها بولس اسطفان لا يزال حيّاً، فأبطل الكرسي الرسولي هذا التعيين الذي قاومه الأمير بشير بشدّة، فازدادت العلاقة بينهما تأزّماً. ولما توفي الاسقف بولس المذكور سنة ١٨١٠ عاد البطريرك الحلو، فكلّف الاسقف ثابت بإدارة هذه الابرشية، وبقي فيها حتى وفاته سنة ١٨٣٣، ودفنه في دير مار يوحنا مارون المذكور. وقد كلّف الاسقف ثابت شقيقه تدريس العلوم اللاهوتية في مدرسة مار يوحنا مارون. وأثناء وجوده في كفرحي، عقد البطريرك إجتماعا لدراسة تسعير المواد الغذائية مع أعيان المنطقة، بعدما احتج الأهالي على غلاء الاسعار، ولا سيما سعر الملح. لكن تجّار البترون لم يتقيّدوا بهذه التسعيرة فصدر بحقّهم "حُرْمٌ طالعنا نصّه، والكلام للخوراسقف داغر، في أوراق الخوري بطرس الحكيّم" (١٢). ومن أبرز اعمال البطريرك التيان، أثناء بطريركيته، جعله دير مار شليطا مقبس مقرّاً بطريركياً، بدل بكركي "لكونه أولاً على قارعة الطريق. ثم مناخه لايئ (لائق) جداً"، حسبما ورد في قرار البطريرك والأساقفة (١٣).

## الانتقال الى سيدة قنوبين في امانة سرّ البطريرك يوحنا الحلو

وفي نيسان سنة ١٨١٨ عيّن الكرسي الرسولي البطريرك المستقيل التيان قاضياً في مجمع اللويزة الذي عقد تحت إشراف القاصد غوندولفي، حيث عالج اموراً ثلاثة: اولها اختلاط الراهبات والرهبان في اديار واحدة. ثانيها تدبير

الكرسي الانطاكي. وثالثها تعيين الاساقفة على كراس ثابتة في أبرشيات معيّنة. وقد اثبت الكرسي الرسولي هذه القرارات ببراءة من الحبر الاعظم مؤرخة في ٢٥ ايار سنة ١٨١٩.

ثم ترك البطريرك التيّان دير مار يوحنا مارون لينضمّ الى البطريرك الحلو في دير قنوبين بناء لاستدعاء البطريرك كي "ينظّم له رسائله الى رومية. وقد كان قبلاً يرسلها اليه، الى مدرسة مار يوحنا مع ساع خاص" (١٤). وكانت وفاة البطريرك التيّان في سنة ١٨٢٠. ودفن في الوادي المقدّس، الى جانب أسلافه بطاركة الموارنة. وكان الى جانب البطريرك الحلو آخر من أقام ودُفن في مقبرة البطاركة في قنوبين.

وفي وصيّة له، ذكر التيان أنه يترك كل شيء لخلفه البطريرك الحلو على أن يفرض على كل كاهن إقامة قداس واحد لراحة نفسه.

## ● ٦٦ـ البطريرك السادس والستون يوحنا الحلو الغسطاوي (١٨٠٩ ـ ١٨٢٣)

بعد البطريرك يوسف اسطفان الغسطاوي، وفي اقل من نصف قرن، تسارع الزمن وعادت البطريركية الى غوسطا ثانية مع البطريرك يوحنا الحلو، إذ تمّ انتخاب اسقف عكا يوحنا الحلو، على أثر استقالة البطريرك التيّان، بطريركاً في دير مار يوسف عينطورة للاباء اللعازاريين في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩ بحضور القاصد الرسولي غوندولفي الذي جعل مقرّه في دير مار شليطا مقبس في كسروان. وأول عمل قام به البطريرك الجديد، هو ترميمه دير سيدة قنوبين الذي هُجر منذ أيام البطريرك يعقوب عواد، وجعله مقرّاً له في العام ١٨١١. وكان المجمع اللبناني المنعقد في سنة ١٧٣٦ قرر ان "يستمر دير سيدة قنوبين مقرّاً بطريركياً ثابتاً، وأن لا يُترك، ولا يُبدل، ولا يُنقل الى مقرّ آخر، إلا لداع شرعي مثبت في مجمع كامل" (١٥). ووافق على هذا القرار المجمع المقدّس، في روما بتاريخ ٧ حزيران ١٧٩٠، وفي ١١ حزيران سنة ١٧٩٣، كما ورد في الوثيقة رقم ٤٦.

كما أقرّ مجمع اللويزة في جلسته الثانية في ١٤ نيسان سنة ١٨١٨ أن يكون

دير سيدة قنوبين مقراً بطريركياً بدل دير سيدة بكركي ومار شليطا مقبس. ورغم هذه القرارات عاد فنقل البطريرك يوسف حبيش هذا المقرّ عند انتخابه سنة ١٨٢٣، الى سيدة بكركي شتاءً، واحتفظ بمقرّ قنوبين صيفاً، على أن يُختار مقرّ آخر يسهل الوصول اليه في دورة قاديشا المشرفة على وادي قنوبين، فوقع الاختيار على الديمان كما سنفصّل ذلك لاحقاً.

وقد تمكّن البطريرك الحلو من استرجاع الاملاك التي كانت لدير قنوبين واستولى عليها الأهالي والولاة، بعد هجره من قبل البطاركة السابقين، إمّا بسبب الطاعون، وإما بسبب صعوبة الوصول اليه شتاء، ولبعده عن مركز الثقل الماروني في قلب جبل لبنان، ولا سيما مركز الحاكم الذي كان يقيم في بيت الدين، ثم في بعبدا. وكان يتبع دير قنوبين أملاك شاسعة تمتدّ من مشارف البحر غرباً عند كفرزينا وطرابلس الى مشارف بحيرة اليمونة في البقاع شرقاً.

وقد نال البطريرك الحلو درع التثبيت في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨١٠ على يد ممثّل البطريرك وموفده الى روما القس ارسانيوس قرداحي الراهب الحلبي اللبناني.

وأثناء ولايته رسم البطريرك الحلو عشرة أساقفة. وعقد مجمعاً رعوياً في الجنوب سنة ١٨٠٨، وهو اسقف على عكا في قرية دبل. ثم عقد مجمعاً ثانياً وهو بطريرك سنة ١٨١٨ عرف بمجمع البطريرك الحلو، او "مجمع اللويزة" الذي صدر عنه قرارات إصلاحية وتربوية هامة، أبرزها وجوب فتح المدارس الاكليريكية والعلمانية، لا سيما بعد إقفال معهد روما الماروني، بأمر من الامبراطور نابوليون بونابرت. ومن المدارس التي تمّ فتحها، وتعزيزها بموجب هذا القرار:

### ١ - مدرسة مار يوحنا مارون كفرحي

كان البطريرك الحلو منذ العام ١٨١٢ يعمل لفتح مدرسة في دير مار يوحنا مارون كفرحي، ويقيم التجهيزات اللازمة لذلك. وقد ساند هذا الموقف اسقف المنطقة جرمانوس ثابت المقيم في الدير المذكور بعدما عاين جهل الكهنة الموارنة، وعامة الشعب في بلاد البترون ابرشيته، كما في غيرها من المناطق والابرشيات

المارونية الأخرى. ثم تمّت دعوة أعيان المنطقة للتبرّع نقداً أو بوقف الاملاك لترميم هذا الدير وإنشاء المعهد المطلوب على أن يستفيد المتبرّعون من تعليم ولدين مجاناً. وقد استفاد جدّنا من هذا العرض وقدّم قطعة أرض تعرف باسم "غوش"، فيها طاحون ماء وبساتين واشجار مثمرة على ضفة نهر الجوز المجاور للدير المذكور. وعلى هذا الأساس تعلّم مجاناً في المدرسة عند تم انشاؤها والدنا ابراهيم وخاله السياسي الشهير خير الله خير الله، واخونا فارس، وغيرهم من أبناء قريتنا جران. كما تخرّج من هذه المدرسة وعلّم فيها الأديب مارون عبود، والخوريان حنا طنوس ويوسف الحداد، والبطريرك الحويك. كما ادارها وسهر على تقدّمها عدد من الاساقفة والمدراء أبرزهم المطران يوسف فريفر، ويوحنا شديد، والخوراسقف ارسانيوس الذي تحولّت المدرسة في عهده الى ثانوية زاهرة. وقد علّم فيها أيضاً، كما أشرنا سابقاً، البطريرك يوسف التيان بعد استقالته، والمطران جرمانوس ثابت الذي اوصى للمدرسة بأملاك كان قد اشتراها بماله الخاص. كما رعى هذه المدرسة البطريركان يوسف اسطفان ويوسف الخازن حتى اصبحت تكفي بعنايتهما "المعاش لتسعة تلاميذ"(١٦). والبطريرك حبيش شيّد فيها كنيسة معتبرة على اسم القديس يوحنا مارون. و"أقام بها بناية كبيرة معتبرة لسكنى التلاميذ". وقد زعم بنو فريفر أن البطريرك يوسف اسطفان قد اوقفها لهم، وادّعوا بذلك الى "المجمع المقدس"، فردّ البطريرك يوسف الخازن عليهم في رسالة الى الكرسي الرسولي مؤكّداً بطلان إدّعائهم وأنه "لم يكن لهم أدنى تداخل بها في شيء" حسبما ورد في رسالته المورخة في ٢٤ نيسان سنة ١٨٥٠ (١٧). وهذا لا يمنع أن يكون المونسنيور فريفر أحد أبرز مدراء هذه المدرسة التي ازدهرت كثيراً في أيامه، وأبدى لنجاحها جهوداً تشكر، فجعل منها معهداً ثانوياً زاهراً. ويتولى شأن الدير، الذي خرّبه بنو سيفا كما ذكرنا سابقاً سنة ١٦٣٦ بوشاية من أهل بقسميا اليعاقبة، حالياً المونسيور يوسف ابي صعب. كما يقيم فيها اسقف بلاد البترون الحالي بولس اميل سعاده. وقد تحولّ قسم منها، بعدما تمّ ترميمه من قبل الدولة اللبنانية، الى ثانوية رسمية يديرها الاستاذ جورج قبلان. ولمزيد من المعلومات حول مدرسة مار يوحنا مارون يمكن العودة الى اطروحة للدكتور جان نخول (بقسميا) صدرت

الشرف والاحترام

[illegible]

[illegible]

[illegible]

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه ٩-١

اننا اذ كنا اهتممنا بالتعليم في رعيتنا ببلاد جبيل والبترون وجبة بشري الى المدارس سيما ما يخص الديانة وذلك من غيرتنا الرعوية ثم تحققنا ان المدارس الخصوصية التي في القرى ليست بكافية لزوال هذا المانع اذ كانت غاية التثقيف الاولاد في القراءة والكتابة فقط وجدنا ذاتنا ملتزمين ذمة من قبل وظيفتنا الرعائية ولاجل مجد الله ونفع وخلاص نفوس رعيتنا في ان نهتم بتدبير مقام ثابت وان يجمع من كل مقاطعة ولدين فقراء قابلين العلوم ونعين لهم معلمين يثقفونهم ليس فقط بالقراءة والكتابة بل بكافة العلوم الدينية والادبية من نحو ومنطق وعلم ذمة وباقي العلوم التي تلزم خصوصا لكهنة الرعايا لاجل خلاص نفوسهم مع النفوس المقلدة وانهم يسلكون على موجب الرسوم التي نعينها لهم بكتاب [illegible] ومن بعد تفحصنا ساير المقامات الكائنة في رعيتنا ما وجدنا انسب من دير

مار يوحنا مارون الكاين بقرية كفرحي لكونه اولا في نصف البلاد ثم وقيام [illegible] ومن ثم قد عينا واقمنا واثبتنا بسلطاننا الرعائي دير مار يوحنا مارون المذكور مدرسة عمومية لكامل رعيتنا لاجل الغاية المذكورة اعلاه. اي اولا لقيام ستة اولاد من كل مقاطعة ولدان. ثانيا لاجل تثقيف الكهنة وتعليمهم ما يلزم لتتميم وظيفتهم وخلاص نفوسهم وذلك جميعه لمجد الله ونفع وخير الجمهور لاسيما خلاص النفوس. واما ما يخص المصاريف التي تلزم لقيام هذا الخير ما عدا مداخيل الدير المذكور التي هي زهيدة جدا نحن نلتزم ذاتنا بتقديم ما يلزم من احسان رعيتنا واحسان باقي اولادنا المسيحيين اصحاب الخير ولنا امل ورجاء ثابت في مراحم الله انه يبسط يده الفايضة لمعونتنا ويلهم كل فاعل خير لمساعدتنا اذ كانت رعيتنا راجعة لمجد الله ونفع وخير العلوم المفتقر اليها بلادنا وخلاص الانفس المشتراة بدمه الكريم. ولاجل ايضاح واثبات ما ذكرناه ورفع كل علة وكل معارضة عن الدير المذكور الذي لا يبقى لاحد عليه سلطة بدون سلطاننا الرعائي نحن الان وما بعد نرفع عنه تسمية دير ونلقبه باسم مدرسة مار يوحنا مارون ثابتة في زماننا وزمان من يخلفنا بعدنا وقد حررنا هذه الحجة وثبتناها بختمنا وخطنا تحريرا في ١٥ اب [illegible] في خمسة عشر اب سنة الف وثمانماية واثنا عشر مسيحية

محل الختم

الحقير [illegible]
[illegible] مطران
[illegible]
والبترون

ثم وقفنا على هذه الحجة وارتضينا فيها لانه امر خيري ولاجل مجد الله فمن ثم قد اثبتناها ويكون العمل بها من غير خلاف ولا نسمح لاحد يعارض ما هو محرر بباطنها

محل الختم

الحقير يوحنا
[illegible] البطريرك
الانطاكي

ثم قد وقفنا على هذه الحجة ومن كوننا تحققنا ان هذه نية قدس سيدنا المطران جرمانوس

قرار انشاء مدرسة مار يوحنا مارون (من الأستاذ ميشال ابي فاضل - أرشيف المدرسة).

اعلام بالرب لكل ناظر اليه

انه لقد مثل امامنا ولدنا بولس فرح رزق من قرية جران من معاملة البترون
مصرحًا ارادته فانه بكامل اختياره الطوعي وانتباهه التام قد اوقف
البيت المختص به في القرية المذكورة وكامل مجالاته وما يعزى اليه مع
بير الماء الكاينة هذا البيت المرقوم لجهة الغرب لمجد الله تع وخير فقراء
قرية جران هذه والقرى المجاورة لها اعني بهذا الخير لكيما تقام في بيته
الموما اليه مدرسة يتهذب بها اولاد القرى المذكورة المارونيون بخوف
الله تع وحفظ قواعد ديانتنا المقدسة وان يتعلموا بها مجانًا القراءة
والكتابة سريانيًا وعربيًا وان بجدا هذه المدرسة قاصد ان يبني كنيسة
على اسم سيدتنا مريم العذراء والدة الله الكلي طهرها ولاجل اتمام هذه
الغاية الحميدة عتيد هو ان يوقف ارزاقًا ويخصص مبلغ دراهم للمدرسة
المذكورة وعند ذكر جميع ما قد لمسنا بولس المذكور ان نبارك ونثبت
هذا الوقف ونأذن في فتح مدرسة واقامة كنيسة في المحل المذكور. فنحن
اذ تاكد لنا قصد ولدنا هذا الموما اليه الحميد وعزمه على عمل هذا الخير
المفيد قد اجبنا الطلب هنا واثبتنا بسلطاننا هذا الوقف موعدين
ومأذنين بكامل الرغبة ان تقام في المحل المرقوم المدرسة والكنيسة الموما
اليها على اسم سيدتنا مريم العذراء والدة الله الكلي طهرها التي نسألها ان
تكون شفيعة هذا الموقف وملتمسة لدى ابنها الحبيب المجازاة الحسنة
عوضًا عن هذا الخير القاصد ان يبديه بمجد الله وافادة للقريب. ولكي
يكون هذا التاسيس نافذًا وثابتًا ومعلومًا عند الجميع ارتضانا وباي
قد تحررت هذه الاحرف بيد بولس المذكور تحريرًا في تموز سنة الف وثمانمائة
وسبع وثلاثين صح

الحقير يوسف بطرس بطريرك انطاكي



ختم وتوقيع (البطريرك يوسف حبيش)

وصية بولس فرح بوقفية مدرسة النصر (من الاستاذ ميشال ابي فاضل)

في كلية الآداب ـ الجامعة اللبنانية سنة ١٩٨٣ ـ وذكرت نبذات منها جريدة العمل في ١٩٨٣/١/١٥. وفي الحرب العالمية الاولى اقفلت المدرسة ابوابها تاركة المجال لجارتها مدرسة النصر كفيفان كي تقوم بالواجب الثقافي المطلوب.

## ٢ـ مدرسة سيدة النصر كفيفان

اوقف بولس فرح من عزاقة جران في بلاد البترون، بيته واملاكه لانشاء مدرسة تعلّم فيها اولاد عائلته المعادية وقريته. وقد فتحت المدرسة ابوابها في بيته سنة ١٨٣١ (١٨). ولم يلبث مواطنه وابن عائلته بطرس رزق من كفيفان أن ضم الى هذه الوقفية، هو الآخر، وزوجته ريّا، املاكهما أيضاً في العام ١٨٣٩. وسطّر الخوري بولس فرح شرطية بهذه الاوقاف تفرض تعيين رئيس للمدرسة من العائلة الرزقية. وفي حال عدم وجود كاهن رزقي، يعيّن كاهن معادي. وفي حين استحال ذلك، يعيّن علماني لادارتها بعد الاتفاق عليه من قبل وجهاء الاسرة الرزقية.

وقد اشترى رؤساء ومديرو هذه المدرسة بالوفر الذي حقّقوه من مداخيلها، ومداخيل املاكها، أملاكاً جديدة أضافوها لأملاك المدرسة، ومعظمها في الامكنة المعروفة اليوم: بكرم الحجّة، وتاروع العين، والميدان، وكوع البومغيط... ولدينا صور مناشير وصكوك ووثائق تمليك وشرطيات تعود الى فترة تأسيس هذه المدرسة، قد أثبتنا القسم الهام منها في كتابنا "جبيل والبترون والشمال في التاريخ" المطبوع سنة ١٩٨٧. وقد فتحت أبوابها منذ العام ١٨١١ حتى الحرب العالمية الثانية (١٩). وتخرّج منها عدد كبير من مثقفي منطقة بلاد البترون الوسطى أشهرهم:خير الله خير الله، الخوري يوحنا طنوس، بدوي نادر، حنا نعمه، الخوري انطون رومانوس، الخوري يوسف الحداد، مارون عبود، الخوري يوحنا بصبوص المعادي الذي ادارها شهرين، وهو مشهور بمخطوطه المعادي سنة ١٦٥٥، المرجع الاقدم في تاريخ الاسرة المعادية، والموجود حالياً في مكتبة الجامعة اليسوعية تحت رقم ٥٧ مخطوطات.

## ٣ـ مدارس اخرى ظهرت في القرن التاسع عشر

بالاضافة الى مدرستي مار يوحنا مارون، ومدرسة سيدة النصر، ومدرسة

عين ورقة السابقة الشهيرة، ظهرت عدة مدارس اخرى في عهد البطريرك الحلو وخلال القرن التاسع عشر في الاوساط المارونية بينها: مدارس أخرى موزّعة في كافة المناطق المارونية في الشمال الى الجنوب. بينها مدرسة رومية الاكليريكية سنة ١٨١٧، ومدرسة القليعات، ومدرسة ريفون سنة ١٨٣٢، وسبعة وعشرون مدرسة اخرى موزّعة في كافة المناطق المارونية.

**الأسقف الحلو قاضي الموارنة**

وقبل ان يُنتخب الاسقف الحلو بطريركاً، كان يتولّى منصب القاضي الممثّل للموارنة في المحكمة العليا التي أنشأها الأمير بشير. وقد انيط به حلّ الدعاوى المتعلّقة بالرعايا الموارنة، نيابة عن البطريرك والأساقفة عملاً بالنظام البيزنطي والشرع الاسلامي الذي درجت عليه الولايات العثمانية، منذ أيام السلطان محمد الثاني الذي فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣.

ولم يكتف الاسقف القاضي بوضع الفتاوى والاحكام، بل عقد مجمّعاً في عين دبل صدر عنه القرارات التالية:

١- وجوب تعليم الكهنة اولاد القرية التعليم المسيحي.

٢- منع القمار والسحر والرقوات.

٣- وجوب تجنّب الكهنة الضحك والمزح المفرط وشرب الغليون خارج منازلهم.

٤- منع الكهنة من السمسرة والضمان.

٥- منع تزويج المغصوبات من حكام السياسة، والدافعون لذلك محرومون.

٦- وجوب تعميد الاطفال في مهلة اسبوع من ولاداتهم.

٧- منع الكهنة من تعريف الناس في غير رعاياهم، وجمع التبرعات بدون إذن.

٨ - وجوب تدوين القداديس المطلوبة منهم على دفتر خاص.

٩ـ منع إقامة القداديس في البيوت حيث يوجد كنائس.

١٠ـ منع الكاهن من ممارسة الطب والجراحة بدون اذن من المختصين بذلك.

١١ـ تحديد انواع الخطايا وصلاحية حلّها: الكفر لا يحله إلاّ البطريرك، كذلك ضرب رؤساء الكهنة او منعهم من تأدية عملهم، وقتل الناس عمداً، وخطيئة المرابين ظاهراً. وضرب الاولاد لوالديهم لا يحلّه إلاّ أساقفة. وهذه الخطايا جميعاً قد يحلّها الكاهن في ساعة الموت بواسطة المشحة. وتحمل هذه القرارات تاريخ ١٣ تشرين الاول سنة ١٨٠٨ (٢٠).

وقد اشتهر البطريرك حلو بأحكامه القضائية منذ أيام اسقفيته في صور وعكا حتى نهاية ولايته. كما أنه عُيّن في منصب القضاء: القاصد الرسولي غوندولفي، والبطريرك التيان إبّان أسقفيته، وبعد استقالته، والاسقف يوحنا مارون[٢١].

## وفاة البطريرك يوحنا الحلو مع بداية التململ من حكم الامير بشير

توفي البطريرك يوحنا الحلو في ١٢ ايار سنة ١٨٢٣، بعدما بدأ التململ في صفوف الشعب من احكام الأمير بشير الشهابي الثاني، وضرائبه الجائرة. وأخذت الدعوات تتنقّل سراً وجهراً، بين مختلف المناطق لعقد مؤتمر وطني يتمّ فيه وضع خطة لزحزحة الأمير أو وقفه عن تعدياته. وقد شهد قبل موته حدثين هامين: الاول تنصّر الامراء الشهابيين، وعاميّتي حمّانا، وعاميّتي لحفد وانطلياس.

## ٢ـ التململ الشعبي والعاميّات الصغرى

### تنصّرالشهابيين

لقد ذكرنا في حديث سابق تنصّر الامراء اللبنانيين، ونكتفي الآن بكلمة حول تنصّر الامراء الشهابيين الذي تمّ في عهد البطريرك الحلو، من الأمير يوسف "اول امير ماروني للجبل"، على حدّ رأي الاسقف بطرس شبلي (١)، إلى ارملة بشير الاول سحر الندى وولديها الذين تنصّروا من قبل في العام ١٧١٠، على حدّ قول الخوري بطرس غالب، وبعدهم كرّت السبحة فتنصّر الأمير حيدر شهاب، والأمير ملحم بن حيدر، وإخوة المير يوسف، على حدّ زعم طنوس الشدياق، والمطران الدبس وغيرهما. وصولاً إلى الأمير بشير الثاني الذي تنصّر هو الآخر وأخفى مارونيته بالاتفاق مع البطريرك الحلو الذي كتب إلى الكرسي الرسولي بذلك، وأتته موافقة بابوات روما على سرّية هذا التنصّر كي "لا يثير نقمة العثمانيين".

اما الأمر الثاني والخطير الذي أقلق البطريرك الماروني، ومن قبله البطريرك التيان وأدّى إلى إستقالته، هو التململ الشعبي، وظهور بوادر الثورة على الحكم الشهابي المغلوب على أمره بسبب خضوعه الكلي لابتزاز الجزار والي عكا. وهذا ما أدّى إلى قيام عاميّتين انحصرتا في نطاق ضيق، عُرفتا بعاميّتي حمّانا.

### عاميّة حمّانا الأولى سنة ١٨٠٠

اولى العاميّات والانتفاضات الشعبية في لبنان هي عاميّة حمّانا الاولى التي اندلعت شرارتها الاولى سنة ١٨٠٠، مع بداية القرن التاسع عشر، في عهد البطريرك يوسف التيان، وإبّان ولاية الأمير بشير الشهابي الاول، حيث تجمّع

الأهالي للوقوف بوجه رجال أحمد باشا الجزار والي عكا عندما دخلوا حمّانا لتحصيل الضرائب التي عجز الأمير بشير عن جمعها، وترك الحكم بسبب عجزه وتقصيره. ولم يكن حظ خلفائه أولاد الأمير يوسف شهاب أحسن منه، إذ بقي الشعب متماسكاً، ورافضاً الإذعان، رغم محاولة مدبّر الامير بشير جرجس باز تفادي المواجهة واستمهال الجزار في جمع المطلوب وقدره "ثلاثماية غرّارة قمح، وألفاً من الغنم، وثلاثماية من البقر، وثلاثماية قنطار بارود" (٢).

وهاج الأهالي، وطرد المتنيون، محصّلي الجزار. ثم توجّه الأمير قعدان شهاب مع المدبّر باز لتهدئة الوضع في كفرسلوان. وراح ولدا المير يوسف حسين وسعد الدين يحاولان "جمع مالين، ثم مالاً آخر، ونصف مال". مما دفع الأهالي للاحتجاج من جديد و"قام المتنيون على الأمير سلمان وأخذوا خيله، وطردوه. وكتب الأمير حسين إلى الجزار يشكوهم، فأنجده بثلاثماية من الأرناؤوط لقصاصهم، وبلغهم ذلك، فاستعدّوا لقتالهم... وتجاه عجز الامير عن تأدية المطلوب، رغم الدعم العسكري له، تبدّل موقف الجزار إلى جانب الأمير بشير، الأكثر قدرةً (على الدفع، وعلى الجمع) لإرضائه". وكان الأمير بشير قد وصل إلى حمّانا، فلاقاه الأهالي بالأهازيج، فاصطدم رجاله برجال اولاد المير يوسف ومدبّرهم جرجس باز الذي طالب بعقد الصلح، ووقف القتال، مما دفع بالجزار لاستبدال الفريقين، وتعيين الأمير عباس أسعد شهاب حاكماً مكانهما. ثم توجّه الشيخ بشير جنبلاط إلى عكا طالباً الولاية للأمير سلمان شهاب لقاء تعهّد بدفع مايتين وخمسين ألف قرش عام ١٨٠١. لكن المتنيين ظلّوا على معارضتهم للدفع، واتفق الجميع على عدم الخضوع إلاّ للأمير بشير دون سواه، ممّا أرغم الجزار على الرضوخ وتسليمه الإمارة، بعد تعهّد الأمير بالامور التالية:

١- استثناء جزين وبرجا من الولاية.

٢- هدم جونيه وأن لا يباع فيها شيء لامتناعها عن دفع المتوجب عليها.

٣- دفع ماية ألف قرش في مدة أربعة أشهر، وخمسة وعشرين ألف قرش في كل شهر يمرّ بعدها، وعشرة آلاف قرش عن بلاده.

## عاميّة حمّانا الثانية سنة ١٨٠٤

ولولا وفاة الجزار سنة ١٨٠٤ لما استطاع الأمير بشير التخلّص من تعهّداته له. لكن مع هذا، فور استلام سليمان باشا ولاية عكا، خلفاً للجزار، طالب الامير بتسديد ما تبقّى عليه من التعهّدات للجزار، فاضطّر الأمير للتوجّه إلى المتنين لتحصيل المال المتبقي من عُهدته، فواجهه المتنيون بالرفض، باستثناء بني اللمع الذين انضموا إليه عند وصوله إلى عين داره، ومنها انتقل الجميع إلى حمّانا عام ١٨٠٥، برفقة رجال سليمان باشا. وأخذ فور وصوله يهاجم بيوت آل حاطوم زعماء العصيان، فنهبها، ثم هدمها، وقطع أشجارهم، في المتن وفي البقاع. ولم يكتف الأمير بشير بجمع المال المطلوب من الأهالي، بل غرّمهم بسبب عصيانهم بمبلغ مئة الف قرش إضافي، وهذا المبلغ هو ثلثا المبلغ الباقي المطلوب.

وعاد الأمير إلى دير القمر، بعدما أدّى للوالي سليمان باشا، كل ما كان قد تعهّد به لسلفه الجزار. ويعلّق المؤرخ طنوس الشدياق في كتابه "أعيان جبل لبنان" على هذه الاحداث بالقول: "لقد طُعن المتنيون في ظروف ملائمة جداً، لأن الممارسات التعسّفية في جباية الضرائب جعلت الناس على استعداد دائم للتمرّد والعصيان، والتمنّع عن دفع الضرائب، فعمد الأمير إلى إخضاع المتن بالقوة المسلّحة حتى يقطع الطريق على العاميات الفلاحية التي توشك بالاندلاع" (٢).

## عاميّة إنطلياس الأولى سنة ١٨٢٠

وبعد نحو عشرين عاماً على انتفاضة أو "عاميتي حمّانا"، اضطُرّ الأمير بشير نظراً لجشعه المتواصل إلى المال، لمواجهة المكلّفين اللبنانيين مرةً جديدة في انطلياس ولحفد وتفصيل ذلك أنه في عام ١٨٢٠ طالب عبد الله باشا، والي عكا، الأمير بشير بجمع ضرائب إضافية. وعبثاً حاول الأمير إقناعه بسوء العاقبة، بواسطة مدبّره المعلّم كرامه، إلاّ أن الوالي أصرّ على طلبه، واضطرّ الأمير لتنفيذ اوامره، مهما كلّف الأمر. وفي المقابل تنادى عامة الشعب من كل الطوائف للوقوف بوجه هذه المظالم التي تفرض عليهم دفع الضرائب مضاعفةً وعدة مرات في السنة الواحدة. ولمّا فوتح بنو تلحوق بالأمر أجابوا: "إننا لا ننقاد إلى عاميّة نصارى ذلك

البلاد. فإنه شين (عيب) عندنا"، حسبما اورد المؤرخ طنوس الشدياق نقلاً عن لسان الأميرين سلمان وحسن الشهابيين اللذين فاوضاهم عن طريق الامير حيدر شهاب، بهذا الشأن (٤). والشيخ طنوس الشدياق، كان أحد القادة البارزين في تلك العاميّة، وكلامه، بصفته شاهد عيان، لا يقبل الشك.

ولم يلبث القتال "أن انفجر في بعض القرى المختلطة بين المسيحيين والدروز، حول المسائل التي أثارتها العاميّة" حسبما أشار المؤرّخ إيليا حريق في كتابه "التحوّل السياسي في تاريخ لبنان الحديث" (٥). وفي تعهّد وقّعه قادة ثورة ١٨٢٠ المعروفة بعاميّة لحفد وانطلياس التي تفصلها نحو عشرين سنة عن العاميّة المعروفة باسم عاميّة انطلياس الثانية، تمّ الاتفاق على رفض "المظالم"، ودفع ضرائب إضافية "غير مال السلطان" المرتّب في عهد الأمير حيدر شهاب. "وحَرّر البيان ـ التعهّد في العام ١٨٢٠ كل من: بيت بلّمع جميعهم، بيت إرسلان، بيت الخازن، بيت جنبلاط، بيت بونكد، بيت تلحوق، بيت عماد، بيت عبد الملك، أهالي المتن عموم، أهالي الغرب عموم، أهالي الشوف عموم، أهالي الجرد عموم ـ قابل بما فيه فضل الخازن ـ محرره الحقير شرف الدين بوحسين ـ محرّر الاحرف (الخطاط) الحقير الذليل قاسم هرموش ـ حرّر ذلك لأجل البيان والحاجة إليه صح صح صح (١٨٢٠)" (٦).

## عاميّة لحفد سنة ١٨٢١

وفي ١٣ تموز سنة ١٨٢١ سار الأمير بشير إلى حمّانا في جرود المتن وجمع من أهلها الضرائب، بدون مقاومة، وربما ذلك عائد لإعطاء عبد الله باشا أوامره، قبل توجّه الأمير اليهم، باعتقال كل من صودف من أهل الجبل في شوارع صيدا وبيروت. ونُفّذ الأمر وطال المسيحيين، باعتبار الجبل فيه نسبة قليلة من غير المسيحيين. واضطرّ الأمير بشير للاستدانة من الشيخ بشير جنبلاط لدفع القسط الاول من المبلغ المطلوب، ريثما يتمكّن من جمع الباقي أثناء جولته في الجبل، وكي يطلق الوالي الاسرى والمعتقلين.

وعندها تداعى اهل الجبل من زحله إلى المتن، إلى الشوف، إلى كسروان، إلى جبيل، والبترون، وجبة بشري للتعدّي والمقاومة، رافضين السماح لجمع ضرائب

مضاعفة منهم. وقد أُطلق على هذه التجمعات إسم :"العاميّات". ومن جملة القادة الذي شجّعوا لقيام هذه العاميّات، عدا من ذكرنا من الامراء والمشايخ، وعامة الأهالي والفلاحين، المؤرخ طنوس الشدياق، والاسقف يوسف اسطفان ولو من وراء الستار، وربما أيضاً بمباركة من البطريرك الماروني يوحنا الحلو.

وتوجه الأمير بشير، بعد جولته في جرود المتن إلى بلاد جبيل، وفي نيّته جمع المال مالين، أو "جمع القرش ستة قروش" على حدّ ما ذكر البطريرك التيّان، في كتاب استقالته إلى قداسة البابا على أثر عاميّتي حمّانا. وفي نهر ابراهيم وصله من ابنه قاسم خبر بأن الجميع عاصون، ويرفضون تقديم "المال المالين" (٧)؛ فأرسل الرسل لمفاوضة الثوار المحتشدين في لحفد ومشمش وميفوق وحاقل، وكان عدد هذه العاميّات بحدود الألفي رجل. ووعدهم باعفائهم من دفع الضريبة إن تخلّوا عن قادة هذه العاميّة، لكن الجميع أبلغوه رفضهم النهائي لدفع المال المضاعف. وكان رجال العاميّة في لحفد بقيادة الشيخين حسن وسلمان الشهابيين، والشيخ فرنسيس الخازن، والشيخ طنوس الشدياق، وسواهم. اما مهندس العاميّة، كما أشرنا، فهو الاسقف يوسف اسطفان. وحاول الأميران حسن وسلمان استدراج اليزبكيين الدروز، ولا سيما بني تلحوق الى هذه العاميّة فرفضوا، على الرغم من خصومتهم للأمير بشير وحليفه الشيخ بشير جنبلاط، بسبب عدم موافقتهم على القتال تحت القيادة المسيحية، حسبما أشرنا سابقاً، نقلاً عن لسان الأمير حيدر شهاب وسيط الاميرين الشهابيين لدى اليزبكيين.

وصمّم "اللبنانيون على العصاوة، وأرسلوا الى الأمير، على حدّ قول أحد قادة هذه العاميّة طنوس الشدياق، صورة شروط لا تطابق المعتدل، ومن جملة ذلك أن كل من يكون حاكماً لا يكون حكمه من يد الدولة (اي رفضوا تعيين الحكام من الخارج) فأبى الأمير عن ذلك" (٨). وهذا المطلب يندرج في سياق المطالبة بحرية تقرير المصير، وهو مطلب ديمقراطي سابق لعهده. ولعلّها اول مرة يتمّ فيها إدراج مثل هذا المطلب بشكل رسمي، وفي اجتماع علني من خلال عريضة موقّعة من قادة الشعب ووكلائه المنتخبين من العامة. ولكن الحاكم اللبناني، بسبب الضغوط عليه لجمع الاموال وتقديمها الى والي عكا عبد الله باشا، لم يصغ الى مطالب الشعب،

نماذج من مخطوطات عائدة لزعماء جبل لبنان.

ولا الى نصائح التيان سابقاً، والحلو لاحقاً، وتابع استعداداته للزحف الى بلاد جبيل وإخماد الفتنة فيها.

ثم استدعى كبير حلفائه الشيخ بشير جنبلاط ليلتحق به، مع العلم أن الشيخ المذكور، والقول للقنصل هنري غيز "كان يقف من الأمير وقفة المنافس، لا وقفة أحد رعاياه. وثروته الضخمة، وتوليه قيادة الجيوش بصفته زعيم الامة الدرزية، كانا يكسبانه سلطة هي الثانية بينهم، في الجبل" (٩). وهذا الموقف أشاع في الجبل اللبناني كلاماً مأثوراً مفاده "أن الجبل لا يتّسع لبشيرين". ولم يطل الوقت بعد ذلك حتى ظهرت النوايا، وتواجه البشيران، فخر الدرزي الجنبلاطي أمام الشهابي، رغم حشد بشير جنبلاط سبعة الاف رجل في المختارة لحماية سلطته المهدّدة. لكن استعانة الأمير بشير بوالي عكا عبد الله باشا ومحمد علي خديوي مصر سمحا له الايعاز لدرويش باشا والي الشام أن يقبض على الشيخ الجنبلاطي الفار من وجه البشير الشهابي ويسلمه سنة ١٨٢٥ الى والي عكا الذي قضى عليه إرضاء لحليفه الأمير الشهابي.

وهكذا انتهى الشيخ الجنبلاطي، كما انتهى معظم حلفاء البشير في طليعتهم مدبّره جرجس باز واخوه عبد الأحد، لأن بشير الكبير لا يستسيغ أن يتعالى أحد في بلاطه عليه، ويقاسمه السلطة والوجاهة والنفوذ.

وقد حاول اللبنانيون الحدّ من غطرسة هذا الأمير، وطغيانه، واستهتاره بالشعب، واجتمعوا في لحفد عام ١٨٢١، انطلاقا من انطلياس حيث تعاهدوا على العمل يداً واحدة لمقاومة تسليم اموالهم، وثمرة عرق جبينهم بالقوة إرضاءً لولاة العثمانيين. لقد حاولوا أن يصلحوا الحكم، ويردعوا الحاكم، ويلقّنوه درساً مفاده أن هذا الشعب لا يتخلّى عن حقوقه وحرياته وديمقراطيته، مهما كلّفه ذلك من ثمن، ولم يتوان يوماً عبر تاريخه عن التصدي لسالبيه هذه القيم.

### وكالة اهالي بشعله لطنوس الشدياق

وكي يكون عمل رجال العاميّة منظّماً، ومربوطاً بالمواثيق، نظّموا وكالات لقادة اختاروهم من صفوفهم، وتعهّدوا بالعمل معاً تحت قيادتهم لما فيه الصالح

العام. وقد جاء في وكالة اهالي بشعله في قضاء البترون للشيخ طنوس الشدياق ما يلي: "نحنا المدونين أسامينا أدناه، أهالي بشعله بوجه العموم، من كبارنا لصغارنا قد ارتضينا الطوعة (التطوّع)، وسلّمنا ذاتنا ومصاريفنا، ومهما ينطلب منا شاي (شيء) الذي يخصّ صالح العميّه (العاميّة) من جرى وكلي (من جرّاء وكالة) الى إبن عمّنا طنوس الشدياق نصر، وتكون كلمته قاطعة علينا، من جميع المكالف والمخاسر، وفي طلب الرجال نكون في طوعه بحسب صالح لنا ولجمهور العميّة، ولا يصير منا مخالفة ولا مكاسلة. والذي يصير منه مخالفة ومكاسلة عن مهما نحن محررين بذلك، نكون كلّنا عليه بقصد الزايد. هلّ صار الاتفاق بيننا وبينه، وهو يعمل بموجب ذمّته، ولا يفرّق أحد عن أحد، ولا يصير منه مكاسلة في أمور صالحنا. ومهما رتّب علينا نحن قابلينه. ومهما صار منه مكاسلة في صالحنا نطلبها منه. ولا يصير خلف منه ولا بشاي (بشيء) من ساير الأشياء. والله يكون الشاهد علينا. وإن صار مخسر يكون علينا كلّنا بالنسبة، ونكون كلّنا إخوة، ونفس واحدة، وصالح واحد، والكلمة واحدة، والضربة واحدة..." بشعله في ١٥ آب سنة١٨٢١.

**سير معركة لحفد**

بهذه البساطة اللغوية، والعفوية القروية، والجرأة الجبلية، تمّ تنظيم مثل هذه الوكالة في مختلف القرى والبلدات اللبنانية. وارتبط اللبنانيون فيما بينهم، بمواثيق الشرف، في كافة المناطق والمذاهب، لرفع الظلم اللاحق بهم من جرّاء جشع الولاة، وظلم الحكام. لكن عدم التدريب، وضعف القيادة، لم يستطع تحقيق انتصار على قوى نظامية مدرّبة، وموحّدة، تحت قيادة أمير أثبت جدارته في معارك طاحنة خاضها داخل وخارج حدود بلاده، حيث واجه حشوداً من العصاة، وجيوشاً من المتمرّدين، فردّهم الى طاعة الدولة، واكتسب ثقة كبار الحكام، وانزل الخوف في قلوب المتمرّدين والعصاة. وهكذا لم يصمد الألفا شخص المجتمعون فوق شير لحفد لدى اول مواجهة مع جيش الأمير المدرّب، فراحوا يلقون بأنفسهم من على قمة الشير المذكور الى قعر الوادي، لائذين بالفرار، بعدما قُتل منهم الكثير على يد الخمسماية شخص من جيش الامير الذي تخافه المنطقة كلّها. ولم يمض ساعات

على بدء المعركة حتى تفرّق رجال العامية، ولاحقهم جنود الأمير حتى بشعله، وتنورين، وجرود بلاد جبيل، حيث تمّ إعتقال بعضهم، وجمع المال المطلوب، فقتل نحو "ثمانين شخصاً من الأهالي، وتسعة أشخاص من جيش الامير" (١٠). وانضمّ رجال شيعة بلاد جبيل الى جيش الامير الذي بات ليلته في لحفد، ثم غادرها فجراً الى عمشيت، ومنها الى جبيل التي وافاه اليها حليفه الشيخ بشير جنبلاط برجاله، وزعماء الشوف بصحبة ألفي رجل. وكان الثوار في كسروان قد حاولوا منع وصول النجدة الى جبيل، وتعرّضوا لها عند نهر الكلب، ونهر ابراهيم، إلا أنهم فشلوا في ذلك، وتابعت سيرها الى جبيل، حيث انضمتّ الى رجال الأمير. وحاول أهالي عمشيت التصدّي لرجال الأمير إلا انه استطاع شلّ مقاومتهم وتفريقهم. كما لاحقت مجموعة من رجاله فلول الهاربين الى جرود بلاد البترون، وصولاً الى تنورين، حيث غرّمهم الأمير ببعض الأموال، وجمع الضرائب من بشعله وتنورين وعفا عن بعض المشاركين في الحملة ضدّه كبادرة حسن نية، وعاد رجاله الى البترون لينضمّوا الى الأمير، ويسيروا معاً نحو جبة بشرّي لإتمام عملية جمع الضرائب.

وفي الرابع عشر من ايلول سنة ١٨٢١ تمّ الاتفاق بين الثوار والامير بشير على وقف الاشتباكات. وطلب الأهالي العفو، متعهدّين بدفع المال المطلوب. واثناء وجوده في البترون حضر إليه مشايخ بشرّي، ورافقوه الى إهدن. وعبثاً حاول اولاد المير يوسف حسين وسلمان، وقف تقدّم الأمير ورجاله، فراح رجالهم يتقهقرون من أمامه. ولما يئسا من الفوز به، فرّا الى الاراضي السورية. ودخل الأمير الى إهدن حيث جمع الضرائب، وتابع الى بشرّي حيث غرّم الأهالي المذنبين بمئتين وخمسين ألف قرش، وعاد الى جبيل فحصّن قلعتها، وبقي مدة فيها. ثم انتقل الى كسروان، فغرّم أهلها بمئتي الف قرش، وكذلك اهل بكفيا المتن، وكل من وقف الى جانب العاميّة. وعاد الى بيت الدين في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٨٢٢، بعدما فشل الثورة الشعبية الاولى في تاريخ لبنان.

## عواقب فشل عاميّتي لحفد وانطلياس

بعد فشل هذه الحركات العاميّة التي اندلعت في وجه الأمير بشير، ضاعف

الولاة ضغوطهم على الأمير بشير طلباً لمزيد من الاموال. وكان والي عكا عبد الله باشا، قد أرسل إنذاراً الى "عموم رعايانا، أهالي كسروان وجبيل وطائفة الحمادية، والأميّين بوجه العموم"، محذّراً من مغبّة الاسترسال في "العصاوة". وأقرّ الأمير بشير على بلاد جبيل والشمال، فامتدّت إمارته الى أطراف بشرّي، بعدما وفى الأمير بتعهّداته، وراح يشدّ قبضته على البلاد، ويضاعف الضرائب التي نال منها أبناء تنورين "عشرين ألف قرش، فاضطرّوا الى بيع ممتلكاتهم الى دير حوب"(١١). ومن أبرز وكلاء بلاد البترون الذين أبلوا بلاء حسناً في عاميّة لحفد "بطرس ابي ابراهيم من مسرح، وسركيس الحاج طربيه نعمه من بقسميا، وطنوس بن مارون، ويوسف موسى وهبه، وتادروس قزح، وطنوس أبي منصور. أما القائد البشعلاني طانيوس بو براهيم الحلو، فقد ألقى بنفسه من على شير لحفد كي لا يقع في أيدي رجال الأمير، وقضى نحبه. وخشان العبريني توسّط له الشيخ حبيب البيطار شيخ بسبينا، فصفح عنه الأمير. وقد باع كثير من فلاحي العاميّة أراضيهم لتسديد الضرائب المترتّبة عليهم (١٢).

ولعلّ أبرز نتائج هذه العاميّة، كونها مهّدت لقيام ثورات شعبية وفلاحية لاحقاً، أدّى بعضها الى تحسين اوضاع الفلاحين، والتخفيف من قبضة الاقطاعيين عليهم، لا سيما في كسروان. كما ظهرت على أثر تلك الحركات نهضة ادبية ومسرحية جعلت من أحداث العاميّة مادة لها. ومن الأدباء الذين اسهموا في هذه النهضة الخوري يوسف الحداد الذي وضع مسرحية "المروءة"، والاديب مارون عبود الذي وضع مسرحيته "الأمير الأحمر" وفيها يبرز دور الاسقف يوسف اسطفان. و"اللبوءة والأسد" للأب سمعان مطر، و"الفارس المجهول" للخوري يوحنا طنوس، وغيرها من الاعمال الأدبية. كما برزت ظاهرة جديدة، هي مشاركة الاكليروس وبعض الاقطاعيين في تلك العاميّات. والأهمّ من كلّ ذلك أن هذه العاميّات وحّدت الشعور الوطني الذي تحكمه المصالح المشتركة، بين المسلمين والمسيحيين، في مواجهة ظلم الحكام، من اجل تحقيق المطالب الشعبية. ومع هذا كلّه كان المستفيد الأكبر من عاميّتي انطلياس ولحفد هو الأمير بشير الشهابي الذي وسّع إمارته، وثبّت نفوذه، ووحّد اليزبكيين لأول مرة تحت امرته. كما لمع نجم الشيخ بشير جنبلاط الذي لقّبه

حكام الغرب وقادته الروحيون "بعمود السماء"، وتعزّز أمله بتحقيق حلمه وحلم الدروز التاريخي بإقامة إمارة تضمّ دروز المنطقة، ويكون لها منفذ على البحر، هذا في حال عدم تمكّنه من وضع البلاد كلّها تحت امرته لتشمل زعامته كل الطوائف والمناطق اللبنانية أسوة بالامراء المعنيين والشهابيين (١٣).

## احتلال الامير بشير المزّة في ضواحي الشام

مع أن العاميّة الاولى قد فشلت، إلاّ أنها دقت المسمار الأول في نعش الأمير بشير الذي حقد عليه الشعب، وصبر على ظلمه، بانتظار فرصة مؤاتية للإطاحة به. ومع هذا تابع الأمير زحفه بعدما ارتاح لجهة إخماد الثورات في الداخل، بموافقة ضمنية من والي عكا عبد الله باشا، لعزل والي الشام درويش باشا الذي لجأ اليه الاميران حسن وسلمان، عدوّا الأمير، ومزاحماه على السلطة. و"كان يتقدّم الجيش اللبناني علم يتألّف من قطعة حريرية حمراء يعلوها صليب. وكان يحمل هذا العلم الحاج شاهين من زحله" (١٤). وهي المرة الاولى التي يظهر المسيحيون والموارنة شعائرهم بشكل علني، وينضوي تحت مثل هذا اللواء جيش يضمّ كلّ طوائف البلاد المحمدية والمسيحية معا. وحاول بعض الشيوخ اللبنانيين من أنصار اولاد المير يوسف الذين لجأوا الى والي الشام هرباً من بطش الأمير، وبينهم الشيخان حسني تلحوق وفاعور عبد الملك، على رأس جماعة من اليزبكيين وبني نكد، مقاومة الأمير بشير، ومساندة والي الشام، إلاّ أن الأمير هزمهم، وأسر ثلاثماية واربعة وسبعين رجلاً من رجال الوالي المذكور. كما استولى على مدافعهم، وقطع عدداً من رؤوس زعماء أعدائه، ومن بينها رأس الأمير سليم بن سلمان شهاب، وأرسلها الى والي عكا عبد الله باشا، وعدوّ والي الشام درويش باشا (١٥). وعاد الأمير الى بلاده منصوراً، ومعتزاً، بعدما احتل المزّة ضاحية الشام، مقرّ الوالي العثماني الذي انيط به السلطة على جبل لبنان والبقاع. لكنّ الدولة العثمانية لن تغفر لمن يتطاول على ممثّليها وولاتها مهما بلغت سطوتهم وجبروتهم. لذلك كان لهذه الهجمة المتهوّرة عواقبها الوخيمة على الأمير اللبناني.

## عزل الأمير بشير وسفره الى مصر

وقبل أن ينهي الامير مراسم احتفالات النصر في قصر بيت الدين، صدرت الفرامانات السلطانية بإعفائه من مهامه، وتعيين الاميرين حسن وسلمان حكاماً على جبل لبنان. وعبثاً حاول الأمير بشير استدراك الأمر، ونقل السلطة الى أمير شهابيّ آخر، مقترحاً تعيين الأمير عبّاس شهاب خلفاً له، إلا أن الدولة العثمانية أرادت إفهامه وكل متطاول على قياداتها بأنها لا تصفح ولا تتسامح أبداً. كما عزل ولاة صيدا وعكا وطرابلس، وسلّمت هذه الولايات لوالي الشام درويش باشا، إمعاناً في التحدّي. عندها رأى الأمير بشير أنه لا بدّ من مغادرة البلاد خوفاً من ملاحقته من قبل والي الولاة المطعون في صميم كبريائه من قبل الأمير. والتجأ الى حاكم مصر محمد علي بك الكبير الذي كانت تراوده أحلام مدّ سلطته الى بلاد الشام، والاستقلال عن الدولة العثمانية، لإعادة مجد الفراعنة، وتحقيق أمنيته الغالية في تأسيس امبراطورية علوية تبسط نفوذها على معظم دول المشرق والمغرب.

وفي آب سنة ١٨٢٢ فر الأمير بشير الى مصر، يرافقه سبعة مشايخ من آل الدحداح الموارنة، حيث قابله عزيز مصر بحفاوة بالغة، وانزله في قصر يليق بمقامه، بجوار قصره. ثم اتّفقا على "تحرير البلاد السورية من الاحتلال العثماني، وتعهّد الأمير اللبناني بتقديم المساعدة والدعم المطلوب عند الحاجة" (١٦).

ولما كان حاكم مصر يتمتّع بنفوذ كبير لدى البلاط العثماني، فقد استجيب طلبه بإرجاع الأمير بشير الى إمارته، ووجوب عزل درويش باشا، وإعادة عبد الله باشا الى ولاية صيدا "على أن يدفع للدولة خمسة وعشرين ألف كيس" (١٧). وقبل أن يعود الى بلاده، أبرم الأمير بشير وعزيز مصر محمد علي معاهدة سرية تقضي بالتعاون لتحرير البلاد من الحكم العثماني. "وخلع عليه وعلى اولاده" (١٨)، وعاد أشدّ عزماً وتصميماً على تقاسم التركة العثمانية في الشرق، مع الشريك المصري.

### ● ٦٧ - البطريرك السابع والستون يوسف حبيش (١٨٢٣ - ١٨٤٥)

ولد يعقوب إبن الشيخ جوان حبيش في ساحل علما بكسروان في ٢٣ نيسان سنة ١٧٨٧. وبعد تخرّجه من مدرسة عين ورقة الشهيرة رُقّي الى درجة

القسوسية في ٢٦ حزيران سنة ١٨١٤ في دير علما وسُمّي يوسف. ثم تولّى رئاسة دير بلقوش، ومنها انتقل الى خدمة رعية بيروت المارونية، وبعدها جُعل برديوطا ورئيس كهنة في غزير. وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٨٢٠ سيم اسقفاً على أبرشية طرابلس. وبعد وفاة البطريرك الحلو اجتمع الاساقفة في دير سيدة قنوبين وانتخبوه بطريركاً في ٢٥ آيار سنة ١٨٢٣، إلاّ أن "بعض آباء المجمع البطريركي لم يستصوب هذا الانتخاب، وأرسلوا رسائلهم الاعتراضية الى جانب الكرسي الرسولي مبيّنين فيها أن هذا الانتخاب الجديد لم يكن قانونياً من وجهين: الأول أن البطريرك الحبيشي لم يبلغ الأربعين من العمر، والثاني أن إقامته بطريركاً كانت بأكثرية الاصوات، ولكنها لم تبلغ الثلثين بمقتضى رسم المجمع اللبناني"(١٩). وبعد فحص البابا لاون الثاني (١٨٢٣ ـ ١٨٢٩) الدقيق لرسائل البطريرك ورسائل المعترضين، ثبّت انتخاب البطريرك الحبيشي باعتباره اكثر اهلية، وذكاء، وغيرة رسولية من غيره. وأرسل درع التثبيت مع مندوبه القس باسيليوس دوروسون الأرمني الكريمي في ٣ ايار سنة ١٨٤٢.

وقد اشتهر البطريرك الحبيشي بدقّته في تطبيق أنظمة "المجمع اللبناني"، وحرصه على حقوق طائفته المارونية، ومساعدته في إطفاء حريق الفتن والحروب الأهلية، وتصدّيه للكهنة اللاتين، وجماعات البروتستانت التي حاولت الانتقاص من حقوق الكهنة الموارنة، وجماعة ترتيب امور الابرشيات الاسقفية، وموارنة قبرص. وعلى الصعيد الثقافي سعى جاهداً لإنشاء مدارس تهتم بتثقيف الكهنة والشعب معاً. ولذا أنشأ في ١٣ شباط سنة ١٨٣١ مدرسة مار عبدا هرهريّا بمساعدة "المجمع المقدس" وكان لا ينفكّ يراسل الفاتيكان ويطلع المجمع المقدّس والحبر الاعظم على احوال الشعب الماروني، وأعمال الكرسي البطريركي. كما تلقّى عدة رسائل من الكرسي الرسولي تثبت مدى التعاون القائم بين الكرسيّين الانطاكي والرسولي، وهي مثبتة في مكتبة بكركي في الملف المعروف بجارور البطريرك حبيش.

وقد تمّ في عهد البطريرك الحبيشي تسليم الموارنة لمعهد عينطورة سنة ١٨٣٥، بناء لأوامر الكرسي الرسولي التي اوكلت اللعازاريين على كل الاملاك

التي كانت بيد اليسوعيين بعد إلغاء جمعيتهم على أثر تدخّلاتهم في الشؤون العامة للبلدان الشرقية، مما أثار عليهم حكومات وشعوب ورجال دين هذه الدول. وقد كتب غبطته الى الكرسي الرسولي طالباً طباعة الكتب الطقسية والبيعية المارونية، فاستجاب المجمع المقدّس الى طلبه. كما يذكر الخوراسقف داغر أن غبطته زار تنورين "وتولّى بنفسه فحص خوري الرعية يوسف قرقماز مع باقي الكهنة في اللاهوت. وكان الخوري يوسف مكلّفاً سماع الدعاوى والحكم فيها في بلاد البترون الجردية، ومفوّضاً إيلاء التصاريح الزواجية في تلك الناحية..." كما تولى بنفسه أيضاً محاسبة وكيل الوقف الذي لم يكن يقيّد ما يدخل وما يخرج في دفتره لجهله القراءة والكتابة. لكنه قدّم كيساً مملوءاً دراهم، وقال: هذا هو دفتري... وأضاف الخوراسقف داغر أن البطريرك قضى عشرة أيام في تنورين عاملاً لحلّ الخلافات المحلية، والمشاكل العائلية، والمسائل الزواجية. وانتقل الى دير حوب فتفقّد الرهبان ورتّب شؤون المدرسة التي كان قد وقفها اهالي تنورين لتعليم أبنائهم. ومن هناك انتقل الى مقرّه الصيفي الذي بناه في الديمان. كما أنه باشر بترميم دير بكركي ليجعله مقراً شتوياً للكرسي البطريركي.

**بكركي فاتيكان الشرق**

ونظراً للدور الكبير الذي تلعبه بكركي وسيّدها على الصعيد اللبناني والاقليمي، وصعيد علاقاتها بالغرب، وبالكرسي الرسولي، ودول العالم، فقد اصبحت بمثابة "فاتيكان الشرق"، يحجّ إليها أقطاب المسيحيين والمسلمين، وملوك العالم وسفراؤهم، للتشاور في جميع الامور الهامة. حتى أن المسلمين، قد رأوا في سيّد بكركي، في بعض المراحل والحقب التاريخية "بطريرك العرب". ففي هذا الصرح العظيم، تجري المشاورات، وتُعقد الاجتماعات والمؤتمرات الوطنية، ويُتبادل الرأي حول مصير البلاد، وشؤون المنطقة. وكثيراً ما طلب من سيّده حل الأزمات، والعُقَد، وجمع الصفوف، واتخاذ المبادرات الوطنية لانقاذ البلاد. وعلى هذا الأساس، كان الشعار التاريخي لسيّد بكركي، وهو المنقوش على عتبة المدخل الرئيسي للصرح "مجد لبنان أعطي له" محاطاً بعصاة الرئاسة وصولجان البطريركية والتاج، عملاً بالقول المأثور الذي ردّده إشعيا النبي في الفصل الخامس

والثلاثين من التوراة "قد أُتيت مجد لبنان" (٢٠).

نظراً لهذا الدور الهام الذي تضطلع به بكركي، لا بدّ من كلمة حول تاريخ هذا الصرح في فصل مستقلّ نتحدّث فيه عن بطاركة بكركي والديمان المقرّ الصيفي الذي لا يقلّ أهمية عن بكركي، باعتباره عاصمة الشمال الماروني، كما بكركي هي "الفاتيكان المسيحي" لموارنة ومسيحيّي لبنان والشرق.

# الفصل الرابع

## الاحتلال المصري والميثاق الوطني الاول

# ١ـ بطاركة بكركي وعاميّة انطلياس الاولى

## بكركي المقرّ البطريركي الرئيسي السادس و"الميثاق الوطني الأول"

بعد كفرحي، ويانوح، وايليج، وهابيل، وقنوبين، يأتي دور بكركي والديمان لتكونا المقرّ البطريركي الرئيسي الدائم السادس. وبين هذه المقرّات الستّة، وحدها سيدة قنوبين استطاعت أن تشدّ البطاركة للبقاء فيها زهاء أربعة قرون متواصلة (١٤٤٠ـ١٨٢٣).

ولفظة بكركي تعني حسب الأستاذ أنيس فريحه "البيت المستدير" او "بيت الكتب" (١)، واللفظة عبرية الأصل تدلّ الباء فيها على البيت، و"الكركي" او "الكرك" على الاستدارة ومخزن الكتب. والمعنيان صحيحان بالنسبة الى دير بكركي الذي يقوم على تلة صنوبرية مستديرة، ويضمّ مكتبة مارونية هامة جداً لكنها ليست قديمة العهد لتعطى إسماً عبرياً، مما يدلّ على أن تسميته ترتبط بالمكان وليس بالدير الذي عليه، إلا إذا كان البناء الذي بني على أنقاضه الدير كان هيكلاً وثنياً مستديراً فأطلق عليه تسمية بكركي بمعنى البيت المستدير. وهذا ما قال به أيضاً الدكتور الأب بولس صفير صاحب كتاب "بكركي في محطاتها التاريخية"، إذ استبعد كون الاسم يعود الى مخزن الكتب الحديث العهد في بكركي. وهو يشير الى تفسير أعطاه الاستاذ رياض حنين في كتابه "أماكن وقرى ومدن لبنانية في روايات شعبية"، حول إرجاع إسم بكركي الى طائر الكركي الطويل العنق المعروف باسم (Pélican) ، والذي كان يشاهد في تلك المحلّة (٢). كما أن المؤرخ طوني مفرج في "موسوعته اللبنانية المصوّرة" يعتبر أن لفظة بكركي تعني "مكتبة وأدراج ووثائق

وطوامير" (٣).

وقد شيّد دير بكركي القديم الشيخ خطار الخازن، والسيد نصر الحادي، وسلّماه الى رهبان جمعية مار إشعيا الانطونية التي تنازلت عنه للمطران جرمانوس صقر وراهبات هندية او جمعية قلب يسوع، حسب قول الأب بولس صفير المشار إليه آنفاً، وذلك ببدل قدره ٣٥٠٠ غرش وقدّاس عن نفس المرحوم نصر، نقلاً عن تقارير وضعها القاصد الرسولي داسيدوريوس سنة ١٨٥٧، وهي مدوّنة في المخطوط الموجود في بكركي تحت رقم ١١١. وقد تسلّم الرهبان الانطونيون هذا الدير من البطريرك يعقوب عواد، وظلّوا فيه حتى العام ١٧٥٠، بعدما جدّدوا بناءه، وحسّنوا أملاكه، وجرّوا اليه المياه. ثم طردهم منه إبنا الشيخ خطار الخازن: خازن وأسعد، وباعاه للمطران جرمانوس صقر الحلبي، والراهبة هندية رئيسة جمعية قلب يسوع. ونشب خلاف شديد بعد ذلك بين آل الخازن، وورثة نصر الحادي، والرهبانية الانطونية. وثبّتت البطريركية المارونية وروما ملكيته للرهبانية الانطونية في عهد البطريرك يعقوب عواد. وعندها قامت الراهبة هندية ببناء دير بكركي الحالي على مقربة من الدير القديم، وانتقلت اليه، وأقيم بناء آخر بجواره لسكن الرهبان التابعين لجمعية قلب يسوع. وقد أقيم في الديرين المذكورين مركز للترجمة والنقل والتأليف، أشرف عليه الأب بطرس التولاوي الشهير، خريّج معهد روما الماروني. وبسبب إنقسام الموارنة حول قداسة الراهبة هندية التي اعتقد بقداستها البطريرك يوسف اسطفان، أصدر البابا بيوس السادس في ٢٥ حزيران سنة ١٧٧٩ براءة قضت "بإلغاء الرهبانية (ألتي أسستها هندية) وتحويل ديرها الى خير عام الطائفة المارونية" (٤). وبعد إلغاء هذه الجمعية، واعتزال الراهبة هندية وتنسّكها في اديار اخرى، كان آخرها دير سيدة الحقلة في عرمون حيث قضت فيه في ١٣ شباط سنة ١٧٩٨، عادت الرهبانية الانطونية، ومشايخ آل الخازن للمطالبة بهذا الدير فسقطت دعواهما.

وفي ١٢ كانون الأول سنة ١٧٩٠ قرّر مجمع بكركي تحويل الدير المذكور الى مقرّ للبطريركية المارونية، بعدما كان قد صدر قرار مجمعي ميفوق في ايلول سنة ١٧٧٦، وفي تموز سنة ١٧٨٠، باقامة السيد البطريرك في بكركي، وترك قنوبين.

ولكن الفتاوى تعدّدت بهذا الخصوص، لا سيما وأن قرارات المجمع اللبناني وغيره تحرّم التخلّي عن قنوبين، فلم يغادر البطاركة نهائياً قنوبين الى بكركي، حتى ثُبت قرار مجمع بكركي من قبل "مجمع نشر الايمان" في روما بتاريخ ٧ حزيران سنة ١٧٩٠، وتاريخ ١١ حزيران سنة ١٧٩٣ (٥). كما صدر قرار آخر عن مجمع اللويزة سنة ١٨١٨ بجعل قنوبين مركزاً دائماً بدل بكركي، ودير مار شليطا مقبس الكسرواني أيضاً الذي كان قد اقترحه البطريرك التيان ١٨٠٨ ليكون مقراً بطريركياً وبقي أمر جعل بكركي مقراً بطريركياً معلّقاً، حتى عقد مجمع أسقفي خاص في بكركي في بداية عهد البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٢٣ تقرّر فيه الموافقة على انتقال المقرّ البطريركي الى بكركي، فحسم هذا الأمر نهائياً، بجعل بكركي مقراً شتوياً لإقامة البطاركة، والديمان مقراً صيفياً لهم. وفي شتاء سنة ١٨٢٣، أمضى البطريرك حبيش أشهر الشتاء في بكركي، ثم انتقل لتمضية أشهر الصيف في الديمان. ولا يزال البطاركة حتى اليوم يلتزمون بهذا التقليد.

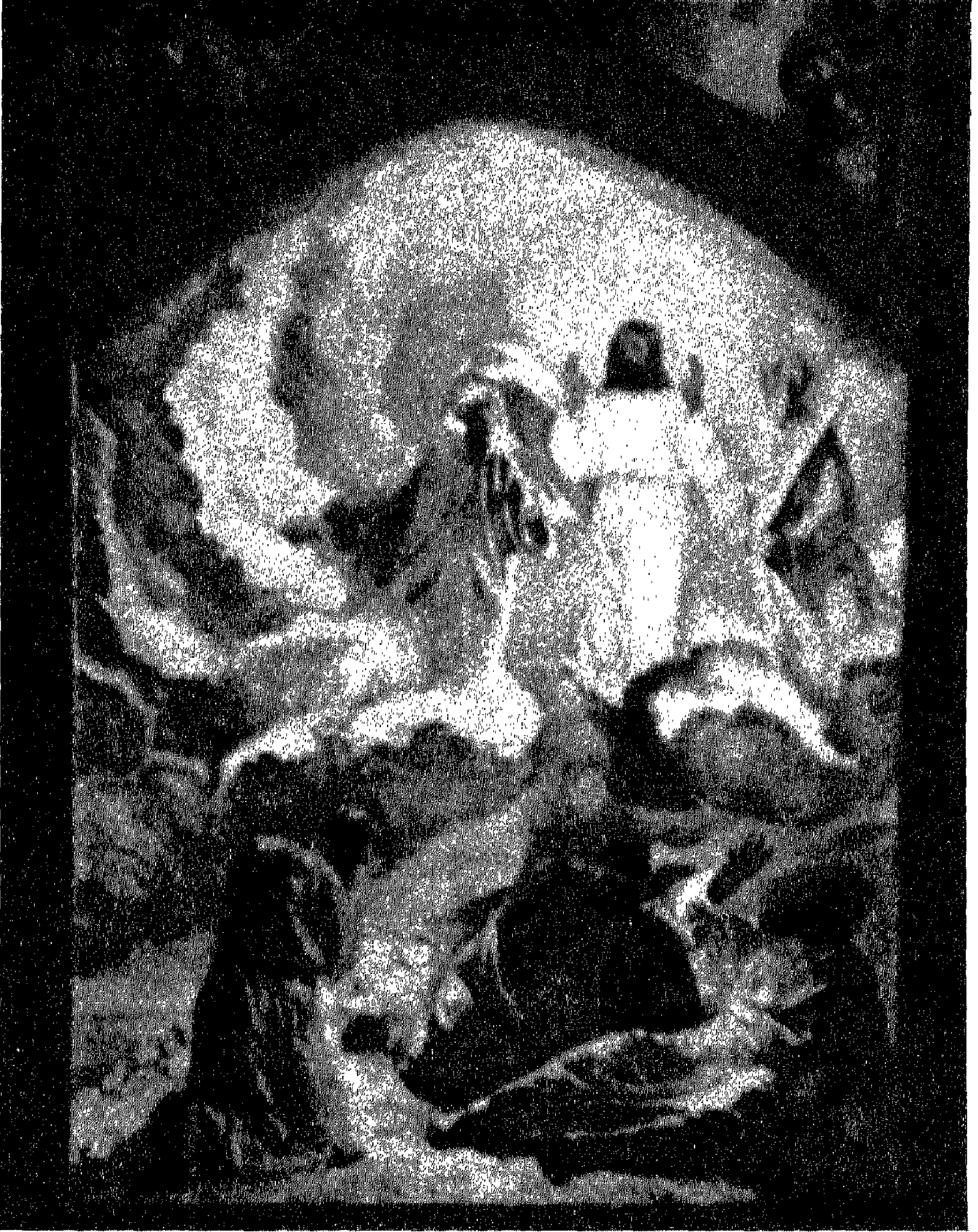
وهكذا اصبحت بكركي، وسيّدها، مرجعية مارونية، ومسيحية، لا بل مرجعية لبنانية وإقليمية ودولية، فيها يلتقي الاقطاب من كل الدول، وتطرح القضايا الهامة على بساط البحث مع غبطة البطريرك الذي لرأيه اعتبار كبير، ولمواقفه صداها ليس في الاوساط المارونية فحسب، وانما في الاوساط اللبنانية والغربية، بالاضافة الى الكرسي الرسولي الداعم الأول والأهم للبطريركية المارونية، ولدور بكركي على كافة الصعد في لبنان والمنطقة، ممّا أهّلها لتلعب دور "فاتيكان الشرق المسيحي".

والديمان، المقرّ الصيفي للبطاركة الموارنة، هو الآخر له تاريخه، ودوره في رسم سياسة الموارنة، وعلاقاتهم بالمذاهب والامم الأخرى. والديمان لفظة سريانية تعني "الفريد"، و"الأمثل" او "المقدّم" على بقية الأديار، وهذا هو واقع الديمان تماماً. فنظراً لبنائه هو دير مميّز بإتقانه وزخرفته ورسومه، وروعة هندسته، ولا سيما بكنيسته التي بناها البطريرك عريضة وزيّنها الفنان الاهدني صليبا الدويهي بأجمل الرسوم. ويعود الى هذا الدير املاك واسعة في عدة قرى، منها الديمان، حوقا، بلوزا، وادي قنوبين، وغيرها من المزارع والدساكر والاراضي المروية والحدائق الغنّاء التي تغنّى بها المستشرقون أمثال دي لاروك، وسوريانو وغيرهما.



البطريرك يوسف حبيش. (بريشة قيصر الجميل - بكركي).

ومن المقرّ الشتوي المنتصب فوق إحدى التلال المشرفة، على البحر ينتقل بطاركة الموارنة من بكركي، للاصطياف في الديمان المشرفة على وادي قاديشا وقنوبين المقدّسين، هنا في هذه المعاقل الحصينة التي اختارها نسّاك الموارنة وآباؤهم، وبطاركتهم الأوّلون، مراقي للاتصال بالله، والخلوّ الى الذات، ومناجاة الربّ. من هنا انطلقت المارونية لتعمّ الشرق والغرب، وكانت على مدى أجيال حصن المسيحية في لبنان والشرق. وأول من وضع حجر الأساس لقاعدة هذه الامبراطورية الروحية الواسعة الأرجاء هو البطريرك الحبيشي، إبن الأسرة الحبيشية العريقة، التي بفضل قادة منها تجذّر الموارنة في الجبل، وانتشروا في كل المناطق والمعاقل. وبفضل بطريرك آخر عظيم، بطريرك "لبنان الكبير"، الياس الحويك، أخذ الدير يتحوّل الى صرح شامخ البنيان، واسع الأرجاء، مشمخّراً رفيع الشأن، كما بفضل إبن الجبّة البشراوية البار، البطريرك عريضة، الذي أعلى البناء، وزيّن الصرح بمعبد قلّ نظيره، تزيّنه الرسوم التي أبدع نقشها كبير رساميّ لبنان صليبا الدويهي، فإذا هي صور حيّة لدورة قاديشا، بما فيها من تناغم بين الطبيعة والبشر، أرض آلهة، ومقافل أبطال، ترتفع فيها قبب الكنائس والأديار لتعانق قمم الجبال والهضاب، من الحدث، بلدة بطاركة أبطال، الى بقاعكفرا التي انجبت شربل ورهباناً آخرين قدّيسين، الى حصرون مسقط رأس العلاّمة السمعاني الشهير، وأساقفة وبطاركة أفذاذ من آل سمعان، الى إهدن الصهيوني والدويهي ذوي بطولات اصداؤها حية في مدى الوادي المقدّس السحيق، الى بشرّي بلدة المقدّمين وكبار الأساقفة والبطاركة والمذابح التي على عدد أيام السنة منذ أقدم السنين، الى حدشيت مدينة البطريرك دانيال، شهيد البطولة والاقدام، وسلالات من المقدمين... الى كل قرى الجبّة ومناسك قنوبين... الى حيث يمتدّ النظر بعيداً من شرفة الديمان، منذهلاً عبر المسالك والشعاب التي أطل منها جبران فغدا نبيّ الأنبياء، وسيد الفلاسفة والملهمين... هناك حيث تتعانق شفار الصخور العملاقة، وغصون الأرز المترامية الأفنان، كأنها هي الأخرى تسجد للصلاة على ضفاف النهر المقدّس، وترتّل مع المرتلين: "هلّمي معي من لبنان أيتها العروس...". من جبل حرمون... من سنير... الى وادي قنوبين... جبال آلهة، ومناسك قدّيسين...! وكيف لا تركع



سيدة التجلي لصليبا الدويهي في كنيسة الكرسي البطريركي في الديمان.

الصخور والأشجار، والبشر، وكل الكائنات والحَشَرْ، أمام عظمة الخالق المبدع الذي لوّن هذه الجمالات الخارقة، فجعل الماء والصخر، والدَوْح والسماء، تلتقي في عناق روحاني أخّاذ، فينشد النظر الى فوق، وتُمْتَلك الاحاسيس، في انخطاف قدسيّ ينقلك الى ما وراء الكون، الى العالم الفوقي، فتنفصل عن التراب وتذوب في الذاتية الكلية القداسة، ويخطفك الانبهار الى العالم الآخر... تماماً كما أصاب لامرتين في ظلال الارز، يوم زار هذه البلاد، وصاح على لسان ملاكه الهابط من السماء، الصارخ أمام سحر وجلال المكان: "لن اعود... لن اعود...".

ونحن نعتذر عن هذا الانخطاف غير المستحبّ في كتابة التاريخ، وعذرنا أنّا قفزنا من شرفة الشعر والادب لنسلك درب التاريخ، مع ما في الانفصال عن الذات من عسر وصعوبة، ونعود الى الأرض، أرض الديمان، مقرّ البطاركة الصيفي الجديد في الأرض القديمة التي شهدت وقع أقدام اول النازحين القورشيين في القرون الاولى للمسيحية الى هذه البلاد، هرباً من الظلم والطغيان، وحفاظاً على الحرية والايمان والمعتقدات في "جبل الطرداء، وموئل الحريات" على حدّ قول الحاكم العثماني الذي شهد معاناة الشعب اللبناني من حكم أسياده العثمانيين، اسماعيل حقّي بك. وهكذا انصهر قديماً في هذا الوادي المقدّس الملحدون الوثنيون، بالمارونيين المؤمنين، تجمعهم الروح المارونية المتسامحة، بالشعب اللبناني الوثني الأصيل، الباحث عن وطن يقّدس المبادئ والقيم، ويصون الحريّات، فكان اللقاء في جبل لبنان، جبل الايمان والقداسة والحريات، يرعاهم بطاركة أباة، رفضوا الركوع، بشهادة الكرسي الرسولي وملوك الغرب "أمام الباب العالي"، و"اعتاب الفاتحين والغزاة"، وعاشوا معاً، يجمعهم عشق الحريات والعنفوان، والذود عن الوطن حتى الاستشهاد حفاظاً على القيم والمقدّسات والتراث، حيث الكرامة والحرية والايمان بالمثل، قَدَرُهم، وقَدَرُ هذه البلاد المحتوم، ولن يتخلوا عنها، وعن هذا التراث العريق، مهما كانت التضحيات... .

## البطريرك حبيش والأمير بشير الثاني

يوم انتخاب البطريرك يوسف حبيش في ٢٥ ايار سنة ١٨٢٣ بطريركاً، كان عليه أن يمحو آثار الدماء التي اراقها الحاكم اللبناني، الأمير بشير الثاني، في

لحفد وانطلياس إبّان عاميّتهما في العام ١٨٢٣، وكان العمل شاقاً وصعباً مع أمير يبذل الغالي والرخيص للحفاظ على موقعه في السلطة أمام ولاة جشعين، لا تحرّك قلوبهم المتحجّرة دمعة فقير عاجز عن دفع ضريبة، ولا أنهر دماء تسيل لتأمين أضعاف الضرائب المطلوبة من فلاحين يستفزهم حكامهم بالضرائب والرسوم المضاعفة يوماً بعد يوم.

وكي يتمكن شعبه من الصمود، شدّد البطريرك حبيش على تعزيز التعليم، وتثقيف الكهنة، فأطلق دعوته الى المعلمين في مدارس عين ورقة، ومار يوحنا مارون، وسيدة النصر، ومار عبدا هرهريا، والرومية، وريفون، وحوقا، وغيرها من مدارس الطائفة، لتعليم اللغات العربية والسريانية والايطالية واللاتينية، والعلوم الفلسفية واللاهوتية والطبيعية، الى جانب العلوم الأخرى، تماماً كما كان يتعلّم في معهد روما الماروني. كما أوعز الى الكهنة ايضاً بالقاء المواعظ في قدّاس أيام الآحاد والأعياد(٦). ولم يكتف بذلك بل أنشأ جمعية مرسلين في العام ١٨٤٠ تقيم في عينطورة حيث يدرّبها علماء مشهورون بالوعظ والخطابة، ويتجوّل افرادها في القرى اللبنانية للوعظ والارشاد. وفي الوقت نفسه تصدّى للمرسلين الانجيليين الذين امّوا بيروت للتبشير، ففضح تعاليمهم، وحرّم إقتناء كتبهم التي تحرّف تعاليم الكنيسة. ومنع من ارسال الاولاد الى مدارسهم. كما وقف بحزم مع الثوار اللبنانيين لمواجهة الأمير بشير الذي لا يقبل النصح، ويصرّ على ابتزاز الشعب إرضاءً لاسياده العثمانيين، وحلفائه المصريين لاحقاً. وكان البطريرك حبيش قد عمل جاهداً، وهو اسقف، لإبقاء اللحمة بين المواطنين، وتضامنهم لرفع ظلم الأمير بشير في العام ١٨٢١، مع أن هذا الأمير كان قد تنصّر وأبقى الأمر سرياً، بالاتفاق مع البطريرك الذي استمزج رأي الفاتيكان بذلك، وجاءه الردّ، ردّ مماثل لزوجة الأمير من الكرسي الروسلي بقبول كتمان الأمير انتماءه المسيحي. وكانت زوجة الأمير قد كتبت في ٢ تشرين الاول سنة ١٨٣٩ تقول: "إن الأمير يلتزم بالطاعة لرأس الكنيسة"(٧). والبطريرك قال من ناحيته: "إن سعادته لأجل بعض ملاحظات لا تغباكم، لا يكاتب نواحيكم، لا جوابا ولا خطاباً، كما هي عادته دائماً" (٨). ومع هذا تفهّم قداسة البابا هذه الأسباب وشجّع الأمير عليها، وكتب اليه رسالة في ١٠

تشرين الثاني سنة ١٨٣٠ يقول فيها: "الابن الحبيب الأمير بشير، أمير جبل لبنان المعظّم... لقد اتّضح لنا... من غيرتكم، واحتضانكم، وحمايتكم للايمان الكاثوليكي... وإننا مرسلون لكم شخص المسيح من فضة منطرحاً على حضن والدته الكلية القداسة، مع جزء من عود صليب السيد الموّقرة، وأضفنا الى ذلك أيقونة من ذهب، ومسبحة للصلاة. نرغب أن تتسلّم إلى قرينتكم إبنتنا الحبيبة بالمسيح" (٩). وهل مثل هذه الهدايا تقدّم إلى غير مسيحيين؟ فمسيحية الأمير ثابتة، ولكنه أخفاها بالاتفاق مع البطريرك والكرسي الرسولي كي لا تثير نقمة العثمانيين وولاتهم عليه، كما أشرنا سابقاً.

**فتك الأمير بشير بأعدائه ومكافاة انصاره**

بعدما فتك الأمير بشير الثاني بمدبريه جرجس وعبد الاحد باز سنة ١٨٠٤، وبصديقه الذي استدان منه مبلغ ٥٠٠ ألف قرش لدفعها لوالي عكا كي لا يفقد الامارة، الشيخ بشير جنبلاط، زعيم الحزب الجنبلاطي، الذي قضى بشنقه، والي عكا عبد الله باشا، في "٩شوال سنة ١٢٤٠ هـ (الموافقة للعام ١٨٢٥)، وأمر بهدم جامع المختارة" (١٠)، فانتهى حلمه بإنشاء "إمارة درزية مجتمعة تمتدّ من البحر إلى جبل حوران، يكون هو المهيمن عليها، ويكون معظم سكانها جنوداً له"(١١)، انتقل الأمير لتصفية أنسبائه الامراء الشهابيين الذين ناصبوه العداء، فأمرهم بملازمة بيوتهم، ثم اعتقل سلمان فارس سيد احمد، وعبّاس أسعد، وفقأ عينيهما، وقطع رأس لسانيهما كي يعطّل مزاحمتهما له على الحكم، ثم أطلقهما. ولم يكتفِ بذلك بل لاحق أخصامه في كل الاسر والمناطق، وفتك بهم ببربرية منقطعة النظير. وانصرف بعد ذلك إلى مكافأة أتباعه ومناصريه فخصّ الأمير خليل إبنه باقليم جزين واقليم التفاح، وإبنه الآخر قاسم باقليم العرقوب، وأرسل الأمير حيدر الشهابي إلى بيروت لتسلّمها، وأسعد شهاب لتسلّم صور، والامير ملحم لتسلّم الشويفات وصيدا، والشيخ حسين حماده لتسلّم إقليم الخرّوب، والشيخ ناصيف نكد مقاطعة الشوف، وبيت تلحوق الغرب التحتاني ما عدا الشويفات. ولم يعد هناك من يتجرّأ على الوقوف بوجه الأمير، بل تسابق الجميع للانطراح على قدميه وطلب رضاه. ولا سيما المعلم بطرس كرامه الذي جعله مدبّره ومستشاره الخاص،

والشيخ ناصيف اليازجي الذي كلّفه بتربية أبنائه، وغيرهم من الشيوخ المسيحيين ولا سيما الموارنة. ولكنه لم يلبث أن عاد فضرب معظم هؤلاء الذين قرّبهم منه بعد مدة قصيرة، ليبقى سيّد البلاد الاوحد، لا ينازعه في سلطانه احد، صديقاً كان ام عدواً.

## مهاجمة بيروت من قبل الفرنج والاقتصاص من المسيحيين

في ١٧ اذار سنة ١٨٢٦ هاجم اسطول غربي مؤلف من ١٣ سفينة مدينة بيروت، فتصدّى له والي صيدا عبد الله باشا، بمساعدة الامير بشير، وأرغما الحملة البحرية على الانسحاب فاشلةً. وكانت له ردّة الفعل على هذا الاعتداء أن شنّ المسلمون في صيدا وبيروت هجوماً على مسيحيّي المدينتين، مما اضطرهم للنزوح إلى الجبل تاركين بيوتهم وأملاكهم واعمالهم. ثم توسّط الأمير بشير لهم فأعفاهم عبد الله باشا، وسمح لهم بالعودة.

وفي العام ١٨٣١ ضرب مرض الطاعون البلاد ففتك بالآلاف، لكن التدابير الوقائية التي اعتمدها الأمير، وفي مقدّمها حصر المصابين وعدم إختلاطهم بالاصحّاء (كرنتينا)، أدّى إلى حصر عدد الوفيات. وفي العام ١٨٢٥ امرّ شقيق الوالي مصطفى بك "قسوس الكنيسة أن يخفضوا اصواتهم عند قراءاتهم فيها لئلا يكون نائماً فيستيقظ"، وكان قد استولى على المنزل الذي يقيم فيه بعد هروب أصحابه آل الصرّاف المسيحيون خوفاً من مظالم سليمان باشا العظم الوالي السابق، مع كثير من الأهلين. اما أخوه والي المدينة علي بك، فبنى منارةً على سطح "قبو سفلي يخصّ بيت الغريّب الذي هدمه، وجعلها جامعاً كي لا يرجعوا، ويعيدوا بناء بيتهم. وصار يلص ويصادر الأموال حتى ألقى القبض على أحد الكتّاب المسمّى وهبه صدقه، ونصب له خشبة ليخوزقه بها على باب الكنيسة. وألقى إبنه نعمة تحت الضرب والعذاب المبرح حتى تناثرت أظافر رجليه قبل قتله... وأراد أن يقبض على تراجمة القناصل ويصادرهم، فهربوا من المدينة، وتواروا مع قناصلهم في لبنان. ثم استحضر فرماناً بقطع رأس مصطفى بربر، وضبط امواله، فهرب المذكور إلى الجبل مستظلاً بالامير بشير، وأقام في الشويفات" (١٢). وكان مصطفى بربر قد التجأ في السابق إلى الديمان حيث احتمى بالبطريرك الماروني يوحنا

الحلو فأوصى به الأمير بشير ليحسن وفادته ويتوسّط له لدى عبد الله باشا(١٣).

وبسبب ثورة مسيحيي اليونان على العثمانيين سنة ١٨٢٦، جاء مأمور مخصوص من طرف عبد الله باشا إسمه مصطفى آغا، وكان يحمل كرباجاً، فلقّبوه بأبي كرباج، وكان مع المذكور اوامر من الباشا، ومن الأمير بشير حاكم الجبل، تصرّح له بها، "بسلب اموال النصارى، وضبط موجوداتهم ومنقولاتهم، وأن يبحث حتى في الاديرة وفي قرى الجبل، وكان أكثر اولئك المساكين قد هربوا منذ شيوع تلك الأخبار، بحريمهم واولادهم الى الجبل بحسب مألوف عادتهم... وخلت بيوتهم من السكان... وراح ينهب ما تصل إليه يده. ثم أرسل جماعته، وقد عُرفوا بالضبّاطة إلى قرى لبنان والاديرة التي غُرّموا (غُرّمت) بالتجاء الهاربين اليها، فكان اولئك الرجال يهربون لدى وصول الضبّاطة من الشبابيك والنوافذ، وبعضهم يلقون بأنفسهم من السطوح، او يتدلّون عنها بحبال الأرض فيهشّمون، وتُرضّى أجسامهم، ومع ذلك يسعون إلى الاختباء في المغائر والكهوف، فيسرع الضبّاطة إلى النساء والاولاد ويأخذون كل ملابسهم إلاّ ما يستر العورة فقط... ومن ثم يسلبون الموجودات من الصناديق المملوءة ثياباً... ويرسلون ذلك إلى مجتمع غنائمهم طرابلس... فلما سكن الهياج، وراق الحال، وضع مصطفى آغا منهوباته في خان الصاغة أطلق النداء على النصارى أن يأتوا، وكل من عرف شيئاً أنه له يأخذه بعد أن يدفع فكاكه إلى الميري... وإذا به مملوء من رثيث الثياب والأشياء التي لا قيمة لها. وبهذا عظم المصاب على النصارى حتى أنّ منهم من عجز عن وفاء المال الذي استدانوه لفكاك حوائجهم. وعُرفت تلك الأيام بسنة أبي كرباج..."(١٤).

وسنة ١٨٢٦ فرّ نصارى بيروت إلى الجبل بسبب غزوة قراصنة اليونان، "فقبض المسلمون على من أدركوه، وسبوا النصارى بأمر من الحكومة، وفتحت حوانيتهم، وكُتبت بضائعهم بحضور القاضي فذهب ريعها ضياعاً... ثم كتب الأمير (بشير) إلى عبد الله باشا يلتمس اطلاق المسجونين، وإرجاع الاموال فأجابه إلى ذلك... وكتب إلى الامير أن ينبّه على الهاربين بالرجوع إلى أوطانهم آمنين فرجعوا..." (١٥).

ولم يسلم مسيحيو دمشق أيضاً من مثل هذه الاعتداءات، بل كان أمرهم أكثر صعوبةً إذ شملت "اعظم التعديات على أهل العرض والذمّة، حتى أصبحت فتيات النساء لا تقدر على الخروج من بيوتهن إلا تحت خفارة حارس مقتدر. وتلزم الفتاة أن تلبس ثياباً رثّة، وتحني ظهرها ليظنّها من يراها عجوزاً... ولذلك كان أصحاب الذمة (من المسيحيين) يفضلون السطوة من الاسلام لحماية نفوسهم... وقد صان كبير أغوات دمشق علي آغا خزينة كاتبي (كاتب الخزينة) المسيحيين واليهود من تعدّي الأسافل... وكان للمدينة (دمشق) على النصارى واليهود مال جزية الرأس (ضريبة صيانة الرؤوس من القطع)، ومال عنب الكنائس (ضريبة كروم). أما المسلمون فلم يكونوا يدفعون شيئاً البتة" (١٦).

وهذه التعديات المتواصلة كانت ولا شك وراء ترحيب اللبنانيين، نصارى ويهود، بدخول القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا إلى بلادهم، لانقاذهم من هذه المظالم. وقد استغلّ المصريون هذا الشعور المعادي للعثمانيين، ووعدوا بالمساواة وإطلاق الحرية الدينية، مما جعل الموارنة يرون فيهم منقذين لا محتلّين، فتناسوا المضايقات التي كابدتهم من حكم الأمير بشير، وانطلقوا بقيادته مرّحبين بالحكم المصري.

## ٢- الدخول المصري الى لبنان والشرق

### سطوة الجيش اللبناني في المنطقة

على أثر الحروب التي خاضها الجيش اللبناني، وأكثريته مارونية، بقيادة أميره الشهابي داخل البلاد، وخارجها، إبتداءً من معركة المزّة الشهيرة، ومعركة إخضاع النابلسيين الثائرين، والوهّابيين، والعرب في قلعة سانور واحتلالها و"نشر بيرق سيدة التلّة على اسوارها" (١). كل هذه المواقع جعلت الجيش اللبناني بقيادة الأمير بشير، ومدبريه الموارنة، سيد الساحة في المنطقة بكاملها، والجميع يخاف الوقوف بوجهه ومقاومته.

### حملة إبراهيم باشا المصري

تنفيذاً للمعاهدة السرية المعقودة بين عزيز مصر محمد علي بك الكبير، والامير بشير الثاني الكبير، في العام ١٨٢٢، هاجمت الجيوش المصرية بقيادة ابراهيم باشا، إبن محمد علي، فلسطين وحاصرت عكا سنة ١٨٣١، فهبّ الأمير بشير على رأس الجيش اللبناني لمساندة حليفه، يرافقه مصطفى بربر، فتمّ لهم احتلالها في تشرين الاول من السنة ذاتها، وانفتحت امامهم ابواب الشرق، فتقدّموا عن طريق الساحل نحو طرابلس التي قاومت ولكنها سقطت بيدهم، فتمّ تسليمها إلى مصطفى آغا بربر. ثم تابعت الحملة زحفها عبر البلاد السورية باتجاه بلاد الأناضول بمشاركة فرقة من الجيش اللبناني بقيادة الامير خليل إبن الأمير بشير الشهابي. وبعد احتلال ودمشق وحمص وحماه وحلب، دخلت الجيوش المصرية الاراضي التركية.

رسالة الجزار إلى مصطفى بربر (من كتاب الدكتور سليم هشي «المراسلات اللاجتماعية والاقتصادية».

كان الموارنة وبطريركهم يوسف حبيش والاساقفة والكهنة يساندون الحملة المصرية بكل قواهم. ويحضّون رعاياهم على المشاركة فيها (٢). وقد بلغ مجموع المتطوعين الموارنة تسعة آلاف مقاتل بقيادة مشايخهم عدا الذين كانوا في عداد جيش الأمير وولديه قاسم وخليل (٣). و"الفضل يعود في إخضاع سوريا للمصريين سنة ١٨٣٨ (على حدّ قول القنصل الروسي في بيروت بازيل) يعود إلى بسالة اللبنانيين. كما أن طردهم منها سنة ١٨٤٠ يعود إلى ثورة هؤلاء عليهم" (٤)، ذلك لأن البطريرك حبيش لما لمس ما يعانيه اللبنانيون من السخرة، والتجنيد الالزامي، والضغط، وجمع السلاح، عاد فانقلب عليهم، ووقف مع الثوار اللبنانيين ضدّ الوجود المصري في لبنان.

## ابراهيم باشا والدروز

رفض الدروز الدخول المصري إلى لبنان، وقاوموه بشدّة، فوجّه إليهم ابراهيم باشا ولدي الأمير بشير قاسم وخليل على رأس قوة مارونية، فأخمدت ثورتهم وجمعت منهم السلاح، فعضّ هؤلاء على الجرح، واستعر الحقد على الموارنة في قلوبهم، مع أن هذا العمل لم يكن مخطّطاً من قبل الموارنة بقدر ما كان مجرّد تنفيذ لأوامر من القيادة العسكرية للجيش المصري الذي يقوده الاميران، باعتبارهما ملمان بطبيعة الأرض والمسالك التي ينطلق منها هؤلاء الثوار. وقد أدى هذا التدخّل من جانب الفرق المارونية إلى إيقاظ الثغرات الطائفية التي ستنفجر حرباً أهلية بعد عشرين عاماً.

وصدرت أوامر إبراهيم باشا بهدم "دور الدروز، ولا سيما النكديين، والجنبلاطيين، والعماديين، ودار محمد القاضي، في كلّ من كفرنبرخ والمختارة، ودير القمر" (٥). ثم دخل ابراهيم باشا شخصياً إلى بتدّين على رأس عشرة آلاف من رجاله، ومنها انحدر الى دير القمر، حيث راح يجمع سلاح الدروز، ولم يوفّر في طريقه أسلحة النصارى. وخلال "ثلاث ساعات، والقول للشدياق، قدّمت له جميع اسلحة النصارى". كما قبض على ألف ومايتين شاباً درزياً، وأرسلهم الى عكا، بالاضافة الى اربعة آلاف شاب من النصارى ضمّهم الى جيشه، ووعدهم بوهبهم السلاح الذي وُزّع عليهم، وأمرهم بالزحف لقتال الدروز في حاصبيا حيث

قُتل الشيخ فضل الخازن وسبعة عشر رجلاً في كمين نُصب للمهاجمين. لكن المعركة أسفرت عن استسلام الدروز، وانضمام قائدهم شبلي العريان الى رجال ابراهيم باشا الذي "جعله قائداً على ألف فارس هوّارة" (٦).

## فتنة طرابلس ضدّ المصريين والمسيحيين في المدينة

في الثالث من تموز سنة ١٨٣٤ دخل الأمير خليل شهاب الى طرابلس برفقة قائد الحامية المصرية في المدينة، سليم بك، "فقبض على ٢٥ رجلاً من الجانحين الى الفتنة... وعوقب الطرابلسيون بقتل ثلاثة عشر رجلاً من أعيانهم" (٧). وكان الطرابلسيون يغيرون على الجيش المصري والفرق اللبنانية المرافقة له والمشاركة في الحملة، كلما سنحت لهم الظروف، في شوارع المدينة، ويدفعون الضحايا في صفوف العساكر. ولوضع حدّ نهائي لهذه التعديات، قبض الأمير خليل على العصاة وجرت تصفيتهم، ومن يقف وراءهم من أعيان المدينة.

## عاقبة مشاركة الموارنة في الحملات المصرية على الدروز

لقد علّق المؤرخ الماروني الأب بولس قرالي في كتابه "المقاطعة الكسروانية"، على مشاركة الموارنة في المعارك ضد الدروز بالقول: "إن أعظم تضحية قدّمها مسيحيو لبنان الى اصدقائهم المصريين، هي محاربة الدروز جيرانهم... بيد أن النصر الذي احرزه الموارنة لمصلحة حلفائهم كلّفهم ثمناً غالياً، إذ ما كاد المصريون يجلون عن سوريا ولبنان سنة ١٨٤٠، حتى انقضت الدروز مع الحكام العثمانيين، وحلفائهم الانكليز الذين سخّروهم بمذابح سنة ١٨٤١ و١٨٤٥، و١٨٦٠ الهائلة التي فقد فيها موارنة الشوف والجنوب القلائل ثلث عددهم وخرّبت بيوتهم، وتشتت أيتامهم وأراملهم" (٨).

## إحصاء عام ١٨٣٢

في العام ١٨٣٢ اراد القائد ابراهيم باشا أن يفرض ضريبة على سكان جبل لبنان، فطلب من الأمير بشير إجراء إحصاء لرجال البلاد، على أن تتراوح الضريبة بين خمسماية وخمسة عشر غرشاً، كلّ حسب قدرته. وبلغ عدد الرجال "دون العاجزين، والقاصرين، وذوي العاهات: ثمانية وثلاثين ألف رجل" (٩). وكان رجال

الدروز يشكّلون خمس هذا العدد، حسب ما يشير اليه المؤرخ طنوس الشدياق في كتابه "تاريخ الأعيان" (١٠).

## الثورات تتواصل ضد المصريين في جميع المناطق اللبنانية

بعد أربع سنوات من النضال الى جانب المصريين، عاد الموارنة فانقلبوا عليهم سنة ١٨٣٦، عندما تبيّن لهم أن هدف المصريين كان القضاء على السيادة اللبنانية، وسلب الحريات، وحقوق المواطنين، وهو الأمر الذي لا يساوم عليه الموارنة إطلاقاً، من أي جهة جاءت هذه المحاولة، صديقاً كان ام حليفاً. وقد أدرك النصارى عندها بأن دورهم آت، فور الانتهاء من القضاء على مقاومة الدروز. ومع هذا ظلّ الأمير بشير مخلصاً للدروز، كما أشار قنصل فرنسا العام في مصر المسيو ميمو في تقرير الى وزير الخارجية مسيوسيبا ستياني، نقلاً عن لسان محمد علي، وأثبت ذلك المطران بطرس ديب في "تاريخ الكنيسة المارونية" (١١).

وتلاحقت الثورات ضدّ المصريين حتى عمّت كافة مناطق لبنان، بسبب ولاء الأمير بشير الأعمى للمصريين، وعدم تراجعه عن مساندتهم بعد ظهور نواياهم الاستعمارية، أسوة بمعظم أبناء شعبه. وهذا نابع من مصلحة الأمير الشخصية، إذ كان المصريون الرصيد الوحيد الباقي له للاحتفاظ بكرسي الحكم.

وأخذت تلك الاحداث أبعاداً دولية، إذ ساند الفرنسيون المصريين، وحالفوهم، فيما ساند الانكليز العثمانيين خوفاً من تغلغل النفوذ الفرنسي في الشرق ودعموا الثوار اللبنانيين بكل قواهم، عن طريق توزيع الاسلحة عليهم، والتهويل بالاساطيل الانكليزية والعثمانية وتشديد عزائم الثوار، وتوحيد صفوفهم. فتلاحقت الانتفاضات من عاميّة حرج بيروت، الى دير القمر، الى انطلياس، الى كسروان، وصولاً الى صيدا والبقاع وطرابلس والبترون وجبيل، وكافة المناطق اللبنانية.

## مقدّمات الثورة على المصريين

بالرغم من الروح العلمانية التي تمظهر بها المصريون لدى دخولهم الأراضي اللبنانية، كردٍّ على التعصّب العثماني، ومن أجل تطمين المسيحيين، ظهرت حقيقة النوايا المصرية بالضغط على المواطنين، وتسخيرهم في استخراج الفحم من مناجم

صليما، وبجمع السلاح الذي وعدوا بتركه للمواطنين، لا سيما الموارنة منهم، وبفرض الضرائب الباهظة، وجمع القمح والمؤن بحجة حاجة الجيش إليها... كل هذه الأمور جعلت المواطنين من مختلف الطوائف والمناطق يعيدون حساباتهم، ويدّقون النفير، مطالبين برفع هذه المظالم عنهم، وإلا يضطرّون للتمرّد والمقاومة. واول من قرعوا بابه لاستجابة مطالبهم كان الأمير بشير بصفته حاكم لبنان، والقيادة المصرية المعنية بهذه المطالب التي لخّصها اللبنانيون بالتالي:

١ ـ وجوب دفع مال واحد فقط، وعدم جواز مضاعفة الضرائب والشعب في ضائقة بسبب الحرب.

٢ ـ منع السخرة واستخراج المعادن.

٣ ـ ترك السلاح الموزّع عليهم... .

وبعد رفض الأمير واعوانه المصريين هذه المطالب التي كان يوصي بها الأمراء الشهابيون واللمعيون والحرافشة ومشايخ آل حبيش والخازن والدحداح، للثوّار، قام القناصل الغربيون التابعون للدول المعادية لفرنسا حليفة المصريين، من الانكليز والروس والبروس والنمسويين، بالاضافة الى المسؤولين العثمانيين، بتوزيع الاسلحة على الثوار، وبتشديد عزائمهم، ووعدهم بكل أنواع الدعم لمواصلة نضالهم ضد الامير بشير وحلفائه المصريين حتى يتمّ إجتماع دول اوروبا المنوي عقده قريباً، وإصدار القرار المنتظر بوقف حملة إبراهيم باشا مقدّمة لإنهاء الوجود المصري في الشرق وتمهيداً لعودة المصريين الى بلادهم.

وبالمقابل شدّد ابراهيم باشا اوامره بوجوب فرض التجنيد الاجباري على الدروز في حوران، والمسلمين السوريين. فانسحب الدروز من حوران الى اللّجا ليسهل عليهم المقاومة، وانضم اليهم رافضو الوجود المصري من كل الطوائف، ولا سيما دروز لبنان بقيادة شبلي العريان، وناصر الدين العماد، وحسن جنبلاط وغيرهم. ولما عجز ابراهيم باشا عن اخماد ثورتهم، طلب من الأمير بشير إرسال إبنه على رأس فرقة من المسيحيين. وعلى الرغم من معرفة الأمير بعواقب مثل هذا الأمر، اختار رجلاً مسيحياً يدعى جرجس الدبس ليعمل دليلاً لابراهيم باشا

باعتباره ملماً بتحركات الدروز ويعرف جيداً منطقة وادي التيم. وكان جرجس هذا "يعطي المصريين توجيهات مضلّلة" ليقعوا في الكمائن بين يدي الثوار(١٢).

ولما أدرك النصارى أن ابراهيم باشا أمر بتجريدهم من اسلحتهم الذي وعد أن تكون مؤبّدة لهم، تراجعوا عن تأييده، وانضمّوا الى اخوانهم الدروز والمتاولة، ورفضوا تسليم اسلحتهم، واجتمعوا في دير القمر في ٢٧ ايار سنة ١٨٤٠، واقسموا على العصيان، بينما كانت الثورة قد انطلقت منذ العام ١٨٣٩ في بيروت، واجتمع الثوار في حرج بيروت لتنظيم أعمال الثورة، حيث انطلقت الشرارة الاولى التي أشعلت البلاد بأسرها.

## عاميّة حرج بيروت

بعدما ساءت العلاقات بين اللبنانيين، نصارى. ومسلمين ودروز، احتدمت الثورات في كل مكان ضدّ هؤلاء الغزاة، فتراجع المصريون عن وعدهم الموارنة بعدم تجريدهم من الاسلحة التي زوّدوهم بها سابقاً، واوعزوا الى السرعسكر سليمان باشا الفرنساوي، قائد الجيش المصري في لبنان لينزع سلاح المواطنين على اختلاف مللهم. و"هاج نصارى الدير (دير القمر) لما علموا أن سليمان باشا الفرنساوي (الكولونيل ستيف الذي تخلّف عن جيش نابوليون، وبقي في مصر، فانخرط في جيش محمد علي، وتعهّد بتدريبه) قادم اليهم لينزع سلاحهم منهم، وتبعهم بعض رجال من بعبدا، وقبضوا على نفر من النظام المصري كانوا ذاهبين من دمشق الى بيروت. وتهوّس رجل يقال له أبو سمرا غانم البكاسيني الماروني، ورجل آخر اسمه احمد داغر المتوالي، واجتمع اليهما بعض الرجال في حرش بيروت، وتبعهم الشيخ فرنسيس أبو نادر (الخازن) الغسطاوي، فجعلوه قائدهم، وتلقّب سرعسكر النصارى. فكتب الامير بشير الى بعض امراء بلّمع (ابي اللمع) أن يتهدّدوا عاميّة الحرش وينصحوهم، فتوجّه الامراء المذكورين الى سنّ الفيل، وشرعوا ينصحون العامة جهاراً، ويخيفونهم من قوة الأمير، ولكنهم كانوا يشدّدون عزائمهم سراً. فلم يُثْنَ عزم العامة لنفورهم من الحكومة المصرية، لإحداثها الزيادة في الاموال (الضرائب)، وللسخرة، وشغل الحفر في معدن الفحم الحجري في قرنايل، ولطلبها منهم السلاح. فلما عرف محمد علي بما كان، كتب للأمير أن

يعدل عن أخذ سلاح النصارى، فأرسل اليهم إبنه أميناً، فلما وصل استدعى وجوه العامة، وشرع يسترضيهم. وبعد هذا أوعز الى أربعة من الامراء الشهابيين لمخاطبتهم في الحرش، فأجابوا أنهم لا يرجعون إلا بقبول شروطهم، وهي:

أولاً: أن لا يعطو إلا مالاً واحداً.

ثانياً: أن الامير يرفع بطرس كرامه من ديوانه.

ثالثاً: ان يرفع عنهم السخرة وحفر المعدن.

رابعاً: أن يكون من كل طايفة إثنان (أي تأليف مجلس مندوبين يعاون الحاكم في الحكم)

خامساً: أن يبقى لهم السلاح."

"وكانت هذه الشروط التي لقّنها الامراء للعامة. فلما جهر القوم بها، كتب الامراء الى الأمير. ثم انحدر الى الحرش جماعة من بني شهاب واللمع، واعتصبوا مع العامة، وتفرّقوا في البلاد لقطع الطرق على العسكر المصري. وانضمّ اليهم بعض الخوازنة، وماروني من بكفيا إسمه يوسف الشنتيري... وكان الشهابيون واللمعيون، وبعض الافرنج (الانكليز بصورة خاصة) يشدّدون العامة، ويحرّضونهم على الثبات ضدّ المصريين، ويخبرونهم باتفاق الدول على اعدائهم، ويعطونهم من البارود والرصاص شيئاً..." (١٣).

**انتقال المعارك الى الشمال والجبل**

وقد انضمّ الى رجال العاميّة الذين اختاروا "دكان الطيونة" مقرّاً لقيادتهم، جماعة من "الدحادحة، وآل حبيش، والحمادية، وجمعوا رجالاً من جبيل... وبعض بني الخازن وبني الصالح (آل الخوري رشميا). وجاءوا إلى زغرتا فخرج اليهم يوسف بك شريف (متسلّم طرابلس) بأربعة الاف من العسكر النظامي، وحاربهم، فانكسر ابو سمرا بجماعته الى قرية إيعال... وانفضّ اللبنانيون من حول ابي سمرا... وجمع الأمير علي اللمعي رجال المتن، وسار بهم الى المريجات، فقدم الأمير خنجر الحرفوش واخوه الأمير سلمان (امراء البقاع) ومعهم جماعة، ونهض

الامراء الشهابيون (من وادي التيم) واللمعيون (من المتن) بعسكر العامة من الحازمية والدكواني لقتال المصريين، وتلاقوا بهم في الأشرفية، فهزمهم العسكر المذكور، وجدّ الأرنبود (الارناؤوط المصري)، فتبدّدوا (اي الثوار اللبنانيون) مخزولين..." (١٤).

وتجدر الاشارة هنا الى أن صاحب هذه المعلومات هو المؤرخ نوفل نوفل الذي عاصر تلك الاحداث، وعانى من ظلم الاتراك وولاتهم في طرابلس. ويمكن القول أن هذه الحركة التي وصفت بالعاميّة، مع أن الامراء هم الذين أوحوا بها حتى ظهرت للبعض وقادوها، الى جانب رجال الدين والاقطاع؛ هي أكثر من حركة عاميّة محدودة، والاصح أن نطلق عليها إسم "الثورة العامة" ضدّ المصريين او "ثورة اللبنانيين على الحكم المصري".

وأولى نتائج هذه الحركة المحدودة في حرج بيروت التي خاضها اللبنانيون بمواجهة المصريين والامير بشير حليفهم، هي استعادة الوحدة الوطنية، واللحمة بين الدروز والنصارى التي كان قد فسخها المصريون بتوجيه حملة مارونية ضدّهم وقد ظهر جليّاً للفريقين أن الأجنبي الطامع بهم وببلادهم هو الذي دفعهما معاً للمواجهة والتقاتل خدمة لمصالحه، إن في حاصبيا، او في غيرها من المواقع. وما إلتقاء الشيخ فرنسيس الخازن "سرعسكر النصارى" كما لقّب في تلك المواجهة مع المصريين في حرج بيروت، بالمتوالي أحمد داغر، والمارونيين يوسف الشنتيري وابي سمرا غانم، ومشايخ الدروز، وبالاضافة الى امراء بني اللمع وشهاب، ومشايخ آل الدحداح والخازن وحبيش الموارنة، إلاّ أكبر دليل على وحدة اللبنانيين تجاه الاخطار الكبرى التي تهدّد كيانهم الوطني، والردّ القاطع على كل الاعداء الخارجيين اللاعبين بالنار اللبنانية، بأن هذه النار اللبنانية المتمثّلة بعشق الحرية والسيادة والاستقلال، ستحرق كل الاصابع التي تحاول وقدها للقضاء على هذه القيم التي لا ولن يتنازل عنها اللبنانيون، لأيّ كان، قريباً منهم، او بعيداً عنهم، حليفاً او صديقاً، شقيقاً ام عدوّاً.

وقد أشارت الكاتبة الروسية سيميليا نسكايا في تعليقها على هذه الثورات التي وصفتها "بالفلاحية"، قائلة إنها لم تؤدّ إلا "إلى تعميق الحركة المناهضة

للإقطاعية، والى ولادة التنوير في المجال الايديولوجي" (١٥).

## تفريق الثوار وجمع السلاح

وما أن أطلّ عسكر الأمير خليل الشهابي الى حيث اجتمع رجال عاميّة حرج بيروت، حتى فرّ "جمهور الساحل"، وتوجّه كل منهم الى منطقته، وفي مقدّمهم الأمير محمود سلمان الشهابي الذي راسل الأمير عباس كنج الشهابي ليشفع به لدى الأمير بشير. ثم تمّ القبض عليه، وعلى الأمير يوسف الشهابي، ووُضعا "في محرس"، كما كان يُطلق على السجن في تلك الأيام. ثم اعتُقل عدد من مشايخ بني نكد، وتابع الأمير خليل زحفه الى كسروان حيث قاوم الثوار، واستماتوا في الدفاع عن قراهم الساحلية، ولم يلبثوا أن رضخوا للأمر الواقع، وقدّموا أسلحتهم بعدما أكرهوا على ذلك، و"اضطرّ من ليس بحوزته سلاح أن يشتريه لتسليمه الى الدولة. كما قبض على الشيخ نقولا الخازن، وأرسل مخفوراً الى بتدّين. اما "سرعسكر النصارى" الشيخ فرنسيس الخازن، فقد فرّ الى قبرص، وتبعه الى هناك المشايخ بشارة وحصن وروفايل الخازن. ثم نفى الأمير بشير الامراء فاعور ويوسف وفارس ومحمود الشهابيين، وثلاثة من الامراء اللمعيين وهم حيدر وعلي وعبد الله فنُقلوا الى صيدا فعكا، ونُقلوا فيها الى مصر. ثم أُلحق بهم بعض مشايخ آل نكد، والشيخ نقولا الخازن، وستة وأربعين عامياً..." (١٦).

وكان الدروز في حاصبيا اول من وقف بوجه الدخول المصري، فما كان من ابراهيم باشا إلاّ أن كتب الى الأمير بشير أن "يجمع أربعة آلاف من نصارى لبنان، ويسلّمهم اسلحة مؤبدّة، لهم ولذريّتهم، ويوجههم صحبة ولده الأمير خليل الى حاصبيا لقتال الدروز... في غضون ذلك حضر الشيخ ناصر العماد يلتمس من الأمير صفو الخاطر، وعرض نفسه للخدمة لينال المكرمة منه، فطيّب قلبه، وأمر بصلة (بمساعدة) فقبضها وسار الى العريان (شبلي)... وبلغ ابراهيم باشا ذلك فحمل عليهم بشطر من عسكره... ثم قتل الشيخ ناصر الدين، ولم ينج من اصحابه سوى خمسين نفراً. اما الشيخ حسن (جنبلاط) فلما أيقن أن لا نجاة له ولقومه إلا بالهرب، فرّ بمن نجا منهم الى شبعا. وقد قُتل من أصحابه مائة وثلاثون نفراً. وأما العريان فلم ينجد الشيخين، بل ظلّ متربّصاً تجاه عسكر ابراهيم باشا. ثم تجمّعت

الدروز مذعورين الى شبعا..." (١). فلاحق الأمير خليل الدروز الهاربين الى شبعا ففرّوا من وجهه "راجعين الى اوطانهم مذلين" اما العريان "فانفضّ عنه اكثر فرسانه، فطلب الأمان من الوزير (ابراهيم باشا)، فأعطاه الأمان، فحضر اليه، فجعله قائداً على ألف فارس هوّارا" (١٨). وقُتل في هذه المعركة التي أشرنا اليها سابقاً "الشيخ فضل الخازن، وسبعة عشر فارساً بينهم الشيخ يونس شروان حبيش، ويوسف بو شمعون حامل بيرق سيدة التلّة. وقُتل من الدروز، حسب المستشرق بوجولا ثمانية آلاف" (١٩).

وبعد هذه المعركة، صفح الدروز عن زعيمهم شبلي العريان الذي مشى في ركاب أعدائهم المصريين، لكنهم لم يصفحوا عن الموارنة الذين نفّذوا اوامر قياداتهم بوقف التمرّد، وانتظروا حلول الاعوام ١٨٤٢ و ١٨٤٥ و١٨٦٠ ليقتصّوا منهم بالتعاون مع العثمانيين ببربرية لا حدّ لها.

وهكذا انفضّ رجال العاميّة الأولى ضدّ المصريين عن قادتهم، في الوقت الذي اعتُقل فيه قادة آخرون ونُفوا الى مصر، في حين ترامى قادة آخرون في أحضان الأمير، طالبين الصفح، ومع هذا رفض الأمير بشير قبول شفاعتهم واعتذارهم والعفو عنهم، وراح يزجّ بالقائمين منهم بالعصيان في سجون دير القمر حتى بلغوا العشرات، هذا عدا الذين نفاهم الى مصر، وقُدّر عددهم "بسبعة وخمسين قائداً مقيّدين أزواجاً أزواجاً". وكان بينهم أربعة أمراء من الشهابيين، وأربعة من اللمعيين، وثلاثة من مشايخ النكديين، وواحد من الخازنيين، والباقي من العامة. والناجون من الاعتقال هم: الشيخ فرنسيس الخازن قائد الحركة، والامير اسماعيل اللمعي، والمشايخ الخازنيون بشارة وابنه حصن، وروفايل. أما الامير فارس بللمع، فقد توسّط له مع الأمير مدبّره الشاعر بطرس كرامه، فعفا عنه. وأنزل المعتقلون في قلعة الاسكندرية. ومنها نُقلوا الى بلاد سنّار في السودان. ثم أُعيدوا الى البلاد باستثناء الأمير يوسف سلمان شهاب الذي تُوفي في المنفى، بعد استسلام الأمير بشير للانكليز ونفيه الى مالطا سنة ١٨٤٠.

وكان حاكم مصر، محمد علي، قد كافأ الموارنة لاشتراكهم في قتال الدروز في حاصبيا بإهدائهم "٢٤ ألف بارودة... لهم ولاولادهم مدى الحياة". ثم استعادها

عندما رفع الموارنة لواء العصيان، ورفضوا المساومة والسكوت على سلب حرياتهم وحقوقهم واستقلال بلادهم.

### الضرائب المصرية على المواطنين حسب درجاتهم

كانت الضرائب التي يدفعها مواطنو إمارة بشير الثاني الممتدة من أطراف الشوف الى أطراف جبيل، وتدعى "الفردة"، تُجمع من كل مكلّف حسب درجته: "خمسة وعشرين غرشاً (للعامة من الفقراء)، والأكثر يسراً خمسين غرشاً، والأمير اربعماية غرش" (٢٠). ويدفعها الاموات والاحياء. وفي حال عجز العائلة ينتقل الالزام بالدفع الى القرية والحي. وفي حال عجز هؤلاء يسدّد أهل المنطقة هذا العجز. وإضافة الى ذلك يدفع المواطنون ضريبة "المونوبول" التي تُلزم الفلاح بيع إنتاجه للحكومة المصرية بأسعار تحدّدها هي، ثم يعود المواطن فيشتريها بسعر يوازي أربعة أضعاف السعر الذي باعها في هذا الموسم (٢١). وهناك ضرائب اخرى إضافية على الحرير والخمور التي تخضع هي الأخرى للاحتكار. ولعل أطرف، وأظلم ما كان يعتمده المصريون من فنون التضييق على المواطنين وابتزازهم، هو استعمال ميزان خاص للشراء، وآخر للبيع، بحيث ينتج عن ذلك فرق في الوزن لصالحهم.

إن الحاكم إذا عاين استسلام المكلّف من مواطنيه وسكوته على تعدياته، يتجاوز الحدّ المعقول، ولا يوقفه الا التمرّد والعصيان، واستعمال العنف لتغيير الواقع. ولدى شعوره بالخطر الداهم على مصالحه يعدّل تعاطيه مع مواطنيه باتجاه العدالة والتسامح.

وكان الأمير بشير فوق هذا كلّه يتقاضى قرشاً مقابل كل قرش يُجْمَع للمصريين، وهو النظام الذي كان يُعمَل به في سائر العهود، منذ أيام المماليك. وكانت هذه "الضرائب تُجمَع بين سبع او ثماني مرات في السنة" (٢٢). وقد بلغ مجموع الضرائب المستوفاة من المواطنين "ثمانية ملايين وسبعماية وخمسين الف قرش. وزادت أربعة عشر ضعفاً عن ضرائب الاتراك" حسبما أشار القنصل بوجولا في كتابه "الحقيقة في سوريا"، ونقل عنه المطران بطرس ديب في كتابه "تاريخ

الكنيسة المارونية" صفحة ٣١٥.

هذا ما كان يدفعه المواطن اللبناني، علاوة عن أعمال السخرة في استخراج المعادن، ونقل الجنود ومعداتهم على ظهور الدواب، وجمع السلاح، والتجنيد الالزامي، ومصادرة القمح، والتدخّل في الشؤون الخاصة والعامة، والتعديات على الحرمات... مما دفع بالشعب اللبناني على اختلاف فئاته وميوله ومذاهبه ومناطقه، الى التلاحم، والانطلاق في ثورة جديدة مدروسة ومنظّمة، مستفيدين من تجاربهم ومواجهاتهم السابقة للمصريين، عرفت بعاميّة إنطلياس الثانية. وقد ساندت بريطانيا والاتراك والنمسا، وحلفاؤها من الدول الغربية هذا النهوض من أجل زحزحة المصريين وحلفائهم الفرنسيين، عن الأرض اللبنانية، ووجد الموارنة نفسهم لأول مرة بمواجهة حلفائهم الفرنسيين.

## ٣ـ عاميّة انطلياس الكبرى الثانية

مع إطلالة صيف عام ١٨٤٠ أخذت المراكب العثمانية والاوروبية الحليفة، خاصة الانكليزية منها، توزّع الاسلحة على الثوار عن طريق مرافئ جونيه وبيروت وصيدا. وراح الثوار يعقدون الاجتماعات السرية في كافة المناطق اللبنانية، درزية كانت ام مارونية، موحّدين قواهم، منظّمين صفوفهم، بحيث لم يتمكّن القنصل الفرنسي بوجولا "من العثور على شخص واحد موال لابراهيم باشا، أميراً كان، أم شيخاً، او أسقفاً، او كاهناً بسيطاً، مارونياً أو درزياً، غير مستعدّ للثورة لدى أول إشارة" (١). وعبثاً حاول الفرنسيون إخراج الموارنة من هذا الحلف ضدّ المصريين، إذ لا شيء يعلو عند الموارنة، ومعظم اللبنانيين، و"الأم الحنون فرنسا" تعرف هذا الشيء، فوق ولائهم لهذا الوطن وسيادته واستقلاله ومناخه الحرّ الذي يوفّر لأبنائه الأمن والطمأنينة والكرامة.

وفي ٢٦ إيار، ثم في ٣١ من العام ١٨٤٠ "كان كونت فرنسي إسمه انفروا مقيماً في زوق مكايل لتعلّم اللغة العربية، فزاره وفد من مشايخ الدروز والموارنة، وأقاموه قائداً أعلى للجيش الذي كان يبلغ آنذاك ستة آلاف مقاتل" (٢). وربما تمّ اختيارهم له تفادياً لإحراج الدروز بالقتال تحت قيادة الموارنة "وهذا شين عندهم" كما صرّح بنو تلحوق أمام الأمير حيدر شهاب لدى مفاتحتهم بأمر الانضمام سنة ١٨٢١ الى عاميّة لحفد، وعاميّة انطلياس الاولى.

### موقف البطريرك حبيش من عاميّة انطلياس الثانية

ومن مظاهر الإتفاق بين الطوائف اللبنانية، بعدما علّمتهم الأحداث السابقة،

أنهم كلما تفرّقوا وتخاصموا دفعوا الثمن غالياً وخسروا جميعاً، أن الدروز كتبوا صكاً على نفوسهم، ووجّهوه الى النصارى الذين قابلوهم بتعهّد مماثل موقّع من بطريركهم يوسف حبيش. وقد جاء في صكّ الدروز الموجّه الى عاميّة النصارى:

"أولاً: أن يكونوا كلاهما (اي النصارى والدروز) في طاعة السلطان.

ثانياً: أن يكونوا متّحدين بالمحبة الصادقة.

ثالثاً: أن يكونوا يداً واحدة في مصالح الطائفتين العمومية، وان يكون المناصب (الأعيان) يعدلون في سياستهم.

رابعاً: أن مناصب الطائفتين يجتهدون بمنافع بعضهم، وأنه اذا خالف أحد يكون الجميع ضدّه.

خامساً: أن تُحفظ المقامات لاصحابها حسب عوائدها، وتُقضى الحقوق. وإذا حدث (خلاف) بين أحد، فليكن الاعتناء بالصلح، فإن تعذّر الصلح، فترفع الدعوى الى الشرع او العرف.

سادساً: إذا حدث تعدّ على أحد، فليكن الجميع عونه، وكل مطاليب الدولة تتوزّع بالسوية.

سابعاً: إنه يحفظون هذا العهد طالما تحفظه النصارى، وانهم تركوا كل ما مضى بينهم من الشؤون..." (٢).

وفي بداية الثورة على المصريين حاول البطريرك يوسف حبيش التصدّي للثوار لعدة إعتبارات، أبرزها مسايرة الفرنسيين المؤيدين للمصريين، وكرهاً بالمصريين وممثليهم. وأصدر منشوراً يهدد فيه كل من يشارك في هذا العصيان بالحُرْم. ولكن الكثيرين من الموارنة وبينهم أساقفة وكهنة ورهبان ظلّوا يشاركون في اجتماعات الثوار، ويقيمون لهم القداديس، ويباركون أعمالهم. ولما رأى البطريرك رغبة أكثرية شعبه الجامحة في التخلّص من جور المصريين، عاد فانحاز الى صفوف الثوار، وبنفس الحماس، فأصدر من جديد حُرْماً ضدّ كلّ من لا يشارك العاملين لطرد المصريين. وقد ورد نصّ هذا الحرم في تقرير للقنصل الفرنسي بوره

(Pourée) الى وزير خارجيته بتاريخ ١٧ تموز سنة ١٨٤٠ (٤).

## موقف البطريرك حبيش من المصريين

وبعد استسلام الأمير بشير الثاني واستلام الأمير بشير الثالث الحكم، كتب البطريرك حبيش صكاً يتعهّد فيه بالنيابة عن الامراء، والمشايخ، وعامة الشعب، أن يطيعوا الدولة العثمانية ، ويعملوا بموجب مبادئ ديانتهم، ويخضعوا لمن يعيّنه العثمانيون حاكماً عليهم، ويهتموا بمصالحهم، ويتعاونوا في الملمّات، ولا يحمّلوا العامة دفع المظالم، ويحافظ كل منهم على مقامه، ويعامل تابعيه بالرحمة والعدل. ومن خرج على هذا الاتفاق يخاصمه الجميع. وأن يقام وكلاء لاصلاح أمور الشعب، وللطوائف المسيحية حقّ الدخول في هذا الاتفاق. ووقّع هذا الصكّ الامراء، الشهابيون، واللمعيون، والمشايخ، وبعض الزعامات من عامة الشعب. ومنحت الدولة البطريرك وساماً مرصّعاً بالماس. وخافت الطوائف الأخرى من هذه الحركة، واوجست شرّاً.

وبعد اعلان نظام القائمقاميتين سعى البطريرك حبيش لضم الجبل والبترون الى القائمقامية الشمالية بعدما كانتا تابعتين لولاية طرابلس، وتمّ له ذلك. وأثناء الفتن التي اجتاحت البلاد في آخر عهده لا سيما في العامين ١٨٤٢ و١٨٤٥، راح البطريرك حبيش يزور القرى، ويعزّي المصابين، ويساعد المحتاجين، ويخفف عن الأهلين ويلات تلك الاحداث الاليمة ويدعو لعودة الالفة والتعايش بين النصارى والدروز. وكرّس بزياراته هذه تقليدا جديداً يقضي بوجوب زيارة الراعي الأول رعيته وشعبه الموزّع في كافة المناطق.

وكي لا يقطع البطريرك حبيش صلاته وزياراته للشمال، بعد مغادرة قنوبين الى بكركي، بنى دير الديمان، وجعله مقرّه الصيفي، وبنى فيه كنيسة على إسم يوحنا مارون، زاد عليها، وعلى دير الديمان خلفاؤه البطاركة حتى صار صرحاً عظيماً يليق بمقام "بطريرك إنطاكية وسائر المشرق".

## وفاة البطريرك حبيش

وأسلم البطريرك حبيش الروح في ٢٣ ايار سنة ١٨٤٥ في دير الديمان الذي

شيّده، والبلاد على فوهة بركان، تهدّدها مخاطر وقوع حرب أهلية مجهولة العواقب والابعاد؛ ودُفن في قنّوبين في قبر واحد والبطريرك السابق يوحنا الحلو.

## موقف الدولة العثمانية من الأمير بشير الثالث

عملاً بتوصية من العثمانيين عند تعيينه مكان الامير بشير الثاني، عيّن الامير بشير الثالث مجلساً استشارياً من إثني عشر مندوباً من الدروز والنصارى، بمثابة حكومة للثوار المناهضين للأمير بشير والمصريين. وأمر أن يختار أعضاء هذا الديوان الممثّل للطوائف اللبنانية الرئيسية بنسبة عضوين لكل طائفة من المناصب أصحاب الخبرة في الحقوق. فامتثل النصارى، ورفض الدروز هذا الاقتراح لأنه يحدّ من صلاحيات مناصب الدروز. كما أن العامة من الموارنة، لم يرتضوا به أيضاً، لأن الدولة العثمانية كانت قد أطمعتهم بمساندتها لهم ضدّ زعمائهم ومشايخهم. وهذا ما جعل الدروز والنصارى يعقدون حلفاً سرياً من غير الموارنة بمساندة، وربما باقتراح من الانكليز الذين باركوا هذا الحلف. وكان البطريرك هو الوسيط بين الدروز والأمير بشير الثالث الذي عيّنه العثمانيون بدل الامير بشير الثاني المتمرّد على اوامرهم، والمتحالف مع أعدائهم المصريين. ولكن شهر العسل هذا لم يطل إذ تعكّر الجو من جديد، بعد الانتهاء من الوجود المصري الذي ضايق الطرفين. وعبثاً حاول بشير الثالث وقف الاصطدام بين الفريقين الذي اودى بحكمه في العام ١٨٤٢، ليتبعه سلسلة من الاصطلاحات امتدّت حتى العام ١٨٦٠ الذي شهد أعنفها، كما سنفصّل ذلك لاحقاً.

## صكّ وقسم إنطلياس و"الميثاق الوطني اللبناني الأول"

وفي الثامن من حزيران سنة ١٨٤٠ توجّه الثوار اللبنانيون من جميع المناطق والطوائف اللبنانية، بناء لنداء من قياداتهم حاملين البيارق الى كنيسة مار الياس في إنطلياس، لعقد مؤتمر وطني يتعاهدون فيه على التعاون لإزاحة الحكم المصري وحليفه الامير بشير الثاني. وقرب مذبح الكنيسة وضعوا البيارق، وأقسم القادة الإثنا عشر بوضع ايديهم على المذبح المقدّس، بأن يكونوا يداً واحدة، وصفّاً واحداً حتى يتمّ طرد "الدشمان" أي المصريين، وحليفهم الامير الشهابي من هذه البلاد.

وقد دوّنوا صكاً جاء فيه: "الداعي لتحريره أنه يوم تاريخه، قد حضرنا الى ماري الياس انطلياس، فنحن المذكورة أسماؤنا به، بوجه العموم، من دروز ونصارى ومتاولة وإسلام، المعروفين بجبل لبنان، من كافة القرى، وقسمنا (أقسمنا) يمين على مذبح القديس المرقوم بأننا لا نخون، ولا نطابق بضرر أحد منّا أبداً، بل يكون القول واحد، والرأي واحد. ونحن جمهور الدروز إذا حدث منّا، وبان أدنى خلل، نكون باريين من ديانتنا، ومقطوعين من كافة الوجوه، وأيضاً يشهد علينا القديس مار الياس، ويكون خصمنا وقد أقمنا علينا شيخاً جناب الشيخ فرنسيس إبن جناب حنا هيكل الخازن من غوسطا. ونحن جمهور النصارى، الذي يخون منا، يكون مار الياس خصمه، ولا يكون له مونة على دين المسيح. حرّر في ٨ ربيع آخر سنة ١٢٥٦ هـ. (توافق ٧ حزيران ١٨٤٠). التواقيع

نصارى ومتاولة وإسلام بوجه العموم صح صح صح المقرّ فيه جمهور الدروز لجبل لبنان".

وأضاف محرّر هذه الوثيقة القس اسبيريدون عرموني، خادم ماري الياس انطونياني قائلاً: "إنه قد حضروا المدوّنة أسماؤهم أعلاه، وقسموا اليمين على مذبح القديس ماري الياس بحسبما هو محرّر أعلاه حرفياً، والبيان حرّر بيدنا. هذه الشهادة تحريراً في ٧ حزيران سنة ١٨٤٠ مسيحياً. كاتبه القس اسبيريدون عرموني خادم ماري الياس انطونياني" (٥). ويعتبر هذا الصكّ اول "ميثاق وطني لبناني".

وجاء في بيان آخر وزّعه قادة الثورة: "إن سكان لبنان رغما عما هم فيه من الالفة، وروح الاستقلال، احتملوا بصبر مظالم السلطة الجائرة، مراعاة لخاطر الأمير بشير، على أمل أن يضمن لهم صبرهم هذا، حفظ شرفهم، وحريتهم، وكيانهم. إنما لسوء الحظ، هذه الحكومة المستمرّة على غيّها وظلمها، لم تحفظ جميلاً لأميرنا على ما أدّى من خدمة لتهدئة ثائرتنا... وهدّدته، وإساءت معاملته.. متوسّلة الى غايتها هذه، بالأكاذيب والمواعيد (الوعود) العرقوبية، فطلبت سلاحنا ونزعته أولاً من الأنحاء الضعيفة، ثم جمعته تدريجياً من الجميع، واستعانت بذات وسائل الخداع لتجنيدنا... فلا تتردّدوا، بل فلنتّحد إتحاداً وثيقاً... فإن الاستبداد

الذي يهدّدنا حتى اخر ساعة من حياتنا على وشك ان يهدم وطننا... يجب أن نعقد اجتماعا من الرجال المعروفين بعلوّ المنزلة وسموّ المدارك، ويكون قدّام هذه الجمعية خمسة رؤساء يُنتَخبون بأكثرية الاصوات في كل إقطاع" (٦).

## الثورة الاولى طلباً للحرية والديمقراطية

وإزاء هذه المواقف، وبعد قراءة هذه البيانات بإمعان، يمكننا التأكيد أن حركة ١٨٤٠ لم تكن فتنة عادية في تاريخ لبنان، بل هي عن جدراة واستحقاق ثورة شعبية كبرى قام بها اللبنانيون، مسيحيون ومسلمون، للتحرّر من الظلم والاستبداد ولأول مرة في تاريخهم تصدر عن القادة دعوة واضحة لإجراء انتخابات ديمقراطية يختار فيها عامة الشعب "خمسة ممثلين" وإن كان من المطلوب أن يكونوا "من الرجال المعروفين بعلوّ المنزلة وسموّا المدارك". ولم يعد لقب الحاكم او القائد وحده هو المطلوب بل "سموّ المدارك". وهذه النقلة النوعية في التعاطي مع الشعب، واعطائه الحقّ في اختيار قادته هي ذات أبعاد ديمقراطية لم تكن مألوفة أبداً، لا في ذلك العصر، ولا في هذه المنطقة من العالم، حيث كانت السلطة بيد باشوات تعيّنهم الدولة الحاكمة، فيجيّرون سلطانهم الى امراء ومشايخ يملكون المقاطعات الكبيرة، وبالاضافة الى ملكية الأرض يملكون الشعب الذي يعيش ويعمل فيها.

وهذا النهج التقدّمي أقلق الدولة المصرية فأصدرت بلسان القائد المصري سليمان باشا في ٢٦ آب سنة ١٨٤٠ أمراً "بإعدام كل من يحمل الى سوريا (والمقصود بلاد الشام السورية اللبنانية)، أو يوزّع مؤلفات، او مناشير دخلت للتحريض على شقّ عصا الطاعة والعصيان..." (٧).

## موقف الدول الغربية من ثورة انطلياس

بعد تعاهد اقطاب الثورة في انطلياس على العمل يداً واحدة حتى يتمّ تحرير البلاد من الحكم المصري، ظهرت البواخر الاوروبية والعثمانية على الشواطئ اللبنانية لدعم الثوّار اللبنانيين في تصدّيهم للقوات المصرية المرابطة في المدن اللبنانية. وأخذت دول اوروبا المتحالفة، اي بريطانيا، وتركيا، وروسيا، والنمسا، وبروسيا، تمدّ الثوار بالسلاح والذخائر، بينما وقفت فرنسا، بعد تأييدها البارز

سابقاً، موقف الحياد، وذلك بسبب تمادي المصريين في غيّهم، ونفور الموارنة من معاملتهم وانضمامهم الى الجناح المناوئ للوجود المصري، وراحت تضغط على البطريرك الماروني لإنهاء القتال (٨). وكان البطريرك حبيش قد تلقّى طلباً من الوجيه حنا البحري، رئيس كتبة محمد علي حاكم مصر سنة ١٨٣٩ ليضغط على رجال عاميّة حرش بيروت و"يوضح لهم عواقب الامور؛ فأرسل البطريرك اليهم بطرس كرم الماروني، والمطران اغابيطس الكاثوليكي، فتصدّى للاجابة عنهم الأمير بشير أحمد اللمعي مشترطاً رفع السخرة والحجز عن الصابون، وإبقاء السلاح، وتخفيف الاعانة..." ولكنّ الجواب تأخر بالوصول، وكانت الثورة قد عمّت البلاد، ولم يعد ينفع معها العودة الى الوراء لتسديد الخطى، وباءت مساعي فرنسا، هي الأخرى، بالفشل، لأن الموارنة كانوا قد أخذوا موقفاً، وبات من الصعب الرجوع عنه. وفي الوقت نفسه كان القنصل الانكليزي المستر مور وصهره المستر وود، واللورد روجرتون، واللورد ألفيني، قد أخذوا يزوّدون الثوار بما لا يقلّ عن ثمانمئة بارودة، وبكمية ضخمة من الذخائر عن طريق مرفأ جونيه. هذا بالاضافة الى الامدادات المالية التي بلغت نحو "تسعماية ألف فرنك"... وذلك لحثّ الشعب على الوقوف بوجه المصريين، في الوقت الذي توالت فيه الوعود من الانكليز والروس بمنح لبنان الاستقلال عن تركيا (٩).

وفي تقرير رسمي بعث به الى حكومته، يقول الكولونيل وود الانكليزي:"إن الموارنة مستسلمو نفساً وجسداً الى فرنسا. وعليه، فلم يبق للإنكليز أن تختار في الأمر، بل أمسى من المحتّم علينا عضد الدروز... ثم اضاف: انتشر في البلاد في اوائل سنة ١٨٤٠ بعض الاوروبيين زاعمين أنهم قادمون للتجارة او لتوزيع الاعانات على المعوزين والمنكوبين ليخفّفوا عنهم ما لاقوه من الحاجة والخسائر بسبب توالي الثورات...". وتابع يقول في الصفحة ٢٨ من هذا التقرير المسهب:"إنه تمّ تأليف لجنة من الثوّار مؤلفة من أربعة عشر إنساناً للتدبير، فكان من الدروز أحمد الشهابي وخزوع خبيص، ومن الموارنة نادر ابو عكر وابراهيم عيد، وفارس ثابت وسعد باز ويوسف بو شمعون وغندور الكك وبشارة الجلخ، ومن الكواثلة سلوم الحداد وحنا عيسى وداود الجاويش وحبيب الصوصه، وحلفوا أنّ كل شيء يدبّروه

ويحفظوه سرًا لحدّ وقت العمل. وفي هذا النهار حضر البعض من المقاطعات، إثنين إثنين بالوكالة على كل مقاطعة، واجتمعوا مع الأربعة عشر على الرأي والقلب، والكلمة الواحدة. ثم بثّوا الدعوة الى العصيان في أنحاء البلاد..." (١٠).

وكانت البيانات توزّع على السكان في أنحاء الجبل لتحثّ على المشاركة في الثورة، وبعضها يتحدّث عن انتصارات على الجيش المصري وحليفه بشير الشهابي، وتحمل تواقيع "أهالي دير القمر دروز ونصارى". وهكذا بدا التدخّل الأجنبي واضحاً في كلّ من الجبهتين، ولا سيما في جبهة الثوار التي دعمتها الدول الغربية المتحالفة جهراً.

## الثوار وقياداتهم وأسلحتهم

وصل عدد الثوار الى عشرين ألف مقاتل من جميع الطوائف اللبنانية، "والواحد منهم يوازي عشرة مصريين"، على حدّ ما ذكر بعض المؤرخين، بينما كان المصريون يعدّون نحو أربعين ألفاً (١١). وقد انضمّ الى الثوار الأمراء: فارس حسن شهاب، علي قيد بيه ابي اللمع، عبد الله مراد ابي اللمع، وحيدر وفارس واسماعيل ابي اللمع، بالاضافة الى عدد كبير من مشايخ بني حبيش، والخازن، والدحداح، والخوري، والشدياق، مع رجالهم. وكان باستطاعة الامير حيدر ابي اللمع، كما أشار القنصل بوره، أن يجنّد وحده أربعة آلاف مقاتل (١٢). ومن الأبطال اللبنانيين المعروفين الذين قادوا الشعب اللبناني، بكل طوائفه، ضدّ المصريين، عدا القائد العام الشيخ فرنسيس الخازن، ابو سمرا غانم البكاسيني الماروني، ويوسف الشنتيري البكفيّاوي الماروني، وأحمد داغر المتوالي من برج البراجنة. اما أسلحتهم فكانت في بداية المعارك "العصيّ التي حارب بها أغلبهم، وأغلب أصحاب البنادق يحشون بنادقهم بالبارود والحصى الكروية، وذلك لعدم (وجود) الرصاص" (١٣). وكان الثوار يقاتلون على أربع جبهات: جبهة صيدا وجوارها، جبهة طرابلس وجوارها، جبهة البقاع، جبهة بيروت وجوارها.

## سير المعارك

عمّ الفشل الذريع في بداية المعارك على جبهات صيدا وبيروت والبقاع،

وسُجن قادة هذه الجبهات والامراء المشاركون فيها. ويمكن الرجوع الى "تاريخ الاعيان في جبل لبنان" للشدياق بغية الاطّلاع على تفاصيل تلك المعارك التي شارك في بعضها المؤلف، وكان قد عايش معارك عاميّة لحفد وانطلياس الاولى.

ففي البداية صمدت جبهة الشمال بقيادة ابي سمرا غانم، وبعض مشايخ آل الخازن والدحداح والحرفوش، الموارنة، وحماده ورعد، الشيعة. وقد "فسّر سليمان أبو عز الدين في كتابه حول حروب ابراهيم باشا أن عدم انضمام الدروز الى هذه الثورة (باستثناء المشايخ النكديين) كان لتجريدهم من السلاح، ولتجنيد شبّانهم في الجيش المصري، ولوجود بعض زعمائهم رهائن عند محمد علي، فضلاً عن حنقهم على المسيحيين لأنهم تسلّحوا ضدّهم، وقاوموا ثورتهم الأخيرة (ثورة حاصبيا) ضدّ ابراهيم باشا" (١٤).

وقد علّق المؤرخ الأب بطرس ضو على ثورة اللبنانيين ضد المصريين والمير بشير بقوله "قليلة هي الشعوب التي لا تسقط عندما تسقط دولها في معركة النضال، دفاعاً عن الحرية والاستقلال. والشعب اللبناني الماروني هو من هذه الشعوب النادرة التي تثور وتناضل وحدها، عندما تسقط الدولة" (١٥).

## محاصرة الثوار بحراً وبرّاً

عزلت فرنسا قنصلها في لبنان مسيو بوره، واتهمته بتأييد الموارنة والثوار، ووقفت تتفرّج على سقوط جبهاتها الواحدة تلو الأخرى. وهكذا فعل الفاتيكان بحجة عدم تعريض مسيحيّي الشرق للأذى، والاصح أن الغرب أراد تأديب الموارنة لاستقلالهم برأيهم وعدم سيرهم في خط الغرب المسيحي المؤيد للمصريين. وحوصر الجبل اللبناني من البرّ والبحر عن طريق بيروت، بقيادة عباس حفيد محمد علي برّاً، وبحراً بقيادة الجنرال سيف او سليمان الفرنساوي، بالاضافة الى جبهة دمشق التي قادها عثمان باشا. وراح الاسطول المصري يضرب جونيه والجبال المشرفة عليها حيث يتمركز الثوار، كما ضُربت أيضاً جبيل والبترون، وتضرّرت كنيسة مار يوحنا مرقس جبيل الصليبية. واجتاحت الجيوش المصرية تجمعات الثوار في أكثر من منطقة، ولم يصمد سوى مجموعة مارونية في كسروان،

يساندها بعض متاولة البقاع، وسنيّي الضنيّة، في الوقت الذي انسحب فيه بعض الدروز الذين شاركوا في المقاومة، مع العلم أن اكثريتهم التزمت الحياد.

**معارك الشمال**

و"يوم الاربعاء في ١٠ شعبان سنة ١٢٥٦ هـ (الموافقة السابع من تشرين الأول سنة ١٨٤٠ مسيحية) انهزم محمود بك متسلّم بيروت، بالعساكر (المصرية)، فاستلم عزّت باشا (قائد البحرية العثمانية)، وعسكر الانكليز المدينة. ويوم الأحد في ٢١ شعبان (١٨ تشرين الاول) خرج المصريون من قلعة طرابلس بعد أن القوا النار في الجبّة خانه (الجبخانه اي الذخائر) ليحرقوها فتخرب المدينة، لكن الله تعالى تداركها بلطفه، فلم يلهب إلا موضع واحد لم يكن فيه إلاّ القليل من البارود، فهدم جانب من القلعة، ولم تصل النار الى الجبة خانه الأصلية. وفي ذلك اليوم دخلها عبد القادر افندي الحاج (من اسرة ناجي ـ رأس مسقا) الذي كان منصوباً عليها متسلّماً قبل عزّت باشا، إذ تعهّد لفتحها" (١٦). وكان عبد القادر المذكور قد تبلّغ مرسوماً باستلام طرابلس... فتوجه إليه المصريون في مسقط رأسه راس مسقا، ولكنه كان قد غادرها الى البلمند، فأحرقوا البلدة، ودخلوا مار يعقوب دده للروم الارثوذكس فنهبوه، وقتلوا الشماس عبد الله طراد. وبعد نزوح المصريين عن طرابلس ظهر عبد القادر ناجي من مخبئه، ونظّم محضراً بما نُهب من بيته، وبمعاشات رجاله، فلم يتمكّن من استيفاء ذلك، كما ذكر نوفل في مخطوطته، إلاّ "بالعناء والجهد". وأخيراً ارتقى الى رتبة امير الامراء (مير ميران)، وصار يُطلَق عليه "عبد القادر باشا الحاج أو ناجي..."(١٧).

**مؤتمر لندن لدعم الثوار وبداية الانتصارات**

عقدت الدول الخمس الاوروبية الحليفة المؤلفة من انكلترا وبروسيا وروسيا والنمسا وتركيا، اجتماعاً في لندن بتاريخ ١٦ تموز سنة ١٨٤٠، ووجّهت إنذاراً الى محمد علي بوجوب وقف عملياته العسكرية، وتبلّغ الانذار في ١٦ آب مع دخول قوات الحلفاء الى المياه اللبنانية. وكان الاسطول العثماني والاسطول الغربي يعدّ "نحو أربعين مركباً". وكان في المراكب العثمانية نحو خمسة الاف وخمسماية

جندي، وفي الافـرنجيـة نحـو ألفين. فلمـا نظرها القـوم أيقنوا بالفـرج، وخـرج المختـبئـون، وهاج الكسـروانيـون على أعـوان المأمـورين على ردع الناس عن أخذ السـلاح، فـفرّ اولئك المأمـورون هاربين، وجدّ القـوم في اثرهم فسلبوا سـلاح من أدركوه منهم. وعند المساء اطلقت السفن الستة (الباقية قرب شاطئ بيروت) المدافع على بيروت من ١١ الى ١٤ ايلول فغطّى دخانها الساحل، وانهدم شيء من ابنيتها، ففرّ سليمان باشا الفرنساوي بعسكره الى الحازمية ولما وصلت بقية الاسطول الى جونيـه، خـرج منهـا امـراء السـفن الافـرنجية، ونزل سليم باشـا (قـائد الاسطول العثمـاني) الى البرّ، ومـعهم الشيخ فرنسيس الخازن ("سرعكسر النصارى")، وخيّموا عند نهر الباطية (صربا) ففرّ الأمير مسعود (حفيد الامير بشير) الى ريفون، وهدم الاميرال الانكليزي طريق نهر الكلب ليتعذّر العبور على العسكر المصري، وشرع يوزّع السلاح على أهل الجبل. وأرسل مركباً مشحوناً سلاحاً الى جبيل والبترون. وبلغ مجموع ما وزّعه الحلفاء الاوروبيون نحو "ثلاثين ألف بندقية"(١٨)، من بينها "أربعة الاف بندقية سلّمت الى القائد ابي سمرا غانم في جونيه"(١٩). فسقطت جبيل والبترون بيد الثوار، واستسلم الأمير عبد الله ابن شقيق الأمير بشير، كما اعتُقل الامير مجيد حفيد الامير بشير من قبل الأمير بشير الثالث الذي عيّنه الثوار بمباركة الدول الحليفة، بما فيها العثمانيون، حاكماً لجبل لبنان مكان الأمير بشير، ثم اطلق سراحه لإقناع الأمير بشير (الثاني) بالانضمام الى الثوار ضمن مهلة ثمانية أيام. وفي جبهة كسروان كان الثوار بحدود ١٥٠٠ مقاتل، وقد استطاعوا مواجهة "خمسة عشر ألف جندي مصري ولبناني حليف. وحرّر الامير بشير (الثاني) حجّة بكسروان للدروز، كي يضمن بقاءهم الى جانبه" (٢٠). ومثله فعل ابراهيم باشا، وراحا يوزعان المقاطعات على الدروز لتشجيعهم على متابعة القتال. واستلم قيادة جبهة كسروان الأمير بشير الثالث، والشيخ فرنسيس الخازن، وأدارا معركة وطا الجوز العنيفة التي أسفرت عن فرار إبراهيم باشا بعد عشرين يوماً من المعارك الضارية "فجعلت هذه الحرب للكسروانيين شهرة زائدة، وفخراً سامياً، لا في لبنان وسوريا فحسب (على حدّ ما ذكر الأب منصور الحتوني في كتابه "المقاطعة الكسروانية") لكن في اوروبا ولدى ملوكها أيضاً" (٢١). واعترف ابراهيم

باشا أمام البشير الثاني انه "لم ير في زمانه مثل أهل كسروان شجعاناً في الحرب، ومثل حماستهم، وشدّة بأسهم، وفروستهم"(٢٢).

## إطلاق اسرى الدروز وانذار الامير بشير بوجوب الاستسلام

و"سار ريشار وود الى الدامور وصيدا، ووزّع الأسلحة، واخذ صيدا، واستولى على العسكر المصري الذي كان فيها، ورجع الى جونيه... وبعدها اتّجه الى مصر، وألح على محمد علي باحضارهم (الأسرى اللبنانيين). فكتب محمد علي الى حاكم الخرطوم في بلاد سنار امراً بارجاعهم. فرجعوا الى اوطانهم. وكتب السر عسكر الى الامير (بشير الثاني) يخاطب بالتسليم من الان الى ثمانية أيام، فإن "سلّمت مختاراً (قاله له) تبق في ولايتك، والولاية لذريّتك من بعدك، وإلاّ لا قبول لك". فأجاب الأمير معتذراً بوجود اولاده وحفدته مع عسكر ابراهيم باشا..."(٢٣).

## رجحان كفّة الثوار

وبعد تراجع المصريون، على اثر معركة وطا الجون، عن كسروان، بعد اسر حامية صيدا المصرية، فأخذت كفة الثوار تميل. ثم تواصل تراجعهم أمام ضربات الثوار، يناصرهم عمر باشا النمساوي القائد التركي ببعض رجاله، والأمير خنجر الحرفوش، حيث واجهوا جنود المصريين بقيادة ابراهيم باشا نفسه والامير مسعود حفيد الأمير بشير الثاني في جبهة المتن عند عين علق. واغتنم المصريون فرصة غياب الناس عن بيوتهم بسبب هذه المعارك فشرعوا "بنهب البيوت والكنائس والاديرة وحريقها، وقتل كل من يصادفونه" (٢٤). ولم يلبثوا بعد ذلك، أن هربوا باتجاه بيت الدين.

وهكذا سقطت صيدا وكسروان والمتن، وأصبحت فلول الجيش المصري بين بيت الدين والبقاع، وعلى رأسها ابراهيم باشا، والكولونيل سيف الذي أمر بالتوجّه عن طريق الحازمية الى سهل البقاع.

## الأمير بشير يختار مالطا منفى له

ولما كان القنصل الانكليزي ريتشار وود يلعب دوراً هاماً في هذه الاحداث، فقد راح يضغط لسحب الأمير بشير من المعركة، وترك المصريين وحدهم في مواجهة اللبنانيين، وكلّف نوفل نعمه الله نوفل، صاحب مخطوطة "كشف اللثام..." التي رجعنا اليها في كثير من معلوماتنا حول الثورة على المصريين، أن يكتب "سنداً بخطه مترجماً من التركية الى العربية ليختم عليه الأمير (بشير)؛ ومضمونه أنه يؤذن له باختيار أي محل أراده من البلاد ليقيم فيه آمناً إلا بلاد فرنسا... وبعد أن امضى الأمير الصكّ وختمه، اختار جزيرة مالطه" (٢٥). وقد كشف المستر وود المذكور في كتاب له، أنه في العام ١٨٣٣ بيّن للأمير بشير خطر استمرار تعاونه مع المصريين، ذلك لأن التيار العالمي يميل الى تسليم برّ الشام الى السلطان العثماني، فأجاب الأمير ان برّ الشام يصبح "قاعاً ضعفاً" قبل إستيلاء السلطان عليه. ويتابع المستر وود قوله: "إني استنتجت من هذا الكلام الأخير أن بشيراً سيواظب على تعاونه مع ابراهيم باشا نظراً لتأثير الفرنساويين عليه" (٢٦).

## رسالة الاتراك الى البطريرك حبيش

وكان البطريرك حبيش قد تلقّى وعوداً تركية وانكليزية عن طريق المستر وود المذكور، من خلال رسالة وجّهها إليه محمد سليم، قائد الجيوش العثمانية، يقول فيها: "فخر الملّة المسيحية وقدوة الطائفة العيساوية، بطريرك الموارنة في الشرق... بموافقة آراء الملوك ، إنكلين، وسكوب (روسيا) ونمسا وبروسيا، على رفع الاثقال الصادرة من العساكر الخوارج... حصل خط شريف خصوصي يخص جبل لبنان، أن كلاً منهم يبقى على عادته القديمة (نظامه القديم)... وإعطاء إنعامات مؤبدة، ومنها محدودة لمن يقوم بصدق الخدامة من أكابر أصاغر... وكل من هو تحت طاعتكم مطارين واكليروس وعامة، وأن يكون حاصل عندهم الاطمئنان وبلوغ الامان".

## مشاركة الدروز المحددة في المعارك

كما حاول الشيخ منصور الدحداح ثني الامير بشير عن تحالفه مع

المصريين بقوله له: "إذا خرّبت بيت الدين يمكن أن تجدّدها البلاد، أما إذا خربت البلاد أفتجدّدها بيت الدين؟". وذكرت المؤرخة الروسية سيميليا نسكايا أنه "لم يشارك في عصيان سنة ١٨٤٠ سوى الاقطاعيين الدروز الصغار، كما أن الارستقراطية الدرزية الكبيرة لم تشارك في العمليات الحربية ضد المصريين في خريف سنة ١٨٤٠ الأخيرة" (٢٧).

## استسلام الأمير بشير للانكليز

ولما تأكّد الأمير بشير من حتمية انهزامه بعدما ولّى المصريون الادبار باتجاه البقاع، ووضع الثوار يدهم على معظم المدن الساحلية، وبعض مناطق الجبل والشمال، استسلم الى الاميرال الانكليزي ستويفورد، والقائد العثماني عزّت باشا المعسكرين في صيدا في ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٤٠. وطلب نقله الى جزيرة مالطة، عملاً بكتاب الاستسلام الذي كان قد وقّعه وسلّمه للسيد نوفل نوفل، حاملاً معه حاشيته، وبعض اولاده واحفاده، وعددهم نحو مئة شخص، مصحوباً بثمانية عشر الف كيس من النقود الذهبية.

## الضغوط الفرنسية على الموارنة

وكانت فرنسا لا تنفكّ تضغط بمختلف الوسائل لثني الموارنة عن الوقوف الى جانب الثوار، بواسطة الأب نوروا رئيس معهد عينطورة، والأب آتيان رئيس جمعية الآباء اللعازاريين في فرنسا، اللذين كلّفهما رئيس وزراء فرنسا مسيو تييرس (Thiers) أن يعظا الموارنة "بوجوب الطاعة والصبر" (٢٨).

## سقوط الجبهات المصرية

وراحت الجبهات المصرية تتساقط الواحدة تلو الأخرى، بيد الثوار، فبعد صيدا التي سقطت في ٢٥ ايلول سنة ١٨٤٠، وسقوط بيروت في ١٠ تشرين الاول، وطرابلس في ١٩ منه، واللاذقية في ٢٠ منه، راحت تتساقط البلدات الجبلية بيد الأمير بشير قاسم شهاب الثالث، والشيخ فرنسيس الخازن. وبقي خبر استسلام الأمير بشير في ١٠ تشرين الأول مكتوماً.

وفي حمانا عُقد اجتماع في اواسط تشرين الأول، حاول فيه الامير بشير الثالث اقناع زعماء الدروز والموارنة الموالين للأمير بشير بوجوب التوقّف عن المشاركة في المعارك، "فقدّموا له الخضوع واخذ العامة يتدججون بالسلاح"(٢٩).

ولما بلغ القائد ابراهيم باشا، وهو في بيت الدين، استسلام الأمير بشير، أطلق لجنوده حرية السلب والنهب، فهجموا على البيوت ونهبوها، وسبوا النساء. ثم انتقلوا الى زحله حيث تبلّغوا أوامر حاكم مصر محمد علي بوجوب الانسحاب من الحرب والعودة الى البلاد عن طريق دمشق.

ولم يشأ ابو سمرا، أحد أبطال الثوار اللبنانيين، أن يترك لابراهيم باشا فرصة كبيرة للنهب والسطو، فلاحقه برجاله برفقة الامير عبد الله شقيق الأمير بشير الثالث المعيّن من قبل العثمانيين مكان الأمير بشيرالثاني، والأمير قيس ملحم شهاب والامير خنجر الحرفوش بخمسماية فارس الى نواحي دمشق. كما توجّه الامير أسعد قعدان شهاب الى خربة روحا لحماية وادي التيم مقرّ الامراء الشهابيين من الجنود المصريين المهزومين. وفيما هم في الطريق لملاحقة فلول الجيش المصري بلغهم أن ابراهيم باشا وعساكره قد غادروا الشام، فاتّجه اللبنانيون الى مرجعيون حيث كان ينتظرهم الأمير بشير الثالث برجاله، وانتقل الجميع الى بلاد بشارة عن طريق ميس الجبل، ومنها انتقلوا الى صفد، والناصرة، ويافا، مطاردين فلول الجيش المصري المنهزم التي جدّت السير الى غزّة، ومنها توجّهت الى مصر. ولم يصل الى مصر برفقة ابراهيم باشا سوى "خمسة وثلاثين ألفاً من جنوده، بعد أن كان مجموعهم في دمشق ستين ألفاً. فقد تعقّب الحلفاء واللبنانيون الجيش المصري، واضطرّوه الى سلوك طرق عسرة قليلة الماء والزاد، فمات نحو نصفه. وكان يرافقهم نحو سبعمائة نفس من غير المحاربين، بينهم النساء والاطفال، فهلك أغلبهم"(٣٠)

## نهاية الامير بشير

اما الأمير بشير، فبعد نزوله في مالطا، ورده رسول من حاكم مصر لابلاغه انه لن يتخلّى عنه، ويطيّب خاطره، فقابله مدبّر الامير الشاعر بطرس كرامه، وأبلغ

الأمير مضمون الرسالة، فخاف الأمير أن يكون هناك مكيدة، فآثر عدم التجاوب مع الرسول، وأبلغ ما حدث لحاكم الجزيرة الذي وعده بمراجعة الآستانة في شأنه. وسافر بطرس كرامه بهذا الخصوص لمقابلة حكام العثمانيين في اسلامبول، وبعدما تبيّن له خيبة الامل لديهم، كتب الى الامير يقول: "إن الصندوق في اسلامبول، ومفتاحه في لندرا، وحسّن له في دار إقامته" (٣١).

وبعد حوالي عام على نزول الأمير بشير الثاني في مالطا، توجّه في اواخر شهر ايلول سنة ١٨٤١ الى اسطنبول، ونزل في دار الماروني الحلبي الياس حوّا. وفي اليوم الثالث دعاه رؤوف باشا، الصدر الاعظم لمقابلته، حيث طيّب خاطره، وأحاطه بالاكرام. ولما سئل عن سبب هذا التكريم أجاب بعدما كان قد وعد جلساءه بعدم إعارة الأمير أي اهتمام: "إن في هذا الرجل قوة انهضتني ضدّ إرادتي، فإني لم أرَ في حياتي هيبة في رجل مثل هذا، فإن كل ما قيل عنه في ذلك فهو صدق". وأمر له بدار في أرناؤوط كوي البعيدة نحو ثلاثة أميال، حيث عاش مع حاشيته، وأصبح مقصداً لكبار الزائرين والسفراء.

وانتقل الامير من ارناؤوط كوي الى قاضي كوي حيث وافته المنية يحيط به من بقي حياً من أولاده وزوجته واحفاده، وحاشية صغيرة بينها الخوري اسطفان الذي لازمه في أيامه الأخيرة، والمؤرخ رستم باز، أحد احفاد جرجس باز الذي كان له عليه نظرة خاصة ليكفّر عما الحقه بمدبّره الكبير جرجس باز من عمل شنيع فقبله في قصره، وهو الذي كتب في كتابه المعروف "بمذكرات رستم باز" نشرة البستاني، أوفى التفاصيل عن أيام الأمير الأخيرة. وأسلم الروح في الاول من كانون الثاني سنة ١٨٥١، ودُفن في كنيسة الأرمن الكاثوليك بناء لوصيته. وأُعيدت رفاته الى البلاد في احتفال رسمي سنة ١٩٤٧ حيث ووري الثرى في مقبرة قصر بيت الدين.

# ٤ـ لبنان بعد خروج الأمير بشير وحلفائه المصريين

## مصير أبطال الثوار ونتائج انتصاراتهم

ولعلّ أبرز النتائج التي حقّقها اللبنانيون من ثورتهم على الامير بشير الثاني وحلفائه المصريين، هي في صدور الفرامانات السلطانية باحترام الحريات الشخصية والعامة، وتأمين العدالة، ووقف المظالم، والخضوع لدستور جديد وفقاً للاصلاحات المنوي اجراءها. ولما كانت الدول الاوروبية قد وضعت يدها على القضية اللبنانية، ولم تعد حكراً على العثمانيين، فقد ارتأت هذه الدول، بعد سقوط حكم الامير بشير الثالث الذي لم يستمرّ أكثر من سنتين، أن عهد الامارة اللبنانية قد ولّى، ويجب تطوير النظام، وقسمة البلاد الى قائمقاميتين، مسيحية ودرزية، على شكل فدرالية محدودة الصلاحيات، مرتبطة بالحكم العثماني مباشرة. ولكن هذا النظام الجديد هو الآخر، كان أسوأ الانظمة التي عرفها لبنان، وجرّ على البلاد أشنع الويلات.

أما أركان الثوار وقادتهم، فقد تفاوت مصيرهم بين شخص وآخر. ومعظمهم لم يحصد أي نفع شخصي، بل على العكس من ذلك، فقدر الثوار الابطال، ورجال السياسة العظماء، غالباً ما يكون الاستشهاد في سبيل القضايا العامة، والمثل العليا، في الوقت الذي يحصد المناصب والاوسمة آخرون مهيّأون سلفاً من قبل اللاعبين الكبار بمصائر الشعوب الصغيرة. وأول هؤلاء الأبطال أحمد داغر المتوالي، كما عرّف عنه المؤرخون لاقى حتفه في مواجهات العام ١٨٣٩ في معركة

بحر صاف التي خاضها بمواجهة الأمير خليل إبن الأمير بشير الثاني. في حين روى آخرون أن مقتله كان في بلاد بشارة أثناء ملاحقة فلول الهاربين. وقد أرسل الأمير خليل رأسه الى بيت الدين.

اما البطل يوسف الشنتيري البكفيّاوي، فقد تمّ أسره، ونفيه الى مصر، ومنها نقل مع رفاقه اللبنانيين الى السودان، لكنه تمكّن من الفرار، والتوجّه الى منطقة الشمال، والاختباء في دير قزحيا. وعبثاً حاول الامير بشير استمالته الى جانبه، بعدما عفا عنه. ومات سنة ١٨٩٥، بعدما اختاره الأمير بشير الثالث قائداً لعسكر الدالاتية.

والمعلم بطرس كرامه، مدبّر الأمير بشير الذي كان أحد أسباب الحرب الأهلية التي نشبت ضدّ الأمير، وكان وجوب إقصائه في رأس مطالب الثوار. وبعد مرافقته الأمير الى منفاه وافته المنية نادماً على سوء تصرّفه وتدبيره. والبطل أبو سمرا غانم، عاش بقية أيامه حياة هادئة تاركاً بعده أولاداً سيلعبون دوراً بارزاً في عهد القائمقاميتين سياسياً وثقافياً.

ومن قادة الحركة الشعبية او العاميّة الاولى أيضاً المؤرخ اوغسطين العينطوري، والمطران يوسف اسطفان. فالأول عذّب من قبل الامير بشير حتى الموت، والثاني دُسّ له السم بعدما استُدرج لزيارة الأمير بشير في قصره، ولم يلبث أن مات مسموماً في العام ١٨٢٣.

وسرعسكر النصارى الشيخ نوفل الخازن، رغم قيادته للعاميّة الاولى والثانية، لم يقطف ثمار جهاده ونضاله الطويل، سوى تعزيز مقامه في منطقته وفي أوساط عارفيه، باعتباره لم يبدّل موقفه تبعاً لمصالحه كباقي الوجهاء والمناصب. ويظهر أن الموارنة، وخاصة من طبقة المشايخ، لم يكونوا قد تأهّلوا بعد لحكم البلاد، ويكفيهم في نظر أولّي الأمر، وساسة الدول العظمى، إدارة المقاطعات الكسروانية، واستمرّوا في تراجع حتى العام ١٨٥٨ التي نتج عنها إضعاف المعنويات وزعامة الخازنيين بتدبير من البطريرك الماروني بولس مسعد، وولاة العثمانيين الذين لم يسمحوا يوماً لمسيحي او ماروني ان يتسلّم زمام الاحكام في البلاد.

## نتائج الحركات العاميّة

لقد اتّضح من خلال الاحداث المعروفة بالعاميّة إبان حكم الامير بشير الثاني، انها أحدثت انشقاقاً بين الموارنة الذين شاركوا فيها بغالبيتهم، والدروز الذين قاطعوها بغالبيتهم. والقائد المسلم الوحيد الذي شارك في هذه العاميّات هو احمد داغر المتوالي. وكان المتضررون الأوّل "بنتيجتها هم الامراء الشهابيون، ذلك لأنه بعدها انتهى حكم الامراء في لبنان، ولم يتمكن خليفة الأمير بشير الثاني المعزول، بشير الثالث من البقاء أكثر من سنتين في الحكم، واجهته خلالهما الاضطرابات والقلاقل، فاضطرّ الحكام العثمانيون الذين اوصلوا الحال الى ما وصلت اليه، الى عزله، وتقسيم البلاد الى قائمقاميتين، وإنهاء حكم الامراء اللبنانيين الذي استمر نحو خمسة قرون". كما فُرضت الضرائب في نهاية هذه الحركات "على المسيحيين وكهنتهم" بالدرجة الاولى، كما ذكر الشاعر يوسف المعلوف في زجليته (١). وقد أدّت خسارة "الامارة اللبنانية" التي كان يطالب بها الدروز والموارنة معاً، الى اضعاف القيادات اللبنانية، وإظهار عدم قدرتهم على ضبط الأمن وتسيير الأمور، وتعزيز المنحى العثماني الرامي الى بسط سلطتهم المباشرة على البلاط.

ولعلّ الايجابية الوحيدة التي اطلقتها هذه العاميّات، كانت تعزيز الشعور الشعبي، الطبقي في المجتمع الواحد، وفكرة "الصالح العمومي"، وزرعها البذور الاولى الديمقراطية الشعبية القادرة، خلافاً للاعتقاد السائد، على الوقوف بوجه القيادات الاقطاعية، وحتى الدولة الحاكمة. هذا الشعور بأن الشعب، صاحب الحق في تقرير شؤونه، وقادر على فرض صالحه العام، لم يكن وارداً قبل العاميّات، حتى ولو لم ينجح في فرض مشيئته. وقيام سابقة انتخاب وكلاء عن العامة ساعد في نموّ الشعور بأهمية السلطة الجماعية النابعة من الطائفة، بمقابل الولاء السابق للمناصب والاقطاعيين الذين تراجعت مواقعهم في الحكم، وفي القيادة الشعبية، وزعامة "العهدة" التي سادت في القرون الماضية، وانتهى عهد الانتساب الى هذا الاقطاعي او ذاك، وأخذ البحث يدور عن شكل جديد للتجمع، قد يكون بداية ظهور فكرة الاحزاب، ولو على نطاق ضيّق. والأسماء التي لمعت في هذه الاحداث، لم تكن

كالسابق من طبقة الامراء الحاكمين، باستثناء بعض الأسماء التي لعبت دورها في نهاية المطاف كالامير بشيرالثالث والشيخ فرنسيس الخازن. بل اعتُبر قادة العاميّات الحقيقيين: يوسف الشنتيري، ابو سمرا غانم، وأحمد داغر، وكلهم من أوساط العامة. وعلى هذا الاساس أُطلق على هذه الحركات إسم "العاميّات". ومن التغيّرات التي اعقبت هذه المرحلة إنتقال مقرّ الوالي من عكا الى بيروت التي أخذت بالازدهار سنة بعد سنة حتى تضاعف سكانها عشرات المرات، واصبحت العاصمة الاولى للبلاد.

## انقسام النصارى الى حزبين عسّافي واحمدي

كلّما ضعف الحاكم، تشرذم المواطنون، وانقسموا على أنفسهم، وتعاركوا. لذلك عمّ الانشقاق بين اللبنانيين في عهد الامير بشير الثالث، كلّ المناطق والطوائف. وخاب أمل الشعب بامرائه وقياداته الاقطاعية التقليدية، فراح يبحث عن تكتلات جديدة لتمكينها من فرض وجودها على الساحة السياسية، فصار الانقسام الى أحمديين وعسافيين. فالاحمديون كانوا من حزب الامير بشير أحمد أبي اللمع، قائمقام النصارى في المقاطعة الشمالية، والعسافيون أتباع الامير بشير عساف ابي اللمع الذي كان ينازعه على هذه القائمقامية (٢). طبعاً لم يكن الانقسام على أُسس عقائدية وحزبية صحيحة، تشكّل قفزة الى الامام في مجال التطوّر السياسي والوعي الاجتماعي، ولكنها حركة أهلية تصبّ في خانة التشرذم والانقسام في الرأي؛ ولكنها في الوقت ذاته تنسجم مع روح العاميّات السابقة التي اصبح فيها المواطن على الأقل يقرّر بنفسه الجهة التي يريد الانتماء اليها، ولو كانت أميراً او اقطاعياً، بدل أن يفرض عليه بحكم انتسابه الى منطقة تُقْطَع لهذا او ذاك من المشايخ والامراء، بأنه من عُهدة هذا الشيخ او ذاك.

وهذه الحال من الضعف والتفكك تصيب معظم الدول والجماعات التي تفقد قياداتها القوية، وتخضع لمؤامرات من الخارج. فبعد خلع الأمير بشير اشتدّ النفوذ العثماني، واصبح مصطفى باشا والي بيروت، هو المرجعية الأقوى في البلاد على الرغم من إرساء نظام جديد عُرف بالقائمقاميتين، وكان القصد منه التحضير لعودة الحكم العثماني المباشر الذي رفضه اللبنانيون في السابق، وتشبّثوا بتحكيم

امرائهم رغم مساوئهم، وخضوعهم للعثمانيين. وهذا الضعف الذي تميّز به حكم الامير بشير الثالث، ادّى الى عودة النفور بين الدروز والموارنة، والحقد المكبوت، بسبب معركة حاصبيا الأخيرة التي وقف فيها الموارنة بجانب المصريين، او على الأقل لبّوا اوامرهم بنزع السلاح الدرزي وإخماد ثورتهم ضد المصريين وحلفائهم. ولم يكن النضال الأخير المشترك في عاميّة انطلياس الثانية، كافياً لمحو هذه الذكرى الاليمة بعدما كان الدروز "طيلة قرون يعتبرون أنفسهم سادة البلاد الطبيعيين. وكانوا اعتادوا أن يروا أنفسهم طبقة عليا أعدّها الله لتسود سائر الجماعات... اما المسيحيون فباتوا لا يسلّمون بإحناء الرقاب لذلّ النير القديم. وأخذوا يلحّون في المطالبة بتحقيق الوعود التي حملها خط كلخانه الشريف (الفرامانات السلطانية التي وعد فيها الشعب بالحرية والعدالة والمساواة)... ومنذ سنة ١٨٤٠ لم يعد لعملاء الاتراك في سورية إلاّ هدف واحد، وهو تضييق وتشويه، وإن أمكن، تدمير الاستقلال اللبناني" (٣). وإزاء هذا الشعور بعقدة "الانتماء الى الطائفة"، الذي تفجّر على أثر الحركات العاميّة التي فصلت الفلاح المسيحي عن سيّد الاقطاع المسلم، وجعلتهما يقفان كلّ في خندق مقابل الآخر، تولّد نوع من الرجوع الى "الذات الطائفية"، باعتبارها الحصن والحضن معاً اللذين لا طمأنينة إلا بالعودة اليهما. وهكذا حلّ تدريجياً، الولاء الطائفي، مكان الولاء الطبقي للأمير الحاكم. وكان الاتراك يغذّون هذا الفرز الطائفي لاستعماله كسلاح يزيد في الشقة بين المواطنين، لمنعهم من الالتقاء ومحاولة التكتّل ضدّهم. فلبنان بعد انتهاء حكم الامراء مقبل على عهد جديد، مختلف جداً عن التقاليد والعادات والنهج السابق. فإلى الجزء الرابع لمتابعة مسيرة الاحداث.

# الهوامش

## الفصل الاول

### ١ - بطاركة الموارنة في القرن السابع عشر

(١) J. Thoraud "Le chemin de Damas" Paris 1913.P.41.

(٢) M. Pojoulat "Paris et Souvenirs d'un voyage en Orient" P.58.

(٣)الدكتور فيليب حتّي "تاريخ دار الثقافة" سنة ١٩٧٢ صفحة ٣٢٢ نقلاً عن بوشارد Bochard.

(٤) الأب بطرس ضوّ "تاريخ الموارنة" دار النهار سنة ١٩٧٧ مجلّد رابع صفحة ٤٥٤.

(٥) ريستلهوبر Riestelhubert "Traditions Françaises au Liban" Trad. Louis Abboud Imprimerie Harissa 1921.P.106.

(٦) البطريرك اسطفان الدويهي "تاريخ الأزمنة" نشرة الاب فهد - دار خاطر سنة ١٩٨٥ صفحة ٣٦٤.

(٧) الدكتور فيليب حتّي "تاريخ لبنان" نقلاً عن لامرتين صفحة ٤٧١ جزء اول.

(٨) القنصل هنري غيز "بيروت ولبنان" جزء ثانٍ صفحة ١٤٥ - ١٤٦.

(٩) الأباتي فهد "بطاركة الموارنة وأساقفتهم" دار لحد خاطر سنة ١٩٨٥ مجلّد ٢ صفحة ١٦٦.

(١٠) G. De Salverte "La Syrie Avant 1860" Paris 1861. P.40.

(١١) القاصد الرسولي جيروم دنديني "رحلة الى بلاد الموارنة" عام ١٥٩٦ - الخوراسقف داغر "بطاركة الموارنة" صفحة ٤٨ - ٤٩.

(١٢) الاباتي فهد "المجامع المارونية الطائفية" صفحة ٧٢.

(١٣) الأب جرجس منش الحلبي في "التحفة الادبية في ثلاثة مجامع مارونية" مطبعة الارز سنة ١٩٠٤ صفحة ٤١.

(١٤) المطران يوسف الدبس "الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل "المطبعة العمومية سنة ١٨٩٣ صفحة ٣٠٤.

(١٥) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٤٦١.

(١٦) بياجيوس "سوريا المقدّسة" صفحة ٥٣.

(١٧) الخوراسقف داغر "بطاركة الموارنة" صفحة ٥٢.

(١٨) الدبس "الجامع المفصّل" صفحة ٣٥٢.

(١٩) الأباتي فهد - مرجع سابق صفحة ٦٦ نقلاً عن العنيّسي في "البراءات المارونية" صفحة ١٣٤ - ١٣٧ روما سنة ١٩١١.

(٢٠) المطران بطرس ديب "تاريخ الكنيسة المارونية" سنة ١٩٦٢ مجلّد ٣ صفحة ٧٢ ومكتبة اورليان رقم ١٤٣٦.

(٢١) العنيّسي "البينات المارونية" صفحة ١٣٩.

## ٢ ـ فخر الدين الثاني الكبير ومشروع الوطن

(١) الأب بولس قرالي "المجلة البطريركية" سنة ١٩٣٥ ـ رقم ١٠ صفحة ٤.

(٢) اوجين روجيه Eugène Roger "La Terre Sainte" 1664.P.337.338

(٣) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٣٠١.

(٤) قرالي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٣٩.

(٥) المطران بطرس ديب "الكنيسة المارونية" مترجم سنة ١٩٦٢ صفحة ١٠٦ ـ ١١٠.

(٦) مرجع سابق ـ صفحة ١٢٩ وما بعدها.

(٧) الدكتور فيليب حتّي "تاريخ لبنان" سنة ١٩٧٢ دار الثقافة صفحة ٤٦٣.

(٨) الأب بولس قرالي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٧١.

(٩) مرجع سابق نقلاً عن الرحّالة ماغري.

(١٠) قرالي ـ مرجع سابق ـ نقلاً عن ماريتي.

(١١) الدكتور كمال الصليبي "فخر الدين والفكرة اللبنانية" محاضرات الكسليك سنة ١٩٧٠ حول ابعاد القومية اللبنانية صفحة ١١٠.

(١٢) مرجع سابق.

(١٣) الأب بولس قرالي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٨٤ ـ ٨٧ نقلاً عن ماريتي (Maritti).

(١٤) الأب بطرس ضو "تاريخ الموارنة" مجلد رابع صفحة ٢٣٦.

(١٥) الأب قرالي ـ عدد ١٠ ـ صفحة ١٤٩.

(١٦) الأب ضو ـ مرجع سابق ـ مجلد ٤ صفحة ٢٤٢.

(١٧) ضو ـ مرجع سابق ـ صفحة ٢٤٤.

(١٨) الأب ضو ـ مجلّد ٤ ـ صفحة ٢٤٣.

(١٩) قرألي ـ صفحة ٤٥ ـ المطران ديب صفحة ٨٥ ـ ٨٦ ـ الأب ضو صفحة ٢٤٥.

(٢٠) وزير لبنان المفوّض في روما اميل خوري والسفير عادل اسماعيل "السياسة الدولية في الشرق العربي" دار النشر للسياسة والتاريخ ـ بيروت سنة ١٩٩٠ طبعة ثانية.

(٢١) احمد الخالدي "تاريخ الأمير فخر الدين" نشرة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني سنة ١٩٣٦ صفحة ١٧ ـ ١٩.

(٢٢) احمد بيضون "الصراع على تاريخ لبنان" منشورات الجامعة اللبنانية سنة ١٩٨٩ نقلاً عن جورج هارون ـ محاضرات الكسليك للعام ١٩٧٩ رقم ١٩.

(٢٣) هارون صفحة ١١ وبيضون صفحة ٤٢١.

(٢٤) هارون صفحة ٤٤ بيضون صفحة ٤٢٣.

(٢٥) احمد بيضون ـ مرجع سابق ـ صفحة ٣٩٢ نقلاً عن بولس نجيم في Jouplain "La question du Liban" L.1.chap.3.P.89 - 94.

(٢٦) مرجع سابق صفحة ٩٥.

(٢٧) مرجع سابق صفحة ١٠٧.

(٢٨) الخوري بولس قرألي "فخر الدين الثاني امير لبنان وفرناندو الثاني امير توسكانا" المجلة البطريركية نيسان ـ تموز سنة ١٩٢٨ جزء ٢ ـ والجزء الاول الصادر سنة ١٩٢٧ صفحة ٢٦٣ ـ ٢٩٠.

(٢٩) قرألي "لبنان والدولة العثمانية في عهد فخر الدين المعني الثاني ١٥٩٠ ـ ١٦٣٥ " القاهرة سنة ١٩٥٢ صفحة ٤٢.

(٣٠) مرجع سابق صفحة ٥٠.

(٣١) Adel Ismaïl "Histoire du Liban... Le Liban au Temps de Fakhr ed

Dine" Paris 1995. P.21.

(٣٢) الدكتور كمال صليبي "فخر الدين والفكرة اللبنانية" صفحة ١١٠.

(٣٣) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٣٣٧.

(٣٤) المطران بطرس ديب "تاريخ الكنيسة المارونية" نقلاً عن جان دي هامر "تاريخ الامبراطورية العثمانية منذ نشأتها حتى اليوم" سنة ١٥٨٥ ـ ١٨ مجلّداً ـ مجلّد ٢ صفحة ٥٠.

## ٣ـ بطاركة القرن السابع عشر والتعديات العثمانية

(١) الخوراسقف داغر ـ مرجع سابق صفحة ٥٦ نقلاً عن اوراق حصن الخازن والخوري يوسف قرقماز.

(٢) المطران بطرس شبلي في كتابه حول "البطريرك اسطفان الدويهي" سنة ١٩١٢ صفحة ١٠.

(٣) العنيّسي "البراءات البابوية" صفحة ١٤٠.

(٤) De La Roque "Voyage du Syrie et du Mont Liban" Paris 1722 P.III.

(٥) العنيّسي "البينات المارونية" صفحة ٩٢ ـ ٩٣.

(٦) روجيه اوجين: Roger Eugéne "La Terre Sainte" 1664 - P. 494.

(٧) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٥٠٢.

(٨) العنيّسي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٦٢٢.

(٩) De La Roque "Voyage en Orient" Paris 1716.P.152.

(١٠) المطران بطرس شبلي "البطريرك اسطفان الدويهي بطريرك إنطاكية" ـ مصر سنة ١٩٢٤ ـ بيروت سنة ١٩٣١. طبعة ثانية ١٩٧٠ ـ صفحة ١٠.

(١١) الدبس "الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل" صفحة ٣٥٨.

(١٢) المطران بطرس ديب "تاريخ الكنيسة المارونية" سنة ١٩٦٢ صفحة ٨١ مجلّد ٣.

(١٣) الأب فهد "بطاركة الموارنة وأساقفتهم" دار لحد خاطر سنة ١٩٨٤ ـ مجلّد ٢ ـ صفحة ١١٦.

(١٤) الدبس ـ مرجع سابق صفحة ٣٥٨ نقلاً عن الدويهي في "تاريخ الأزمنة" صفحة ٥٢٢ ـ والأب فهد مرجع سابق صفحة ١٢٦.

(١٥) الخوراسقف داغر ـ مرجع سابق ـ صفحة ٥٨.

(١٦) طنوس الشدياق "تاريخ الأعيان في جبل لبنان" جزء ٢ صفحة ٢٤ نشرة منير الخازن مطبعة سميا سنة ١٩٥٤.

(١٧) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٥٣٤.

(١٨) الدويهي "تاريخ الأزمنة" حول سنة ١٦٥٦.

(١٩) الخوراسقف لويس الهاشم "المشرق" عدد ١٤ سنة ١٩٠٢.

(٢٠) الخوراسقف داغر ـ مرجع سابق صفحة ٦٠.

(٢١) "البينات المارونية" للعنيّسي صفحة ١٢٠ ـ ١٢٨ ـ الأباتي فهد ـ مرجع سابق ـ جزء ٢ صفحة ١٤٦.

(٢٢) العنيّسي "البينات المارونية" صفحة ١٢٤.

(٢٣) طنوس الشدياق "أخبار الاعيان..." صفحة ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ـ والدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٣٥٧ ـ ٣٥٩ ـ والاب ضو ـ مجلّد ٤ ـ صفحة ٢٨٤.

(٢٤) الدبس "الجامع المفصّل" صفحة ٣١١ ـ والعنيّسي "سلسلة البطاركة" صفحة ٤٤.

(٢٥) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٥٥٥ ـ والمطران شبلي ـ مرجع سابق صفحة ٤٧.

(٢٦) المطران بطرس شبلي "ترجمة ابن اسطفانوس الدويهي بطريرك إنطاكية" مصر سنة ١٩٢٤ صفحة ١٠ ـ ١٣.

(٢٧) مرجع سابق صفحة ١٥ ـ والدويهي "الشرح المختصر" طبعة فهد سنة ١٩٧٤ صفحة ١٣.

(٢٨) المطران بطرس شبلي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٢٠.

(٢٩) المشرق سنة ١٩٤٩ ـ العدد الأول ـ صفحة ١٤.

(٣٠) مكتبة حلب رقم ٢١١ نسخ سنة ١٦٧١ ـ نشرة الأب ابراهيم حرفوش سنة ١٩٠٢ ـ المشرق عدد ١٥ صفحة ٦٨٧.

(٣١) الأب فهد "بطاركة الموارنة وأساقفتهم" ١٦٨ ـ الدويهي "الشرح المختصر" طبعة فهد مجلّد ١ صفحة ١٨.

(٣٢) الخوري ميخائيل الشبابي "تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية" بعبدا سنة ١٩٠٦ جزء ٢ صفحة ٥٠٦ ـ والمطران شبلي صفحة ٦٥.

(٣٣) شبلي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٧١.

(٣٤) مرجع سابق صفحة ١٠٨.

(٣٥) الخوراسقف داغر ـ مرجع سابق ـ صفحة ٦١.

(٣٦) الخوري بولس قرالي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٨٨ ـ ميشال شبلي "تاريخ لبنان في عهد الامراء" سنة ١٩٥٥ بالفرنسية.

(٣٧) ريستلهوبر Riestelhubert "Traditions Françaises au Liban" Harissa 1921 - Traduit. par louis Abboud-P. 166.

(٣٨) الدبس "الجامع المفصّل" صفحة ٣٦٨ نقلاً عن دي لاروك "رحلة إلى سوريا وجبل لبنان".

(٣٩) فهد صفحة ١١١ نقلاً عن درفيو "Mémoire d'un voyage en Orient" P.419.

(٤٠) فهد صفحة ١٨٩ نقلاً عن A. Vandal "voyages du Marquis de Nointel"

(٤١) مرجع سابق صفحة ١٥٣ ـ فهد ١٨٨ حاشية.

(٤٢) قرالي ـ صفحة ٨٨.

(٤٣) فردينان توتل "وثائق تاريخية عن حلب" بيروت سنة ١٩٥٨ ـ صفحة ٣٤.

(٤٤) الاب ضو مجلّد ٤ صفحة ٣٦٥ نقلاً عن Volney "Travels through Syria and Egypt" London - 1788.

(٤٥) ميخائيل غبريل الشبابي - مرجع سابق - جزء ٢ صفحة ٥٢٤.

(٤٦) المطران شبلي - مرجع سابق - صفحة ١٧٥.

(٤٧) مرجع سابق.

(٤٨) الأباتي فهد - مجلّد ٢ - صفحة ٢٣٥.

(٤٩) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ١٥٩.

## ٤ - تعديات الحكام والانتماء الحزبي والاقطاعي

(١) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٢٨٦.

(٢) مرجع سابق صفحة ١٥٩.

(٣) الأب ضو - مجلّد ٤ صفحة ١٨٨.

(٤) شهاب الدين العمري "مسالك الابصار في ممالك الامصار" - الأب ضو - مرجع سابق صفحة ١٨٩.

(٥) العنيّسي "مجموعة البراءات المارونية" صفحة ٦٦.

(٦) عبد الله ابي عبد الله "جبيل والبترون في التاريخ" اصدار سنة ١٩٧١ صفحة ١٥٧ - والخوراسقف داغر صفحة ٤٣ من "بطاركة الموارنة".

(٧) الامير حيدر شهاب "لبنان في عهد الامراء الشهابيين" نشرة بيروت سنة ١٩٦٩ صفحة ١٥.

(٨) ميشال شبلي "تاريخ لبنان" صفحة ٢١١ - ٢١٢.

(٩) الدكتور سليم هشّي "المراسلات الاجتماعية والاقتصادية".

(١٠) الشيخ عارف النكدي "الامير فخر الدين الثاني".

(١١) نوفل نوفل "كشف اللثام عن محيّا الدولة والحكام في اقليمي مصر والشام" ايجاز جرجي

يني وتحقيق ونشر ميشال ابي فاضل وجان نخول ـ جروس صفحة ١٧٠.

(١٢) الأمير حيدر شهاب "الغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان" دار الآثار سنة ١٩٨٠ صفحة ٢٨ ـ ٣٣.

(١٣) رستم باز "مذكرات لبناني في عهد المتصرفية" نشرة فؤاد البستاني سنة ١٩٥٥ صفحة ٢.

(١٤) حنانيا المنير "الدرّ الموصوف في تاريخ الشوف" المشرق مجلّد ٥٠ ـ سنة ١٩٦٥ صفحة ٤٢٨.

(١٥) نوفل نوفل ـ مرجع سابق ـ صفحة ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(١٦) مخطوطة نوفل ـ مرجع سابق.

(١٧) الاب ضو ـ جزء ثامن صفحة ٢٨ ـ ٢٩.

(١٨) القس مبارك ثابت اللبناني "البطريرك جبرائيل حجولا" بيروت سنة ١٩٢٣ صفحة ٤ ـ ٥.

# الفصل الثاني

## ١ ـ بطاركة القرن الثامن عشر والاقطاعية في لبنان

(١) المطران بطرس ديب مرجع سابق من "تاريخ الكنيسة المارونية".

(٢) نقلاً عن الاسقف بطرس ديب.

(٣) ريستلهوبر ـ مرجع سابق صفحة ٢٤٤.

(٤) مرجع سابق صفحة ١٣٥.

(٥) مرجع سابق صفحة ٢٣٢ والاب فهد مرجع سابق مجلّد ٣ ـ صفحة ١٨.

(٦) الأباتي فهد ـ مرجع سابق ـ صفحة ٢٣٦.

(٧) الخوراسقف داغر صفحة ٦٤ نقلاً عن البطريرك مسعد.

(٨) الدكتور عادل اسماعيل "الوثائق" مجلّد اول ـ الصفحات ١٤١ ـ ١٥٨.

(٩) الأمير حيدر شهاب "الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان" دار الآثار سنة ١٩٨٠ صفحة ١٥.

(١٠) طنوس الشدياق "اخبار الاعيان" صفحة ٧٢.

(١١) الأمير حيدر شهاب "لبنان في عهد الامراء الشهابيين" صفحة ١٢ ـ ١٤.

(١٢) الأب ضو ـ مجلد ٤ ـ صفحة ٤٠٤ نقلاً عن الامير حيدر ـ مرجع سابق.

(١٣) الدكتور سليم هشي "المراسلات الاجتماعية والاقتصادية" صفحة ١٦.

(١٤) نوفل نوفل "كشف اللثام..." صفحة ١٧٠.

(١٥) الامير حيدر شهاب "لبنان في عهد الامراء الشهابيين" نشرة سنة ١٩٦٩ صفحة ١٥.

(١٦) طنوس الشدياق "تاريخ الأعيان في جبل لبنان" جزء اول ـ صفحة ١٨٤ ـ ١٨٥.

(١٧) طنوس الشدياق "تاريخ الاعيان" نشرة منير وهيبه الخازن سنة ١٩٥٤ مطبعة سميا ـ جزء ٢ ـ صفحة ١٩٧.

(١٨) حنانيا المنيّر "الدر المرصوف في تاريخ الشوف" نشرة بيروت سنة ١٩٨٤ صفحة ١٢٨.

(١٩) مخطوطة نوفل ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٧٠.

(٢٠) مرجع سابق صفحة ١٧٦.

(٢١) Jean Hamer "Histoire de l'Empire Ottomane".

(٢٢) المطران بطرس ديب ـ مرجع سابق نقلاً عن هامر: T.2.P.50.

(٢٢) ريستلهوبر "تقاليد فرنسا في لبنان" ١٥٣ ـ ١٥٩.

(٢٤) الدويهي "تاريخ الأزمنة" ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

(٢٥) طنوس الشدياق "تاريخ الأعيان" صفحة ١٢.

(٢٦) مرجع سابق صفحة ٣٤.

(٢٧) سميليا نسكايا "الحركات الفلاحية في لبنان" صفحة ٦٨ ـ الدكتور مسعود ضاهر "الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية" معهد البحوث والانماء العربي سنة ١٩٨١ صفحة ١٩٦.

(٢٨) الشدياق ـ مرجع سابق صفحة ١٩٦.

(٢٩) عيسى اسكندر المعلوف "داوني القطوف في تاريخ بني معلوف" بعبدا سنة ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨

صفحة ٢٣٠.

(٣٠) الشدياق "تاريخ الأعيان" جزء اول صفحة ١٢٥ نشرة دار مارون عبود.

(٣١) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٣٤٨.

(٣٢) دي لاروك "رحلة إلى سوريا" مرجع سابق - صفحة ٢٦٣ نشرة ١٧١١.

(٣٣) المطران الدبس "الجامع المفصّل" صفحة ٤١٧ - والأب ضو - مجلّد ٤ صفحة ٤٥٩.

(٣٤) الخوري منصور الحتّوني "المقاطعة الكسروانية" دار مارون عبود ١٩٨٧ صفحة ٨٨.

(٣٥) المعلوف - مرجع سابق صفحة ٢٤٩ حاشية رقم (١).

(٣٦) المعلوف - مرجع سابق.

(٣٧) تشرشل "جبل لبنان: عشر سنوات إقامة" دار المروج - صفحة ١٥ - ٣٥.

(٣٨) حكمت البير الحداد "لبنان الثورات الفلاحية" سنة ١٩٨٧ - دار عبود.

(٣٩) تشرشل - مرجع سابق - صفحة ٢٤.

(٤٠) فرديناد توتل - مرجع سابق.

(٤١) الاب بطرس ضو "تاريخ الموارنة" مجلّد رابع - صفحة ٣٧١.

## ٢ ـ تنصّر الامراء وبروز معالم الأمة اللبنانية المستقلّة

(١) الخوري بطرس غالب "صديقة ومحامية" بيروت سنة ١٩٢٣ صفحة ٢٦٢ ـ ٢٨٤.

(٢) بيار روفايل "معهد روما الماروني" بيروت ١٩٥٠ صفحة ١٧٨.

(٣) ريستلهوبر "تقاليد فرنسا في لبنان" صفحة ١٠٦ نقلاً عن درفيو.

(٤) الشدياق "اخبار الأعيان..." جزء ٢ صفحة ١٤٥ نقلاً عن الخوري بطرس غالب في "صديقة ومحامية" صفحة ٣٢٢.

(٥) يوسف الدبس "الجامع المفصّل" صفحة ٤٢٧.

(٦) الدبس مرجع سابق صفحة ٤١٧.

(٧) المطران بطرس ديب "الكنيسة المارونية" صفحة ١٠٦ ـ ١٢٩ ومخطوط اورليان الكبوشي رقم ١٤٣٦ صفحة ٩٦ ـ ٩٨.

(٨) الامير حيدر شهاب "الغرر الحسان" مرجع سابق.

(٩) الخوري بطرس جواد صفير "الامير بشير الشهابي" سنة ١٩٥٠ صفحة ٢٢.

## ٣ - المجمع اللبناني والاصلاحات الكنسية المارونية

(١) المطران بطرس ديب M.P.Dib"LEgliseMaronite"1962 T.1.P.176.

(٢) الاباتي بطرس فهد حول "العلامة السمعاني" صفحة ٧٨.

(٣) السمعاني "المكتبة الشرقية "الاباتي العنيّسي "البينات المارونية" صفحة ٢٥٠.

(٤) بيار روفايل "معهد روما الماروني" صفحة ٣٦.

(٥) مرجع سابق.

(٦) رشاد الموسوي "معلمو معلمي العالم" ٢٢٣ وما بعد.

(٧) براءة قرارات "المجمع اللبناني" ذيل الصفحة ١٩٤ - ٢٠٢.

(٨) الدبس - مرجع سابق - صفحة ٤٨٥.

(٩) الأباتي فهد "بطاركة وأساقفة الموارنة" مجلّد خامس - صفحة ١٦١ - ١٦٢.

(١٠) الأباتي فهد - مجلّد خامس - صفحة ١٦٨.

(١١) مرجع سابق.

(١٢) الأباتي فهد - مجلّد ٣ - صفحة ٢١٣ - الدبس "الجامع المفصّل" - صفحة ٤٣٨ - العنيسي "سلسلة البطاركة" صفحة ٥٢ المطران بطرس ديب "التاريخ الفرنسي" مجلّد ٢ - صفحة ١٧٩.

(١٣) ارشيف "البروباغنده" مجلّد ٦ - صفحة ٤١٣.

(١) غروسيه Grousset "Histoire des Croisades" T.1 P. 285.

(٢) غليوم الصوري:-Guillaume de Tyr "Historiens Occidentaux des Croisades" T.1.PP. 1076-1077.

(٣) ميشو Michaud "Histoire des Croisades" T.2.P.32.

(٤) طنوس الشدياق "اخبار الاعيان في جبل لبنان" جزء اول صفحة ٢٠٥.

(٥) ابن الاثير في تاريخه "الكامل في التاريخ" بيروت سنة ١٩٤٥ صفحة ٢١٢.

(٦) ارشيف بكركي نسخة مترجمة عن الاصل الفرنسي من قبل المطران بطرس شبلي.

(٧) ريستلهوبر: Riestelhubert "Traditions françaises au Liban". Traduit par Abboud - Imprimerie Harissa 1921.P.68.

(٨) الخوراسقف داغر "تاريخ الموارنة" صفحة ٣٢.

(٩) د. ربّاط ـ الجزء الثاني من موسوعته "الوثائق" صفحة ٦١٦.

(١٠) الخوراسقف داغر ـ مرجع سابق صفحة ٥٨.

(١١) الخوري منصور الحتوني "المقاطعة الكسروانية" صفحة ٧٨. أما المؤرخان صقر وشمالي في كتابهما "الاقطاعية والمشايخ الخوازنة" صفحة ١٢٧ فيجعلان ولاية قنصلية ابي نوفل تبدأ سنة ١٦٦٢، وتنتهي سنة ١٦٧٩. وقد استشهد بالدويهي الذي عيّن تاريخ وفاة ابي نوفل في العام ١٦٧٩.

(١٢) ريستلهوبر ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٥٣.

## ٥ ـ الراهبة الهندية وتطور الحياة الرهبانية

(١) الخوري ميخائيل غبريال الشبابي "تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية" بعبدا سنة ١٩٠٦ ـ جزء ٢ صفحة ٦٢٧.

(٢) الخوراسقف داغر "بطاركة الموارنة" صفحة ٧٣.

(٣) ارشيف "البروباغنده" الفاتيكان مجلّد ٨ صفحة ٦٩٤.

(٤) الأباتي فهد ـ مرجع سابق صفحة ٢٨٧.

(٥) ارشيف البروباغنده ـ مرجع سابق صفحة ٩٤٢.

(٦) الأب بولس عبود "بصائر الزمان في سيرة البطريرك اسطفان" صفحة ٢١ ـ ٤٠.

(٧) مرجع سابق.

(٨) بولس عبود ـ مرجع سابق ـ و"الاصول المحجوبة" ٧٥٤ ٣ صفحة ٣٨٦ نقلاً عن سجلات المجمع المقدّس للعام ١٧٨١ ـ مجلّد ١٣٨ صفحة ١١٤.

(٩) بولس عبود "بصائر الزمان..." صفحة ٨٧ ـ ١١٤.

(١٠) رشيد الشرتوني "سلسلة البطاركة" سنة ١٩٠١ صفحة ٨٥.

(١١) الاسقف داغر "بطاركة الموارنة" صفحة ٧٤.

(١٢) مرجع سابق.

(١٣) الدويهي "تاريخ الأزمنة" صفحة ٣٦٤.

(١٤) الدويهي ـ مرجع سابق ـ صفحة ٣٤٣.

## ٦ـ طرد الحماديين من الشمال وتوزيع الاملاك على الاديار والفلاحين

(١) مخطوطة الخوري بولس روحانا ـ مسرح ـ اوراق لبنانية جزء ٣ صفحة ١٣ ـ نشرة دار الرائد سنة ١٩٨٣.

(٢) الامير حيدر شهاب "الغرر الحسان" طبعة ١٩٨٠ صفحة ٨١٣.

(٣) لمزيد من المعلومات توزيع هذه الاملاك يمكن الرجوع الى كتابنا "جبيل والبترون والشمال في التاريخ" نشرة سنة ١٩٨٧ صفحة ١٦٧ ـ وما بعدها.

(٤) د. مسعود ضاهر ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٥) الخوري بولس روحانا في مخطوطته ـ نشرة "اوراق لبنانية" للمؤرخ يوسف ابراهيم يزبك ـ جزء ٣ ـ صفحة سنة ١٩٨٣ ـ مرجع سابق.

(٦) الأب ضو "تاريخ الموارنة" مجلّد ٤ صفحة ٤٥٤ ـ المجمع المقدّس روما سنة ١٧٥٤ ـ مجلّد ١١٨ صفحة ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٧) الخوراسقف داغر ـ مرجع سابق صفحة ٧٤.

# الفصل الثالث

## ١ ـ بطاركة القرن التاسع عشر واحداث "العاميّات"

(١) ريستلهوبر "تقاليد فرنسا في لبنان" ـ مرجع سابق ـ صفحة ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٢) اميل خوري وعادل اسماعيل "السياسة في الشرق العربي" دار النشر للسياسة والتاريخ طبعة ٢ بيروت سنة ١٩٩٠. صفحة ١١٤ نقلاً عن المعلم نقولا الترك حول "تملك الجمهورية الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية" سنة ١٨٣٩.

(٣) محفوظات وزارة الحربية الفرنسية... باريس ـ حبيش الشرق ـ المراسلات سجلّ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١.

(٤) جون موريه J. Morier "Mémoris..." London 1799 -P.194.B6-83.

(٥) مخطوطة نوفل "كشف اللثام..." مرجع سابق ـ صفحة ٢٢٨.

(٦) مخطوطة نوفل ـ مرجع سابق ـ صفحة ٢٣٨.

(٧) ج. داكين J.G.D'Aquin "Pélerinage en Terre Sainte" Paris 1866.P.359.

(٨) Lamartine "Voyage en Orient" Paris 1903-v.1.P.P.194-195.

(٩) من مخطوط الخوري بطرس الحكيّم، كاتم أسرار البطريرك التيّان، الموجود في بيت شقيقه المحامي امين الحكيّم الفتاحات البترون.

(١٠) خزانة المجمع المقدّس مجلّد ١٥ ـ العنيسي "سلسلة البطاركة" صفحة ٦٢.

(١١) الأباتي فهد ـ مجلّد ٤ ـ صفحة ٦٢.

(١٢) الخوراسقف داغر "بطاركة الموارنة" صفحة ٧٧.

(١٣) مكتبة مجمع نشر الايمان ـ مجلّد ١٦ ـ صفحة ٢٩١.

(١٤) الأب بولس صفير "بكركي في محطاتها التاريخية" سنة ١٩٩٠ صفحة ١٠٢ نقلاً عن جارور البطريركين مخايل فاضل وفيليبوس الجميل ـ مكتبة بكركي.

(١٥) مرجع سابق.

(١٦) رسالة البطريرك يوسف الخازن إلى "المجمع المقدّس" في ٢٤ نيسان سنة ١٨٥٠ ـ مكتبة الفاتيكان مجلّد ٢٤ ـ صفحة ٢٨٤.

(١٧) مرجع سابق.

(١٨) الخوراسقف داغر "الاستقصاء البطريركي" سنة ١٩٣٢ صفحة ٢٠.

(١٩) لمزيد من المعلومات راجع كتابنا "جبيل والبترون والشمال في التاريخ" صفحة ٢٣٧ ـ ٢٤٣.

(٢٠) فهد ـ مجلّد رابع ـ صفحة ١٨٢ وما بعدها.

(٢١) مكتبة "مجمع الايمان" المعروفة بالبروباغنده ـ مجلّد ١٧ صفحة ٤٠٩.

## ٢ ـ التململ الشعبي والعاميات الصغرى

(١) بطرس شبلي ـ مرجع سابق ـ حول البطريرك اسطفان الدويهي. في حين يرى الشدياق أن الأمير علي حيدر شهاب توفي سنة ١٨١١. هو أول من تنصّر.

(٢) الشدياق "تاريخ الاعيان" صفحة ١٠٩ ـ ١١١.

(٣) الشدياق ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٢٠ ـ ١٣٢ ـ جزء ثاني.

(٤) الشدياق "تاريخ الاعيان" جزء ٢ صفحة ١٥٤ ـ نشرة دار نظير عبود.

(٥) ايليا حريق "التحوّل السياسي في تاريخ لبنان الحديث" ـ الأهلية للنشر والطباعة والتوزيع سنة ١٩٨٢ ـ صفحة ١٥٨ نقلاً عن ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

(٦) حكمت ألبير الحداد "لبنان الثورات الفلاحية" صفحة ١٩٠ اما باقي المؤرخين فلا يشيرون الى اشتراك اليزبكيين وخاصةً بني تلحوق في العاميّة.

(٧) فيليب حتي "تاريخ لبنان" صفحة ٥٠٥ ـ دار الحداثة ١٩٧٢.

(٨) الشدياق ـ مرجع سابق صفحة ٦٨٥.

(٩) السفير هنري غيز "بيروت ولبنان" ترجمة مارون عبود ـ جزء ٢ صفحة ٧٥.

(١٠) الأب بطرس ضو "تاريخ الموارنة" مجلّد ٤ صفحة ٥٣٨.

(١١) حكمت الحداد ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٤٠.

(١٢) مرجع سابق صفحة ١٤٣.

(١٣) يوسف الأشقر "الحركات" صفحة ١٤ ـ ١٥.

(١٤) النقيب جوزف نعمه في مجلة "La Revue du Liban" في ١٤ اذار سنة ١٩٧٣

صفحة ٥١.

(١٥) مرجع سابق.

(١٦) طنوس الشدياق "تاريخ الأعيان..." صفحة ٤٢٦ ـ مرجع سابق.

(١٧) الأب ضو ـ مرجع سابق ـ صفحة ٥٤٩.

(١٨) رستم باز "مذكرات رستم باز" نشرة فؤاد البستاني ـ طبعة ثانية سنة ١٩٦٨ صفحة ٢٣.

(١٩) الأباتي فهد ـ مجلد رابع ـ صفحة ١٩٤ نقلاً عن ارشيف المجمع المقدس ـ مجلد ١٨ صفحة ٥٦.

(٢٠) اشعيا النبي ـ فصل ٢٥ عدد ٢.

# الفصل الرابع

## ١ ـ بطاركة بكركي وعاميّة انطلياس

(١) انيس فريحه "معجم اسماء المدن والقرى اللبنانية" مكتبة لبنان سنة ١٩٧٢ صفحة ٣١.

(٢) الأب بولس صفير "بكركي في محطاتها التاريخية" نقلاً عن رياض حنين في "أماكن وقرى ومدن لبنانية في روايات شعبية" بيروت سنة ١٩٨٦ صفحة ٤٧.

(٣) طوني مفرّج "الموسوعة اللبنانية المصوّرة" بيروت سنة ١٩٧١ جزء ٣ صفحة ٤٣ـ٤٤.

(٤) صفير ـ مرجع سابق ـ صفحة ٩٣.

(٥) جارور البطريرك حبيش والجميّل ـ مخطوط صفحة ٤٦.

(٦) مرجع سابق.

(٧) الخوراسقف داغر ـ صفحة ٧٩ من "بطاركة الموارنة" نقلاً عن الخوري يوسف قرقماز النائب البطريركي في جرود البترون.

(٨) حكمت الحداد ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٩٦.

(٩) الدكتور انطوان ضو "منطلقات تاريخ لبنان" صفحة ١٥٤ ـ ١٥٦.

(١٠) الحداد ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٩٧ ـ ١٩٨.

(١١) الشدياق ـ صفحة ٤٣٧.

(١٢) الأخوان يوسف وعارف أبي شقرا "الحركات في لبنان في عهد المتصرفية" سنة ١٩٥٢ صفحة ١٥.

(١٣) مخطوطة نوفل "كشف اللثام..." صفحة ٢٦٧.

(١٤) مرجع سابق صفحة ٢٥٥ وما بعدها.

(١٥) مخطوطة نوفل "كشف اللثام..." صفحة ٢٥٥ وما بعدها ـ مرجع سابق.

(١٦) مرجع سابق ٢٦٩.

(١٧) مرجع سابق صفحة ٢٧٠.

## ٢ ـ الوجود المصري في لبنان والشرق

(١) رستم باز "مذكرات..." صفحة ٢٨.

(٢)المجلة السورية ـ السنة الثالثة ـ كانون الاول ـ الجزء التاسع صفحة ٥٩٧.

(٣) مرجع سابق ـ السنة الثانية ـ ايار سنة ١٩٧٢ صفحة ٢٦٩ ـ ضو ـ مجلّد ٤ صفحة ٥٨٩.

(٤) الخوراسقف داغر "تاريخ الموارنة" صفحة ٨٥.

(٥) المجلة البطريركية نيسان سنة ١٩٣٠ صفحة ٢٥٩ ـ رسالة السفير كتافاكو إلى قنصل النمسا في عكا ـ تموز سنة ١٨٣٤ والشدياق "تاريخ الاعيان" ـ صفحة ٤٤٦ ـ ٨٤٧.

(٦) الشدياق ـ صفحة ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٧) الخوري قسطنطين الباشا "مذكرات تاريخية" صفحة ١٠٤.

(٨) الخوري اغناطيوس الخوري "مصطفى بربر آغا" دار جروس ١٩٨٥ ـ صفحة ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٩) طنوس الشدياق ـ جزء ٢ صفحة ٢٩٥.

(١٠) مرجع سابق صفحة ٢٩٨.

(١١) المطران بطرس ديب "تاريخ الكنيسة المارونية" صفحة ٢٣٠. والأب ضو ـ مجلّد ٤ ـ صفحة ٦٠٠.

(١٢) الأب فهد ـ مجلّد ٤ صفحة ١٨ ـ والدكتور كمال الصليبي "تاريخ لبنان الحديث" صفحة ٦٦.

(١٣) مخطوطة نوفل ـ مرجع سابق ـ صفحة ٣٠٤ وما بعدها.

(١٤) مرجع سابق.

(١٥) سميليا نسكايا "الحركات الفلاحيّة في جبل لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر" ـ الارشيف الروسي ـ صفحة ٩٤.

(١٦) الشدياق ـ مرجع سابق ـ صفحة ٦٠١.

(١٧) الشدياق ـ مرجع سابق ـ صفحة ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(١٨) البطريرك بولس مسعد "جلاء المصريين عن سوريا ولبنان" سنة ١٩٣٠ ـ المجلة البطريركية ـ صفحة ١٣ ـ ١٧.

(١٩) المطران بطرس ديب ـ مرجع سابق ـ صفحة ٢٦١ ومسعد صفحة ٢٦١ نقلاً عن بوجولا "الحقيقة في سوريا".

(٢٠) اديسون Addison "Damascus and Palmyra" T.II - P.253، وبركر Berker "Last Five Sultan of Turky" T.I-P. 85-87.

(٢١) المطران ديب صفحة ٣١٢ نقلاً عن بوجولا صفحة ٦٢١.

(٢٢) ديب صفحة ٣١٥.

## ٣ ـ عاميّة انطلياس الثانية

(١) الأب ضو ـ مجلّد ٤ صفحة ٦٣٧ نقلاً عن المطران ديب صفحة ٢٦٨.

(٢) بطرس ديب صفحة ٢٧٦ نقلاً عن القنصل الفرنسي بوجولا في كتابه "الحقيقة في سوريا".

(٣) الشدياق ـ طبعة عبود ـ جزء ٢ ـ صفحة ٣٢٦.

(٤) وثائق وزارة الخارجية الفرنسية العام ١٨٤٠.

(٥) انطوان ضاهر العقيقي "ثورة وفتنة في لبنان ـ صفحة مجهولة من تاريخ الجبل" سنة ١٨٣٩ ـ المحررات السياسية ـ جزء اول ـ صفحة ٢.

(٦) مرجع سابق صفحة ٢٣.

(٧) سميليا نسكايا ـ مرجع سابق صفحة ٩٦.

(٨) عادل إسماعيل "الوثائق" منشورات الجامعة اللبنانية سنة ١٩٥٥ صفحة ٧٨ ـ ٨٨.

(٩) مخطوطة نوفل صفحة ٣٨٠ ـ وعادل اسماعيل صفحة ٧٣ ـ ٧٨.

(١٠) حكمت الحداد ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٨٦ ـ ١٨٧.

(١١) قرالي ـ المجلة البطريركية ـ شباط سنة ١٩٣٠ صفحة ٨٢.

(١٢) عادل اسماعيل ـ مرجع سابق صفحة ٥٨.

(١٣) الشدياق ـ مرجع سابق ـ صفحة ٤٦٠.

(١٤) ابراهيم ابو سمرا غانم "ابو سمرا غانم" سنة ١٩٥٨ صفحة ٥٥ ـ ٥٧.

(١٥) ضو ـ مجلّد ٤ ـ صفحة ٦٥١.

(١٦) مخطوطة نوفل ـ صفحة ٣١٤.

(١٧) مرجع سابق صفحة ٣١٥.

(١٨) ديب ـ صفحة ٢٩٣.

(١٩) الشدياق ـ صفحة ٤٦٧.

(٢٠) البطريرك بولس مسعد ـ المجلة البطريركية ـ نيسان سنة ١٨٦٣ صفحة ١٥١.

(٢١) الأب منصور الخوري "المقاطعة الكسروانية" صفحة ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢٢) مرجع سابق صفحة ٢٩٠.

(٢٣) نوفل صفحة ٣١١ ـ ٣١٢.

(٢٤) الاب ضو ـ مجلّد ٤ صفحة ٦٧٠.

(٢٥) نوفل نوفل ـ مرجع سابق صفحة ٣١٦.

(٢٦) هارولد كمبرلي في ملحق كتاب "انكلترا والقرم" صفحة ٤٨١ ـ حكمت الحداد ـ مرجع سابق ـ صفحة ٧٦ ـ ٧٧.

(٢٧) حكمت الحداد ـ صفحة ٢١٧ نقلاً عن سميليا نسكايا.

(٢٨) المطران ديب صفحة ٢٩٢ نقلاً عن المؤرخ بيريه (Perrier).

(٢٩) البطريرك مسعد ـ المجلة البطريركية ـ نيسان سنة ١٩٣٠ صفحة ٢٤٠.

(٣٠) الاب ضو ـ مجلّد ٤ صفحة ٦٧٧ نقلاً عن الشدياق ـ صفحة ٤٧١ ـ ٤٧٤.

(٣١) الشدياق ـ جزء ٢ ـ صفحة ٣٢٣ ـ طبعة نظير عبود.

## ٤ ـ لبنان بعد خروج الامير وحلفائه المصريين

(١) ايليا حريق ـ مرجع سابق ـ صفحة ١٥٩.

(٢) مذكرات رستم باز ـ منشورات الجامعة اللبنانية ـ فؤاد افرام البستاني طبعة سنة ١٩٦٨ صفحة ١٠٩.

(٣) جوبلان Jouplain "La question du Liban" 2e ed. 1961. P.P. 234 - 237

# مراجع اللغة العربية


١ ـ البطريرك اسطفان الدويهي "سلسلة البطاركة" الشرتوني سنة ١٨٩٣ ـ "تاريخ الموارنة" سنة ١٨٩٠ ـ "تاريخ الأزمنة" تحقيق الأب فهد دار خاطر سنة ١٩٨٣ و "الشرح المختصر" طبعة فهد سنة ١٩٧٤.

٢ ـ أميل خوري حرب "السياسة الدولية في الشرق العربي" بالاشتراك مع الدكتور عادل اسماعيل ـ دار النشر للسياسة والتاريخ بيروت سنة ١٩٩٠ طبعة ثانية.

٣ ـ أحمد الخالدي "تاريخ الأمير فخر الدين" نشرة أسعد رستم وفؤاد افرام البستاني سنة ١٩٣٦.

٤ ـ أحمد بيضون "الصراع على تاريخ لبنان" منشورات الجامعة اللبنانية سنة١٩٨٩.

٥ ـ الأب ابراهيم حرفوش "المشرق" سنة ١٩٠٢ عدد ١٥.

٦ ـ إبن الأثير في تاريخه "الكامل في التاريخ" بيروت سنة ١٩٦٥.

٧ ـ إيليا حريق "التحوّل السياسي في تاريخ لبنان الحديث" الأهلية للنشر والطباعة والتوزيع سنة ١٩٨٢.

٨ ـ أنيس فريحه "معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية" مكتبة لبنان سنة ١٩٧٢.

٩ ـ الدكتور انطوان ضو "منطلقات تاريخ لبنان".

١٠ ـ الخوري اغناطيوس الخوري "مصطفى بربر آغا" دار جرّوس سنة ١٩٨٥.

١١ ـ انطوان ضاهر العقيقي "ثورة وفتنة في لبنان ـ صفحة مجهولة من تاريخ الجبل" سنة ١٨٣٩.

١٢ ـ ابراهيم ابو سمرا غانم "ابو سمرا غانم" سنة ١٩٥٨.

١٣ ـ الأب بطرس ضو "تاريخ الموارنة" دار النهار سنة ١٩٧٧.

١٤ ـ بياجيوس ترسي "سوريا المقدّسة".

١٥ ـ المطران بطرس ديب "تاريخ الكنيسة المارونية" سنة ١٩٦٢.

١٦ ـ الأب بولس قرألي "المجلة البطريركية" ١٩٣٥ رقم ١٠.

١٧ ـ المطران بطرس شبلي "ترجمة أبينا المغبوط البطريرك اسطفانوس الدويهي بطريرك انطاكية" مصر سنة ١٩٢٤.

١٨ ـ الخوري بطرس غالب "صديقة ومحامية" بيروت سنة ١٩٢٣.

١٩ ـ بيار روفايل "معهد روما الماروني" سنة ١٩٥٠.

٢٠ ـ الخوري بطرس جواد صفير "الامير بشير الشهابي" ١٩٥٠.

٢١ ـ الأب بطرس فهد "بطاركة الموارنة وأساقفتهم" دار خاطر سنة ١٩٨٥ و "العلاّمة السمعاني" و"المجامع المارونية الطائفية".

٢٢ ـ الأب بولس عبود "بصائر الزمان في سيرة البطريرك يوسف اسطفان".

٢٣ ـ مخطوطة الخوري بولس روحانا مسرح "اوراق لبنانية" يوسف ابراهيم يزبك جزء ٣ ـ سنة ١٩٨٠.

٢٤ ـ مخطوطة الخوري بطرس الحكيّم.

٢٥ ـ الاب بولس صفير "بكركي في محطاتها التاريخية" سنة ١٩٩٠.

٢٦ ـ ارشيف مكتبة "البروباغنده" ـ مجمع نشر الايمان ـ روما ـ مجلّد ١٧.

٢٧ ـ الكولونيل تشرشل "جبل لبنان: عشر سنوات إقامة" ـ دار المروج.

٢٨ ـ البطريرك بولس مسعد "جلاء المصريين عن سوريا ولبنان" سنة ١٩٣٠ ـ المجلة البطريركية.

٢٩ ـ جيروم دنديني "رحلة الى بلاد الموارنة" سنة ١٥٩٦.

٣٠ ـ الأب جرجس منش الحلبي "التحفة الادبية في ثلاثة مجامع مارونية" مطبعة الارز سنة ١٩٠٤.

٣١ ـ جورج هارون "محاضرات الكسليك" للعام ١٩٧٩ ـ رقم ١٩.

٣٢ ـ جان دي هامر "تاريخ الامبراطورية العثمانية منذ نشأتها حتى اليوم" سنة١٥٨٥.

٣٣ ـ النقيب جوزف نعمه في مجلة (La Revue du Liban) تاريخ ٤ آذار سنة١٩٧٣.

٣٤ ـ الأمير حيدر شهاب "لبنان في عهد الامراء الشهابيين" بيروت سنة ١٩٦٩ و"الغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان" دار الآثار سنة ١٩٨٠.

٣٥ ـ حنانيا المنيّر "الدرّ الموصوف في تاريخ الشوف" المشرق مجلّد ٥٠ ـ ١٩٦٥.

٣٦ ـ حكمت ألبير الحداد "لبنان الثورات الفلاحية" سنة ١٩٨٧ ـ دار عبود.

٣٧ ـ رستم باز "مذكرات لبناني في عهد المتصرفية" نشرة فؤاد البستاني سنة ١٩٥٥ ـ و"مذكرات رستم باز" سنة ١٩٦٨.

٣٨ ـ رشاد الموسوي "معلّمو معلّمي العالم" بدون تاريخ ودار نشر.

٣٩ ـ المعلم رشيد الشرتوني "سلسلة البطاركة الموارنة" سنة ١٩٠١.

٤٠ ـ رياض حنين "أماكن وقرى ومدن لبنانية في روايات شعبية" بيروت سنة ١٩٨٦.

٤١ ـ صقر وشمالي "الاقطاعية والمشايخ الخوازنة".

٤٢ ـ الأب طوبيا العنيّسي "البراءات المارونية" روما سنة ١٩١١.

٤٣ ـ طنوس الشدياق "تاريخ الاعيان في جبل لبنان" سنة ١٩٥٤.

٤٤ ـ السفير عادل اسماعيل "وثائق دبلوماسية" بالفرنسية سنة ١٩٥٨ و"السياسة الدولية في الشرق العربي" بيروت سنة ١٩٩٠.

٤٥ ـ عبد الله أبي عبد الله "موسوعة تاريخ لبنان عبر الاجيال" سبعة اجزاء ـ دار نوبليس سنة ١٩٩٠ ـ و"جبيل والبترون والشمال في التاريخ" دار دكاش سنة١٩٨٧.

٤٦ ـ شهاب العمري "مسالك الابصار في ممالك الامصار".

٤٧ ـ الشيخ عارف النكدي "الأمير فخر الدين الثاني".

٤٨ ـ عيسى اسكندر المعلوف "دواني القطوف في تاريخ بني معلوف" بعبدا سنة١٩٠٧.

٤٩ ـ الدكتور فيليب حتي "تاريخ لبنان" دار الثقافة سنة ١٩٧٢.

٥٠ ـ فرديناندو توتل "وثائق تاريخية عن حلب" بيروت سنة ١٩٥٨.

٥١ ـ الدكتور سليم هشي "المراسلات الاجتماعية والاقتصادية في جبل لبنان" سنة١٩٨٥.

٥٢ ـ سميليا نسكايا "الحركات الفلاحية في جبل لبنان في النصف الاول من القرن التاسع عشر" عن الارشيف الروسي.

٥٣ ـ الخوري قسطنطين الباشا "مذكرات تاريخية".

٥٤ ـ السفير كافاكو في "رسالة الى قنصل النمسا في عكا" تموز سنة ١٨٣٤ ـ المجلة البطريركية ـ نيسان سنة ١٩٣٠.

٥٥ ـ الدكتور كمال الصليبي "فخر الدين والفكرة اللبنانية" محاضرات الكسليك حول أبعاد القومية اللبنانية "حاليّات" سنة ١٩٧٠ و"منطلق تاريخ لبنان الحديث".

٥٦ ـ الخوري لويس الهاشم "المشرق" عدد ١٤ ـ ١٩٠٢ و"تاريخ العاقورة" مطبعة العلم بيت شباب سنة ١٩٣٠.

٥٧ ـ مخطوطة نوفل نوفل "كشف اللثام عن محيا الدولة والحكام في اقليمي مصر والشام" إنجاز جرجي يني وتحقيق ونشر ميشال ابي فاضل والدكتور جان نخول ـ جروس سنة ١٩٩٠.

٥٨ ـ القس مبارك ثابت اللبناني "البطريرك جبرائيل حجولا" بيروت سنة ١٩٢٣.

٥٩ ـ ميشال شبلي "تاريخ لبنان".

٦٠ ـ الدكتور مسعود ضاهر "الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية". معهد البحوث والانماء العربي سنة ١٩٨١.

٦١ ـ الخوري منصور الحتوني "المقاطعة الكسروانية" دار عبود سنة ١٩٨٧.

٦٢ ـ مخطوط اورليان الكبوشي رقم ١٤٣٦.

٦٣ ـ محفوظات وزارة الخارجية والحربية الفرنسية ـ وارشيف بكركي ـ والفاتيكان مكتبة نشر الايمان.

٦٤ ـ الخوري ميخائيل غبريال الشبابي "تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية" بعبدا سنة١٩٠٦.

٦٥ ـ المعلم نقولا الترك "تملك الجمهورية الفرنسية الاقطار المصرية والبلاد الشامية" سنة ١٨٣٩.

٦٦ ـ طوني مفرّج "الموسوعة اللبنانية المصوّرة" بيروت سنة ١٩٧١.

٦٧ ـ الخور اسقف يوسف داغر "بطاركة الموارنة" المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٥٨.

٦٨ ـ المطران يوسف الدبس "تاريخ سوريا الديني" و" الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل" المطبعة العمومية سنة ١٨٩٣.

٦٩ ـ يوسف ابراهيم يزبك "اوراق لبنانية" دار الرائد سنة ١٩٥٥.

٧٠ ـ البطريرك يوسف الخازن "المجمع المقدّس" في ٢٤ نيسان سنة ١٨٥٠ ـ مكتبة الفاتيكان.

٧١ ـ الاخوان يوسف وعارف ابي شقرا "الحركات في لبنان في عهد المتصرفية" ١٩٥٢.

## مراجع اللغة العربية

1 - J. G. D'Aquin "Pélerinage en terre Sainte" Paris 1886.

2 - Addison "Damascus and Palmyra". T.2.

3 - Berker "Last five Sultan of Turky".

4 - M gr P.Dib "L'Eglise Maronite" 1962, et "l'Histoire de France"

5 - Derview "Mémoire, d'un voyage en Orient"

6 - De La Roque "Voyage en Orient" Paris 1716, et "Voyage de Syrie et du Mont Liban" Paris 1722.

7 - Dindini "Mission au Liban" 1596.

8 - Eugéne (Roger) "La Terre Sainte" 1664.

9 - Grousset "Histoire des Croisades", et "Epopée des Croisades".

10 - Hamer (Jean De) "L'Histoire de l'Empire Ottomane" 1585.

11 - Isamail (Adel) "Documents diplomatiques et Consulaires" Beyrouth 1458, et "l'Histoire de Liban... Le Liban au Temps de Fakhr ed Dine" Paris 1955.

12 - Jouplain "La Question du Liban" 2e Ed. 1961.

13 - Lamartine "Voyage en Orient" Paris 1903.

14 - Michaud "Histoire des Croisades".

15 - Morier (Jean) "Mémoires" London 1799.

16 - Poujoulat M. "Récits et Souvenirs d'un voyage en Orient".

17 - Riestelhubert "Traditions Françaises au Liban" Traduit par L. Abboud Imp. Harissa 1921.

18 - Rabbat A. "Documents". T.2.

19 - G.D. Salerte "La Syrie avant 1860" Paris 1861.

20 - Thouraud J. "Le chemin de Damas" Paris 1913.

21 - Guillaume de Tyr "Historiens occidentaux des Croisades".

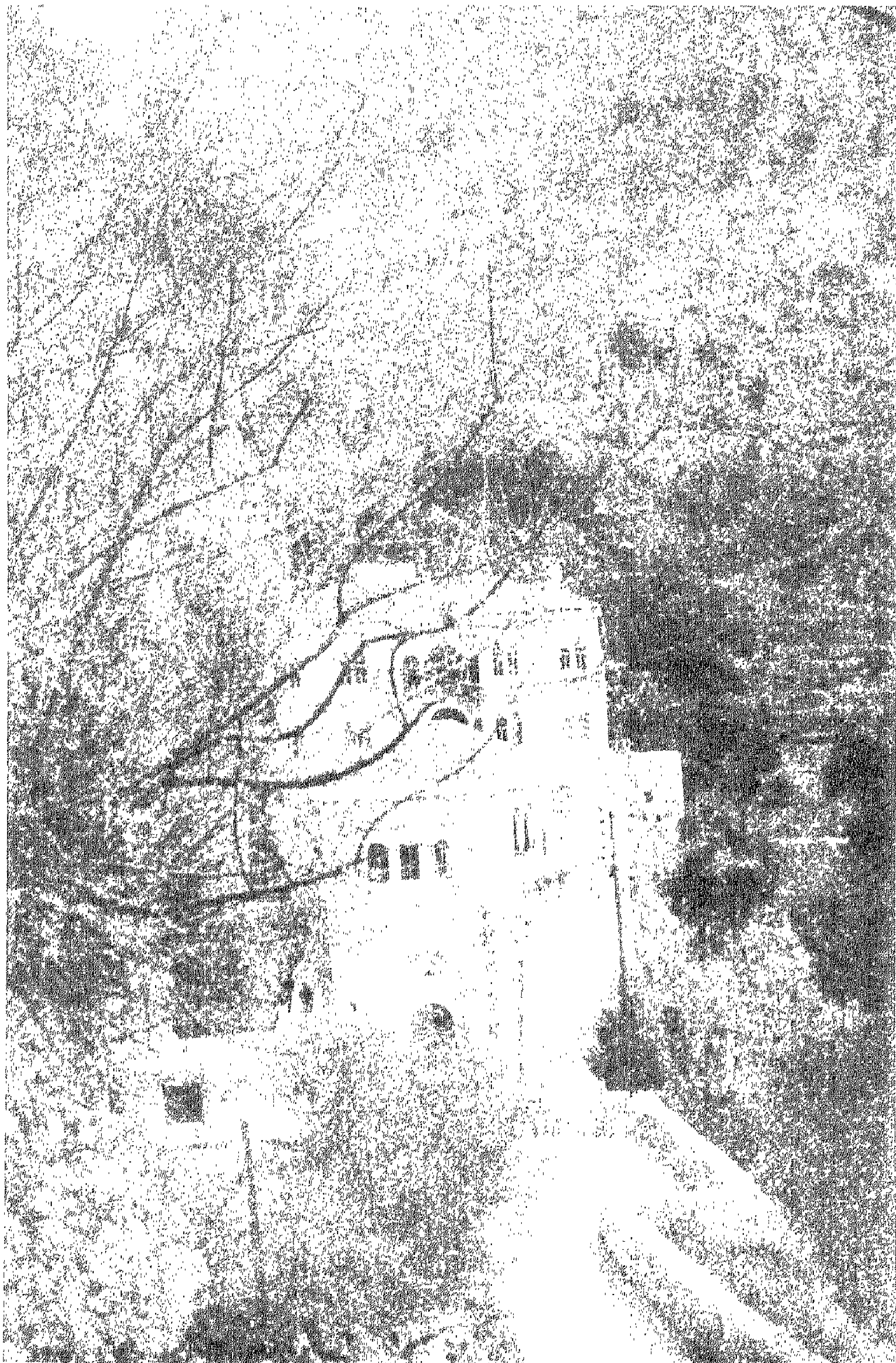
22 - Vanal A. "Voyage du Marquis De Nointel".

23 - Volney "Travels Through syria and Egypt" London 1788.

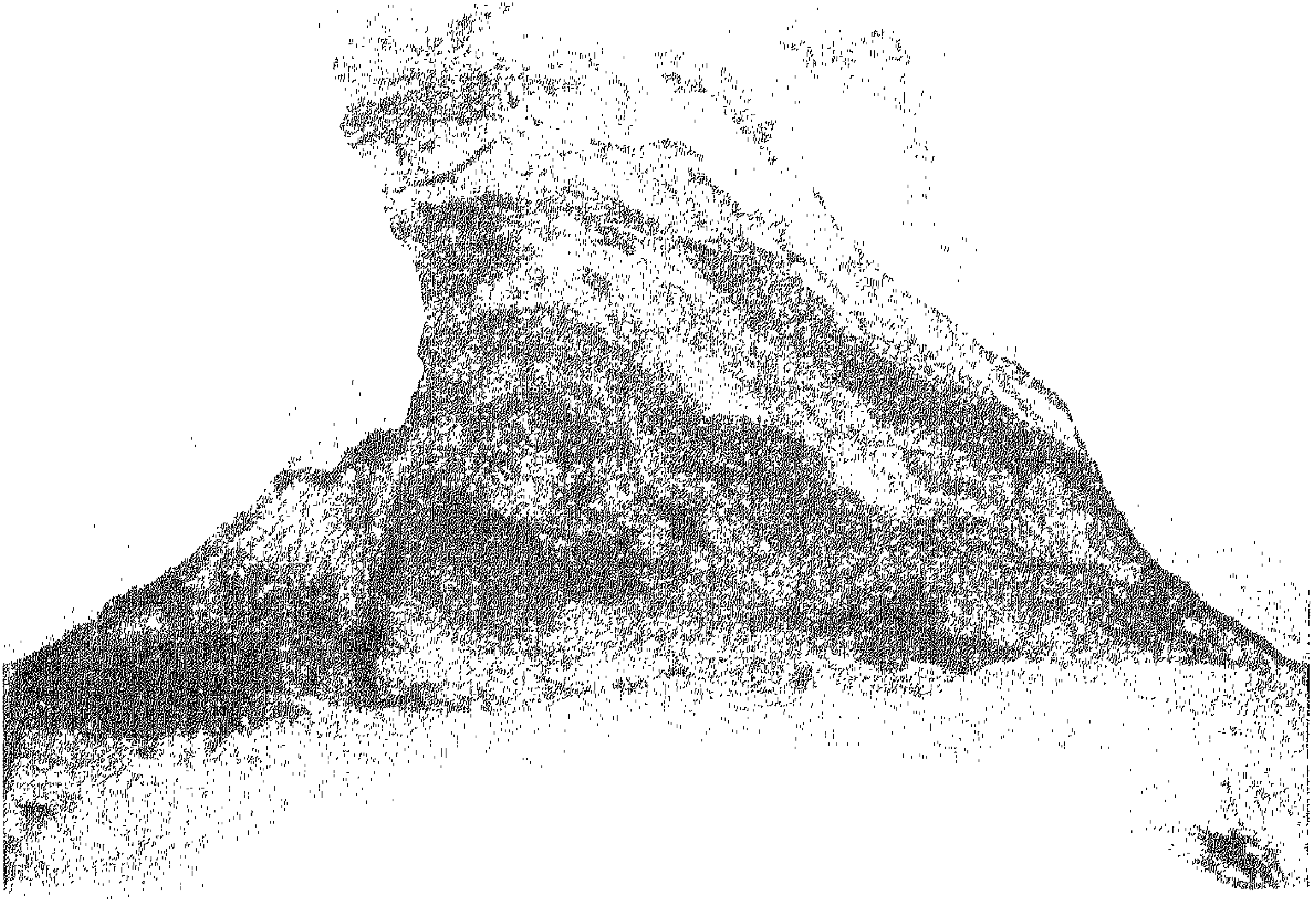


١ البطريرك سركيس الرزّي – ٢ البطريرك جرجس عميره
٣ البطريرك اسطفان الدويهي – ٤ البطريك مخائيل فاضل
٥ البطريرك يوسف حبيش – ٦ البطريرك بولس مسعد
٧ البطريرك يوحنا الحاجّ

(لوحة مأخوذة عن «سلسلة بطاركة الطائفة المارونية» للدويهي. نشرها رشيد الخوري الشرتوني. ١٩٠١).



دير مار انطونيوس قزحيا.



مغارة مقدسة في وادي قنوبين.



كنيسة مار يوحنا في وادي قزحيا - إهدن.

النشر والتوزيع: دار ملفات ش. م. م.
فغال، جبيل، لبنان، ملك نديم جبر
ت: ٠٩/٩٤٢٣١٦ـ٠٣/٣٠٦٠٠٥